

رَفِعُ

عبد الرحمن البجيري  
السلفي لبيه الفزوري  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

# الجَهَادُ

مَيادِينُهُ وَأَسَالِيْبُهُ

تألِيفُ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ نَعِيمُ يَاسِينُ  
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية

دار النفاس



رَفِعُ

عِبْدُ الرَّحْمَنِ الْمُنْجَيِّ  
الْمُسْكِنُ لِلْمُرْدَسِ الْفَرِودِيِّ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

رَفِعُ  
عَبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَخْرَيِّ  
الْأَسْلَمُ لِلَّهِ الْفَرَوْكِسُ  
[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

الْبَخْرَاءُ  
مَكَيَادِينَه وَأَسَالِيَّه

## حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الرابعة  
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م



دار النفائس  
لنشر والتوزيع

الأردن - عمان - العبدلي - مقابل جوهرة القدس  
هاتف : ٢١١٥١١ ٤٠ ٦٩ ٣٩ - فاكس : ٤١ ٦٩ ٣٩ - ص . ب : ٢١١٥١١

رفع

عبد الرحمن الجري  
السلفي لكتاب الفروع  
www.moswarat.com

# الجُنُون

مَيَا دِينَه وَأَسَالِيَّبَه

تأليف

الدكتور محمد نعيم ياسين  
كلية الشريعة - الجامعة الأردنية



دار النفاس



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### فَاتِحَة

الحمد لله الذي هدانا للإيمان ، ونزل لنا القرآن ، وبين لنا فيه معالم الطريق الى العزة في الحياة الدنيا ، والسلامة في دار القرار ، والفوز بجنة الرضوان . ففتح أبصارنا على آياته البينات ، وبصائرنا على المعاني الساميّات . فدلّنا سبحانه وتعالى على الغاية الكريمة ، التي تستحق التضحيات ، وان نسخر لها ما وهبنا من القوى والطاقات فقال عز من قائل : ( وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . ما اريد منهم من رزق وما اريد أن يطعمون . ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين )<sup>(١)</sup> .

والصلوة والسلام على رسوله الكريم ، خاتم الانبياء والمرسلين ، وامام المتقين . وقائد المجاهدين لا علاء كلمة الله سبحانه وتعالى .

وعلى آله الاطهار ، وصحابته الاخير ، الذين شهد لهم ربهم ، وكفى بالله شهيدا ، فقال تبارك وتعالى : ( لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم وأولئك لهم الخيرات ، وأولئك هم المفلحون )<sup>(٢)</sup> .

وعلى كل مجاهد في سبيل الله ، وداع بدعوته ، ومهتد بقرأنه ، ومتأس برسوله محمد صلى الله عليه وسلم . وبعد :

فإن الله تعالى سنتا في خلقه ، قدرها عليهم في اللوح المحفوظ ، وهي نافذة فيهم وفق ذلك القدر المقدور . فمن التزمها ، ووقف عندها ، أمن سوء الحال ، وسوء المال ، وكان من الفائزين . ومن أهملها ، وتجاوزها ، فقد ظلم نفسه ، وظلم غيره وكان من الخاسرين .

(١) النذريات - الآيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) التوبه - الآية ٨٨ .

الا وان من سنن الله في عباده ، ما قرره سبحانه وتعالى في قوله :  
( ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض ، لفسدت الارض ، ولكن الله ذو  
فضل على العالمين )<sup>(٣)</sup> .

واما كان الله عز وجل قد أخبر عن أهل الكفر والشر أنهم لا يزالون  
يتربصون بالخير وأهله الدوائر ، ويصدون عن سبيل الله من آمن به  
ويبغونها عوجا ، فان فساد الحياة الانسانية نتيجة لا مفر منها ، اذا لم  
تجد هذه القوى الشريرة من يدفعها من أهل الخير والايمان .

وان من يستقرىء تاريخ الانسانية ليجد ان صلاح أهل الارض كان  
دائما مرهونا بعزة المؤمنين ، وقيادتهم للبشرية . وان فساد الناس كان  
دائما مرتبطا بخلو منصب القيادة الانسانية من هذه الفئة من الناس .

كما يجد أن عزة الامة الاسلامية كانت دائما نتيجة اكيدة لادراك  
أبنائهما لدورهم الذي ألقاه ربهم على كواهلهم ، في جهاد الباطل وأهله  
وقيامهم بمتطلبات هذا الدور خير قيام .

ولكن روح الجهاد لن تتبعد في قلوب الشباب الا اذا اسلموا انفسهم  
للله عز وجل ، يربىهم بحكمته ، ذلك ان الطاقات المودعة في الانسان قد  
تستثار لوزارة الحق والخير ، وقد يستثيرها طواغيت الارض لخدمة  
مصالحهم وشهواتهم: فانه حينما ينسى الانسان ربه ، يعبد هواء وشهوته ،  
كما قال تعالى : (رأيت من اتخد الله هواء فأفانت تكون عليه وكيلها)<sup>(٤)</sup> .  
وعندما يعبد الانسان هواء ، يحاول دائما تسخير أخيه الانسان لخدمة  
هذا الهوى ، فيوجه ما فيه من قوى وطاقات لذاك الغرض .

واما اذا عرف الانسان ربه ، والتزم هداه اندفعت طاقاته كلها  
لمعايدة الباطل والشر ، وتحررت من سلطان أهل الاهواء والمطامع .

(٣) البقرة - الآية ٢٥١ .

(٤) الفرقان - الآية ٤٣ .

هذا وان الله عز وجل خلق خلقه ، ولم يهملهم . وانما تولاهم برعايته وعنايته فأرسل اليهم الرسل ، وأنزل عليهم الكتب ، ليبين لهم المسار الصحيح في هذه الحياة الدنيا ، ويحدد لهم معالم الهدى في كل شعبة من شعاب هذه الحياة .

وان جوهر ذلك الهدى الذي تضمنته تلك الرسالات الربانية واجد لم يختلف وان اختلفت تلك الرسالات فيما جاءت به من الفروع والتفصيلات ، وهو دعوة البشر في كل زمان الى عبادة الله ، والتلقي منه وحده : في العقيدة والمناهج والنظم والاخلاق وغيرها<sup>(٥)</sup> . قال تعالى : (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا اله الا أنا فاعبدون)<sup>(٦)</sup> . وقال سبحانه : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولًا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)<sup>(٧)</sup> .

وجاءت رسالة الاسلام ، آخر رسالات الله الى اهل الارض ، لتحقيق نفس الهدف : لتصحيح عقائد الناس عن ربهم ، وعن حقيقة انفسهم ، ولتعريفهم ان الله هو الخالق المعبود ، وان الانسان هو المخلوق العابد ، ولينزه الناس ربهم عن كل امر دون مستوى الالوهية ، ويحفظوا انفسهم من الاستكبار عن منصب العبودية لله عز وجل .

فيتبين من هذا ان الدعوة الاسلامية دعوة حركية ، وليس نظرية ، وانما تتبع احداث آثار عملية في حياة البشر .

ومن الطبيعي أن دعوة هذا شأنها ، وهذا هدفها ، لا بد ان يكون لها وسائل تتحقق بها ذلك الهدف ، وتعدت بها ذلك الانقلاب الانساني المنشود .

كما انه من الطبيعي أيضا أن يكون اعتمادها في تلك الوسائل على أتباعها الذين حملوها . فكل من يدخل في تلك الدعوة ويحملها يجرب

(٥) انظر : كتاب العبودية لابن تيمية ص ٨٣ ، ومعالم في الطريق ص ٤٦ .

(٦) الانبياء - الآية ٢٥ .

(٧) النحل - الآية ٣٦ .

عليه ان يضع نصب عينيه الاسهام في تحقيق ذلك الهدف . و تكون المجموعة المؤمنة بكمالها مكلفة للعمل على الوصول الى تلك الغايات بقدر استطاعتها .

فهذه الفئة بأفرادها ، ومجموعها ، بحكامها ورعاياها ، برجالها ونسائها يجب ان تظل في حركة دائبة نحو تلك الغايات ، وفي اطار المنهج الذي رسمه لها ربها . وهذه الحركة المستمرة هي الجهاد بمعناه العام .

وعلى هذا فان الجهاد كلمة جامعة شاملة يدخل فيها جميع انواع السعي وبذل الجهد ، والكافح ، واستخدام شتى الوسائل المشروعة لاحادث ذلك التغيير الذي تبتغي احداثه دعوة الله المنزلة الىبني البشر<sup>(٨)</sup> .

ومن منطلق هذا العموم في معنى الجهاد عرفه ابن تيمية فقال : (الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يحبه الله من الایمان ، والعمل الصالح ، ومن دفع ما يبغضه الله من الكفر والفسق والعصيان )<sup>(٩)</sup> .

ومن هذا المفهوم الواضح الشامل للجهاد يتبين انه يقع من الدعوة في مركز الوسيلة لتحقيق اهدافها :

فهو الوسيلة لتعريف الناس بالتصور الصحيح عن الخالق والكون والحياة . وهو الوسيلة لاقناع الناس بالعودة الى ربهم ، وعبادته . وهو الوسيلة للهيلولة بين الطغاة والمستغلين وبين الناس ، ولتمكينهم من الاختيار الحر ، والنظر السليم ، وتذوق طعم الدلائل والبراهين والآيات التي نصبها الله للعباد ، والتي ما تفتأ الطواغيت تصد عنها عباد الله ، كما قال عز وجل : ( ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويفونها عوجا )<sup>(١٠)</sup> .

(٨) انظر : الجهاد في سبيل الله لابي الاعلى المودودي ص ١٢ .

(٩) العبودية لابن تيمية ص ١٠٤ . وانظر ايضاً الجهاد في الاسلام لمحمد شدید ص ٧ .

(١٠) هود - الآياتان ١٨ - ١٩ .

وبذا نفهم لماذا سمي رسول الله صلى الله عليه وسلم **الجهاد ذروة سنام الاسلام** ، فانه القوة الدافعة لهذه الدعوة الربانية نحو تعميم خيرها على البشر ، وهو الرصيد المستمر ، يجدد نشاطها ، ويظهر فاعليتها في الوجود ، ولو لاه لضرر أثرها وانكمشت ، وافسحت المجال لغيرها من الدعوات الباطلة ٠٠ وهذا أمر يؤيده واقع تاريخ أمة الاسلام ، فقد كان أثرها في الامم ، ونشر العدل والرخاء والسعادة ، يتنااسب دائماً طرداً مع قوة جهادها وحركتها وبذلها وتضحيتها ٠

ولعل من معاني تلك التسمية النبوية أن **الجهاد فوق ما تقدم عنوان الصدق في حمل الدعوة الاسلامية** ، وبرهان الاخلاص في ذلك العمل ، فهو الدليل الذي يقدمه الانسان على صدق ما يقر به لسانه من الایمان ٠

هذا وقد شاعت حكمة الله عز وجل ، ولا يسأل عما يفعل ، ان يجعل سعي المؤمنين لتحقيق أهداف دعوته في الارض موضوع ابتلائهم وامتحانهم في هذه الحياة الدنيا ٠

والابتلاء لا يكون الا بوجود المضادات والمعوقات ، ولذلك ابتلى الله عباده بأعداء يصدون عن سبيله سبحانه ، ويسيخرون طاقاتهم للحيلولة دون تحقيق الناس عبوديتهم لربهم ٠

وبالنظر في كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، والنصوص الكثيرة الواردة في الجهاد ، يتبيّن أن معظم التعطيل عن أهداف الدعوة المذكورة يعود إلى خمسة أعداء :

العدو الاول : شهوات النفس وأهواؤها ٠

والعدو الثاني : الشيطان ٠

والعدو الثالث : الكفار ٠

والعدو الرابع : المنافقون ٠

والعدو الخامس : أهل المنكر وهم الظالمون والفاسقون ٠

ويتضامن هؤلاء الاعداء جمیعا ، ویتعاونون فيما بینهم على معارضۃ العباد ، وصدھم عن الحق ، وآخر اجھم عن عبودیتهم لله عز وجل ۔

ومن هنا يمكن تصنیف المیادین التي یجب على المؤمنین ان یجاهدوا فیها . الى خمسة أيضا ، هي المیادین التي یعمل فیها هؤلاء الاعداء<sup>(۱۱)</sup> ۔

وفي هذا الكتاب أدعوا الله عز وجل أن یوفقني في بيان هذه المیادین وضرورة الجهاد فیها ، وبيان اسالیبھ في كل میدان ، وخطورة الاعداء الذين یتصدون للمؤمنین في كل منها ، وأسالیبھم في الصد عن سبیل الله في كل منها ، ونجعله ان شاء الله تعالى ، في خمسة مباحث :

المبحث الاول : في جهاد النفس ۔

المبحث الثاني : في جهاد الشیطان ۔

المبحث الثالث : في جهاد الکفار ۔

المبحث الرابع : في جهاد المنافقین ۔

المبحث الخامس : في جهاد أهل المنکر من الظلمة والفسقة ، وهو الامر بالمعروف والنهی عن المنکر ۔

(۱۱) أشار الى هذه المیادین ، وأشكال الجهاد ابن قیم الجوزیة في زاد المیاد ج ۲ ص ۲۸ - ۴۰ وابن حجر في فتح الباری ج ۶ ص ۲ ، والقرطبی في تفسیره ج ۱۲ ص ۹۹ ، وغيرهم ۔

# المبحث الاول

في

## جهاد النفس

خلق الله النفس الانسانية ، وأودع فيها قوى وطاقة ، وركب فيها نوازع ، واستعدادات وقابلية :

فجعل فيها القوة المدركة الوعية ، وهي القلب . والقوى القادرة على الحركة وهي الجوارح والاعضاء ، والقوى الباعثة على الحركة ، وهي الغرائز والنوازع .

ثم من الله عز وجل على الانسان بمنهاج حكيم ، ليأخذ به هذه القوى المختلفة . وجهاد النفس يكون بحمل طاقاتها على منهاج ربها الذي نزله لها . وتتجدد هذا المعنى في قوله تعالى : ( ونفسٌ وما سواها ، فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسها )<sup>(١)</sup> . ومعنى «أللهمها فجورها وتقواها» ، اي أرشدها الى سبيل الغير ، وبين لها سبل الشر جميعا<sup>(٢)</sup> . وتكون تزكيتها بعملها على طاعة الله تبارك وتعالى . وتدسيتها بأخذها بمعصية الله سبحانه وتعالى<sup>(٣)</sup> .

هذا وقد عني بعض العلماء بتأليف مصنفات ، بينوا فيها آفات النفوس ، وأساليب جهادها ، كالامام ابي حامد الغزالى رحمه الله تعالى ، وخاصة في كتابه المشهور « احياء علوم الدين » .

وقد جعل بعض العلماء جهاد النفس في اربعة ميادين هي :

جهادها على تعلم الهدى ودين الحق ، ويجهادها على العمل ، وجهادها

(١) الشمس - الآيات ٧ - ١٠ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٦ .

(٣) المرجع السابق .

على الدعوة الى الله ، وجهادها على الصبر على مشاق الدعوة الى الله وأذى  
الخلق<sup>(٤)</sup> .

وفيما يلي نفصل هذه الانواع الاربعة من جهاد النفس :

١ - جهادها على تعلم الهدى ودين الحق ، من كتاب الله تعالى ،  
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وسيرة الصحابة والصالحين .

فإن هذا هو مبدأ جهاد النفس ، ومن بدأ بغير هذه البداية في جهاد  
نفسه ، وتربيتها ، فقد عرض نفسه للضلال والانحراف ، لأن الله ،  
جل وعلا ، هو الذي خلقها ، وهو أعلم بما يصلحها . فمن ابتغى صلاح  
نفسه ، سار مع منهج الله سبحانه في تربيتها . ومنهجه مبين في كتابه  
الكريم ، ومفصل في سنة عبده المصطفى صلى الله عليه وسلم . وصورته  
التطبيقية عند هذا الرسول ، وصحابته رضوان الله عليهم جميعا .

هذه هي البداية السليمة في جهاد النفس . وأما الذين يجاهدون  
أنفسهم بتصوراتهم ، وتخيلاتهم مما لم يشرعه الله في كتاب ولا سنة .  
فقد ضلوا الطريق ، وانحرفوا عن الصراط المستقيم ، مهما كانت  
نياتهم ، لأن الله سبحانه لا يقبل أن يعبد إلا بما شرع في قرآن وبينه  
رسوله صلى الله عليه وسلم .

يقول الإمام أبو حامد الغزالى رحمة الله عليه :

( خلاصة العلم أن تعلم الطاعة والعبادة . واعلم أن الطاعة  
والعبادة متابعة الشارع في الأوامر والنواهي بالقول والفعل ، يعني :  
كل ما تقول وتفعل وتترك قوله وفعلا يكون باقتداء الشرع ، كما لو  
صمت يوم العيد وأيام التشريق تكون عاصيا ، أو صلحت في ثوب  
مفصوب ، وان كانت صورة عبادة ، تأثم .

فينبغي لك أن يكون قولك وفعلك موافقا للشرع ، اذ العلم والعمل  
بلا اقتداء الشرع ضلاله .

(٤) زاد الماء في مدى خير العباد ج ٢ ص ٣٩ .

وينبغي لك أن لا تفتر بالشطح وطامات الصوفية ، لأن سلوك هذا الطريق يكون بالمجاهدة وقطع شهوة النفس وقتل هواها بسيف الرياضة ، لا بالطامات والترهات .

واعلم أن اللسان المطلق ، والقلب المطبق ، المملوء بالغلة والشهوة علامة الشقاوة )<sup>٥</sup> .

من أجل هذا رفع الله العلماء ، فقال عز وجل : ( قل : هل يستوي الدين يعلمون ، والذين لا يعلمون )<sup>٦</sup> ، أي لا يستون في منزلتهم عند ربهم ، لأن الذين يعلمون يعرفون كيف يصلحون أنفسهم وفق منهج الله تعالى ، لأنهم تبينوا بعلمهم عظمة الخالق ، وضعف المخلوق ، وقدرة الباري ، وحاجة العباد إليه ، وحكمة الله عز وجل ، وجهل من سواه ، وطرق الهدى ، وما تقود إليه من سعادة الدارين ، وطرق الضلال وما تؤدي إليه من خسران مبين . وأما الذين لا يعلمون فيفسدون أنفسهم باتباعهم مناهج في تربيتها ليست من عند الله سبحانه وتعالى ، ولذلك قال عز وجل : ( يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات )<sup>٧</sup> . ومن أجل ذلك أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن العلم من أفضل أنواع العبادة ، فقال : ( فضل العالم على العابد كفضلي على أدنكم )<sup>٨</sup> .

وأفضل أنواع العلم هو ما أثمر معرفة الله عز وجل ، ومعرفة صفاته وأسمائه الحسنى وأفعاله وأيامه ، مما أخبر به عن نفسه في كتابه الكريم ، وأخبر به عنه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . ومما ظهرت آثاره في ملوك السموات والارض ، من الخلق والابداع والتقدير والتدبر ، وتصريف الامور على احسن وجه .

(٥) انظر : أيها الوله من ٢٦ ، ٢٧ .

(٦) الزمر - الآية ٩ .

(٧) المجادلة - الآية ١١ .

(٨) أخرجه الترمذى وقال عنه : حسن ، انظر رياض الصالحين من ٤٥١ .

ثم العلم بما اخبر به سبحانه من الحقائق ، سواء ما كان منها متعلقة بالحياة الدنيا ، وما كان متعلقا بالآخرى كمعرفة رسول الله عز وجل ، وما ارسلوا به من التوحيد ، والدعوة الى عبادة الله عز وجل وما اخبروا عنه من اليوم الآخر وقيام الساعة والحساب والجزاء والجنة والنار .

ثم العلم بمنهج الله سبحانه ، المنزل للعباد ليلتزموا به في شؤون حياتهم جميعها ، لأن هذه العلوم هي اساس صلاح الانسان في الدنيا ، وسعادته في الآخرة . والعلم ليس مطلوبا لذاته ، وانما لشمرته ، فأفضلة ما استقام به امر الانسان في الحياة الدنيا ، واسعده في الآخرة .

٢ - جهادها على العمل والالتزام بما تعلمت ، لأن معرفة الطريق لا تجدي ان احجم الانسان عن سلوكها ، بل قد تضره هذه المعرفة ، اذ بها تقوم الحجة عليه عند ربه وما احسن قول الشاعر :

لو كان للعلم من دون التقى شرف لكان اشرف خلق الله ابليس

وهذا المنهج في تربية النفوس وجهادها هو منهج الصحابة رضوان الله عليهم ، وقد تلقوه عن اسوتهم وقادتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد ذكر ابن تيمية عن ابي عبد الرحمن السلمي انه قال : حدثنا الذين كانوا يقرئوننا القرآن : عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما انهم كانوا اذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا - اي الصحابة - فتعلمنا العلم والعمل (١) .

وأول الالتزام واجله هو التزام القلب بعبادة الله عز وجل ، بالاخلاص لله سبحانه وخشيته ، ورجائه ، وحبه ، ومراقبته ، والتوكيل عليه ، والانابة اليه ، والاستعانة به ، وغير ذلك من أعمال القلوب .

ثم التزام الجوارح بطاعة الله ، والانتهاء عما نهى عنه .

(١) انظر : آيات الجهاد في القرآن الكريم ص ٢١ نقل عن الakkil لابن تيمية .

وفي هذا المقام اثبت للاخ القاريء هذه الوصية والنصيحة للحافظ ابي بكر الخطيب البغدادي ، افتتح بها كتابه « اقتضاء العلم العمل » ، لعل الله ينفع بها ويحدث بها أثرا طيبا ، يقول الخطيب البغدادي :

( ثم اني موصيك يا طالب العلم بخلاص النية في طلبه ، واجهاد النفس على العلم بموجبه ، فان العلم شجرة ، والعمل ثمرة ، وليس يعد عالما من لم يكن بعلمه عاملا . وقيل : العلم والد ، والعمل مولود ، والعلم مع العمل ، والرواية مع الدرائية .

فلا تأنس بالعمل ما دمت مستوحشا من العلم ، ولا تأنس بالعلم ما كنت مقصرا في العمل ولكن اجمع بينهما ، وان قل نصيبك منهما . وما شيء اضعف من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته ، وجاهل أخذ الناس بجهله لنظرهم الى عبادته .

والقليل من هذا مع القليل من هذا انجى في العاقبة ، اذا تفضل الله بالرحمة ، وتم على عبده النعمة . فاما المدافعة والاهمال ، وحب الهويني والاسترسال وايثار الخفض والدعة ، والميل مع الراحة والسعة فان خواتم هذه الخصال ذميمة ، وعقباتها كريهة وخيمة .

والعلم يراد للعمل ، كما العمل يراد للنجاة ، فاذا كان العمل قاصرا عن العلم ، كان العلم كلا على العالم ، وننعواز بالله من علم عاد كلا واورث ذلا ، وصار في رقبة صاحبه غلا .

قال بعض الحكماء : العلم خادم العمل ، والعمل غاية العلم ، فلو لا العمل لم يطلب علم ، ولو لا العلم لم يطلب عمل ، ولان ادع الحق جهلا به أحب الي من أن أدعه زهدا فيه . . . .

وهل وصل الحكماء الى السعادة العظمى الا بالتشمير في السعي ، والرضى بالميسور ، وبذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم ؟

وهل جامع كتب العلم الا كجامع الفضة والذهب ، وهل المنهوم بها الا كالعريس الجشع عليهما ؟ وهل المغرم بحبها الا ككانزهما ؟

ولا تنفع الاموال الا بانفاقها ، وكذلك لا تنفع العلوم الا من عمل بها ، وراعى واجباتها ، فلينظر امرؤ لنفسه ، وليفتئم وقته ، فان الشواء قليل ، والرحيل قريب ، والطريق مخوف ، والاغترار غالب ، والخطر عظيم ، والنقد بصير ، والله تعالى بالمرصاد ، واليه المرجع والمعاد ، « فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره » (١٠) .

ولتعلم ايها الاخ القاريء ان جهاد النفس على الالتزام بما تعلمت هو اساس الاجر والثواب في دين الله تعالى ، بعد تحصيل الايمان بآله وبرسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (وان ليس للانسان الا ما سعى ) (١١) ، وقال سبحانه : ( فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ) (١٢) . ورتب سبحانه الجزاء على العمل والكسب في عديد من الآيات فقال : ( جزاء بما كانوا يكسبون ) (١٣) ، وقال ايضا ( ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ، خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ) (١٤) ، وقال ( فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، فسوف يلقون غيما ، الا من تاب وآمن وعمل صالحا ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا ) (١٥) .

والاسلام في جملته مبني على الشهادتين والعمل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بني الاسلام على خمس : شهادة ان لا اله الا الله ، وان محمدا رسول الله ، واقام الصلاة ، وآيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان ) (١٦) .

(١٠) انظر كتاب « اقتضاء العلم العمل » من جملة رسائل من كنوز السنة ص ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٥٩ .

(١١) النجم - الآية ٣٩ .

(١٢) الكهف - الآية ١١٠ .

(١٣) التوبه - الآياتان ٨٢ ، ٩٥ .

(١٤) الكهف - الآياتان ١٠٧ ، ١٠٨ .

(١٥) مریم - الآياتان ٥٩ ، ٦٠ .

(١٦) حديث متفق على صحته : انظر صحيح البخاري ج ١ ص ٤٢ ، وزاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم - ١ - ١٣٩ .

والإيمان عند السلف اقرار باللسان واعتقاد بالقلب ، وعمل بالاركان )<sup>١٧</sup> .

ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام : ( لا تزول قدمًا عبد يوم القيمة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفاته ، وعن علمه ماذا عمل فيه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن جسمه فيما أبلاه )<sup>١٨</sup> .

٣ - جهادها على الدعوة الى ما تعلمت من الحق والهدى ، والا كان أصحابها من الذين يكتمون ما انزل الله من الهدى والبيانات .

وهذا النوع من اهم انواع الجهاد واطرها ، وخاصة عندما يكثرون الغثث بين الناس ، وينتشر الفساد ، وتم العاجلية ، ويترك العباد حكم الله تعالى . فان غيابه هو الذي يفسح المجال لاعداء الله ، واعداء الغير من شياطين الانس والجن ، لينشروا باطلهم وفسادهم . ولهذا الاعتبار فاننا نخصص موضع آخر لتفصيل اهمية هذا النوع من الجهاد وبيان وجوبه على كل مسلم ، وضرورته في هذا الزمان .

٤ - جهادها على الصبر على مشاق الدعوة : فان الجهاد من النوع السابق ، وهو الدعوة الى الله عز وجل ، يتبعه حتما اذى ومضائق من الناس ، بسبب جهلهم ، وحفظا على مكاسبهم الدنيوية التي ارتبطت بالانحراف ، فلا بد للمؤمن من جهاد نفسه على الصبر على ذلك ، كيلا تفتتن ، وتتحرف عن صراط الله ، او تتقاعس في الدعوة الى سبيله سبحانه .

وزاد المؤمن في هذا الجهاد الشقة بالله تعالى ، وتدبر وعده لمن يجاهد في سبيله ويدعو اليه ، حيث قال عز من قائل : ( ان الله يدافع عن الذين

(١٧) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٧٤ وما بعدها .. وشرح قصيدة ابن القيم ج ٢ ص ١٣٩ وما بعدها وفتح الباري ج ١ ص ٤٠ .

(١٨) اخرجه الترمذى وقال عنه : حسن صحيح . انظر : عارضة الاشودى ج ٩ ص ٢٥٣ .

آمنوا )<sup>(١٩)</sup> ، وحيث قال ايضا : ( ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز )<sup>(٢٠)</sup> . والثقة باحقيقة ما يدعو اليه ، وهو حكم الله سبحانه و منهجه : ( ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون )<sup>(٢١)</sup> . والثقة بحسن المال الذي سيغير اليه المجاهدون في سبيل اعلاء كلمة الله ، وذكر المصير الذي سيؤول اليه العباد في اليوم الآخر ، فيكون طمعه في رضا الله و جنته اعظم من رغبته في نعيم الدنيا و مبارجتها ، و خوفه من عذاب الله عز و جل و ناره اشد من خوفه من عذاب الناس و مضائقتهم ، فلا يجعل نفسه مع الذين قال عنهم الله : ( ومن الناس من يقول : آمنا بالله ، فاذا اوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله )<sup>(٢٢)</sup> .

والمثل الاعلى للنفس المؤمنة في هذا الجهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصحابته ، رضوان الله عليهم ، فقد لاقوا من صنوف الاذى والتعذيب مالا يعلم مداه الا الله ، فصبر وصبروا ، وجاهدوا انفسهم في هذا الميدان ، حتى نصرهم الله العزيز الحكيم .

(١٩) الحج - الآية ٣٨ .

(٢٠) الحج - الآية ٤٠ .

(٢١) المائدة - الآية ٥٠ .

(٢٢) التكوير - الآية ١٠ .

## المبحث الثاني في جهاد الشيطان

ان من فضل الله على العباد ، ورحمته بهم ، ان عرفهم على اعدائهم الذين ابتلاهم بهم في هذه الحياة الدنيا ، وعلى اساليبهم وطرقهم في الصد عن سبيل الله سبحانه ، وعلى طرق مجاهدتهم ، واساليب الوقاية منهم ، ودفع شرهم .

وقد كان مما عرفنا الله عليه من هؤلاء الاعداء الشيطان ، فقد أخبرنا سبحانه وتعالى عن هذا العدو ، وأساليبه ، وطرق جهاده . والذين يؤمنون بالقرآن يؤمنون بكل ما جاء فيه ، فيؤمنون بان هنالك شيطانا يوسموس للعبد ، ويزين له ، ويدفع في عقله الريب والشكوك والشبهات ، ويثبته عن الخير ، ويحثه على الشر ، ويلقي اليه الاماني الكاذبة .

وأخبرنا سبحانه عن هذا المخلوق أنه نذر نفسه من أول الامر لحاربة الانسان ، وصده عن سبيل الله ، فقد قال تعالى : ( قال ، فيما أغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ، ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم ، وعن ايمانهم وعن شمائهم ولا تجد اكثراهم شاكرين )<sup>(١)</sup> وقال أيضا : ( قال : رب بما أغويتني لازين لهم في الارض ، ولا غويتهم أجمعين ، الا عبادك منهم المخلصين )<sup>(٢)</sup> . وقال عز وجل : ( وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم )<sup>(٣)</sup> . وقال ايضا : ( الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء )<sup>(٤)</sup> .

وقد ذكر الشيطان في كتاب الله كثيرا ، تحذيرا منه، وحثا على جهاده، وبيانا لاساليبه مع العباد في الصد والغواية : فقد جاء بصيغة المفرد في

(١) الاعراف - الآيات ١٦ - ١٧ .

(٢) الحجر الآيات ٣٩ ، ٤٠ .

(٣) الانعام - الآية ١٢١ .

(٤) البقرة - الآية ٢٦٨ .

سبعين آية مكية ومدنية وبصيغة الجمع في ثمانين عشرة آية معظمها مكية<sup>(٥)</sup> .

وفي هذا دلالة بالغة على خطورة هذا العدو على الانسان ، ووجوب الحيطة له ، والحذر منه . واستفراغ الوسع في مجاهدته ، فقد قال عز وجل : ( ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا )<sup>(٦)</sup> . والامر باتخاذه عدوا معناه وجوب استفراغ كل جهد ممكн في محاربته ومجاهدته .

وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشيطان في كثير من الاحاديث ، منها ما ورد عنه عليه السلام انه قال : ( ان للشيطان لة<sup>(٧)</sup> بابن آدم ، وللملك لة : فاما لة الشيطان ، فايعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما لة الملك فايعاد بالغير وتصديق بالحق فمن وجد من ذلك شيئا فليعلم انه من الله ، ومن وجد الاخرى فليتعود من الشيطان ، ثم قرأ : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدهم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم »<sup>(٨)</sup> . وقال عليه الصلاة والسلام : ( ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا بجاريه بالجوع)<sup>(٩)</sup> . وروى الامام مسلم والامام احمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة ، قالوا : واياك يا رسول الله ؟ قال : واياي ، لكن الله اعانني عليه فأسلم ، فلا يأمرني الا بخير )<sup>(١٠)</sup> .

(٥) انظر : المجمع المفهوس للافاظ القرآن الكريم ، وآيات الجهاد في القرآن الكريم للدكتور كامل الدقسى ص ٣٢ .

(٦) فاطر - الآية ٦ .

(٧) اللة : هي الخطرة بالقلب ، وتكون لة الشيطان بوسوسته للانسان بالسوء ، ولة الملك بايحاته بالغير .

(٨) أخرجه الترمذى وقال عنه : حسن غريب . والنسائي وابن حبان عن ابن مسعود . انظر : فيض القدير للمناوي ج ٣ ص ٤٤٩ .

(٩) رواه البخاري في كتاب الاحكام والاعتكاف وبدء الخلق والادب ، ورواه مسلم في كتاب الادب والصوم ، وابن ماجه في كتاب الصيام .

(١٠) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٧ ص ١٥٧ . ومعنى « أسلم » اي استسلم وانقاد لي ، ولهذا قال : ( فلا يأمرني الا بخير ) ، وليس المقصود ان الشيطان آمن لان الشياطين لا تكون مؤمنة ، وقد روى بعض الميم فيكون الضمير فيه عائدا الى النبي صلى الله عليه وسلم اي : اعانني عليه ، فاتأسلم منه . ولا يؤثر علي - شرح العقيدة الطحاوية من ٤٣٩ .

## مداخل الشيطان :

ذلك هو الامر الاول الذي يجب على المؤمن أن ينتبه له ، وهو تصديق ما جاء في القرآن ، وفي الحديث من وجود هذا العدو ، وخطورته على ابن آدم ، وضرورة اتخاذه عدوا . والاشتغال بمقاومته ومجاهدته .

وأما الامر الثاني الذي لا بد للمؤمن من معرفته ، مما يتعلق بهذا العدو فهو مداخله الى قلب ابن آدم ، وأساليبه في الغواية والصد عن الهدى .

ولتعلم أيها الاخ القارئ ان للشيطان مدخلان واسعا يدخل منه الى قلب المؤمن . ولهذا المدخل ابواب وشعب كثيرة ، فان استطاع العبد ان يسد هذا المدخل ويغلق تلك ابواب ، فقد قطع الطريق على هذا العدو اللعين . وصار من قال عنهم الله تعالى : ( ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ) (١١) .

فاما مدخل الشيطان الاساسي فهو الهوى والشهوات ، فانها مبدأ استياء الشيطان على قلب الانسان ، فمن امتلا قلبه بها ، وانبسط معها أكثر مما ينبغي ، فقد وفر للشيطان قوته ، وأعانه على نفسه ، وفتح له الطريق الى قلبه ، وكان من قال عنهم الله سبحانه وتعالى : ( أفرأيت من اتخذ الله هواه ) (١٢) ، ومثل الذي أخبر عنه سبحانه في قوله : ( واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فأتبخ الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكتاب : ان تحمل عليه يلهث ، او تتركه يلهث ) (١٣) فانظر كيف يتبع الشيطان عبد الهوى ، ويستحوذ عليه ، وأما عبد الله المتحرر من عبودية الهوى ، فليس للشيطان عليه سلطان ، ومهما حاول معه فانه مهزوم لا محالة ، كما انهزم مع رسول الله والصالحين ، وقد مر معك قول

(١١) الاسراء .. الآية ١٥ .

(١٢) الجاثية .. الآية ٢٣ .

(١٣) الاعراف .. الآياتان ١٧٥ ، ١٧٦ .

الرسول صلى الله عليه وسلم : ( لكن الله أعايني عليه فأسلم ، فلا يأمرني الا بخير ) وانما كان هذا لأن الشيطان لا يتصرف الا بواسطه الشهوة ، فمن أعانه الله على شهوته ، حتى صارت لا تنبسط الا حيث ينبعي ، والى الحد الذي ينبعي فقد ضيق المجال الذي يعمل فيه الشيطان ، وفوت عليه الفرص ، وأعجزه عن اصدار الاوامر الشريرة اليه ، يقول الامام ابو حامد الفزالي رحمه الله تعالى : ( والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملك ، ولقبول آثار الشيطان صلاحا متساويا ، ليس يتراجع أحد هما على الآخر ، وانما يتراجع أحد الجانبيين باتباع الهوى والاكباب على الشهوات ، او الاعراض عنها ومخالفتها . فان اتبع الانسان مقتضى الغضب والشهوة ظهر تسلط الشيطان بواسطه الهوى ، وصار القلب عش الشيطان ومعدنه ، لأن الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه ، وان جاهد الشهوات ، ولم يسلطها على نفسه ، وتشبه بأخلاق الملائكة عليهم السلام ، صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم . ولما كان لا يخلو قلب عن غضب وشهوة وحرص وطمع وطول أمل ، الى غير ذلك من صفات البشرية ، المتشعبية عن الهوى ، لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون لاشيطان فيه جولان بالوسوسة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد الا وله شيطان ٠ ٠ ٠ )

ثم قال : ( واكثر القلوب قد فتحتها جنود الشياطين ، وتملكتها فامتلأت بالوسوس الداعية الى ايثار العاجلة ، واطراح الآخرة ، ومبدأ استيلائها اتباع الشهوات والهوى ، ولا يمكن فتحها بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان ، وهو الهوى والشهوات ، وعمارته بذكر الله تعالى الذي هو مطرح أثر الملائكة ٠ ٠ ٠ )<sup>(١٤)</sup>

وقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبين لنا كيف يأتي الشيطان الانسان من طريق شهواته ، فقد أخرج النسائي بساند صحيح ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال : ( ان الشيطان قعد لابن آدم

(١٤) احياء علوم الدين ج ٤ ص ١٢٨٦ - ١٢٨٧ .

بطرق : فقعد له بطريق الاسلام فقال : أتسلم وترى دينك ودين آبائك ، فعصاه وأسلم ، ثم قعد له بطريق الهجرة ، فقال : أتهاجر : أتدع أرضك وسمائك ، فعصاه وهاجر ، ثم قعد له بطريق الجهاد ، فقال : اتجاهد ، وهو تلف النفس والمال ، فتقاتل فتقتل ، وتنكح نساؤك ، ويقسم مالك ، فعصاه وجاهد . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله أن يدخله الجنة )<sup>(١٥)</sup> . ففي هذا الحديث أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى معنى وسوسه الشيطان ، وضرب لها المثل ، وبين لنا الأبواب التي يدخل منها إلى قلوبنا ، وهي أبواب الشهوات مما يتعلق بالمال والشيطان والنساء .

عمل الشيطان هو الوسوسه والتزيين والقاء الاماني ، من أجل مصرف الانسان عن أمر فيه طاعة الله سبحانه ، وايقاعه في أمر آخر لا يحبه الله لعباده . فهدفه من هذه الاساليب تحريك ارادة العبد لفعل المعصية او ترك الطاعة . وذلك بان يصور للعبد الجانب المرغوب من المعصية ، ويزينه له ، ويظهره بشكل مبالغ فيه ، وهذا الجانب هو اللذة العاجلة التي تحصل للانسان بفعل المعصية ، او ترك الطاعة ، والتي تكون نتيجة مباشرة لاشباع شهوة في النفس . فان كان القلب الذي غزا الشيطان عارفا لحقيقة الامور ، وترتيب القيم ، وان الاشياء لا توزن بعاجلتها ، وانما بعاقبتها ، فانه يعلم ان هذه الشهوات التي يزين بها الشيطان فعل المعصية قيم رخيصة ، وان الوسوس الخناس الذي يلوح له بها لا يريد له الغير ، وانما يريد ان يجره الى الهاوية ، فلا يلتفت اليه . ويتكرر ذلك من الشيطان تجاه هذا العبد الصالح ولكن القاعدة التي استند اليها هذا العبد في دفع وسوسه الشيطان قاعدة ثابتة منطلقة ايمانه بالله واليوم الآخر ، ومعرفة بحقائق الامور مستمدۃ من علم العليم الخبير سبحانه ، وعندئذ يعلم اللعين ان لا سلطان له على هذا العبد المؤمن ، فلا يطمع فيه ، ما دام هذا العبد عارفا

(١٥) ذكر هذا الحديث الامام ابو حامد الغزالی في احياء علوم الدين المجلد الثاني ص ١٣٨٩ ، وقال عنه العراقي : اخرجه النسائي من حديث سبرة بن ابي فاکه باسناد صحيح .

لقيمة الدنيا وما فيها من شهوات ، وقيمة الآخرة ، وما فيها من نعيم خالد او عذاب مقيم .

وأما اذا كان القلب الذي يغزوه الشيطان مغرورا بالحياة الدنيا ومسترسلًا مع زينتها وشهوات النفس ، وغافلا عن عواقبها الوخيمة ، فإنه سيظهر القبول والاستحسان لتزين الشيطان ، لأن استرساله مع الشهوات ، ومطالب النفس ، وجهله بعواقبها كان مناخاً مناسباً لعمل الشيطان ، وتكون النتيجة قبول أمر الشيطان ونهيه وعصيان الله تعالى في أمره ونهيه .

هذا هو المدخل الواسع الذي يدخل فيه الشيطان الى قلب الانسان ، وهو مدخل الهوى بماله من دواع وروافد كثيرة . وطرق الشيطان متصلة بهذه الدواعي والروافد ، فله من شهوة السلطان والجاه وحب الذات الى النفس طريق واسع ، ومن شهوة البطن الى النفس طريق ومن شهوة الجنس الى النفس طريق ، ومن شهوة التملك وحب المال طريق ، ومن شهوة الظهور طريق . وميدان وسواسه وتزيينه هو هذه الشعاب المختلفة من الاهواء .

وهناك مدخل آخر للشيطان الى نفس الانسان ، لا يخلو عن علاقة مع الهوى ، وهو باب الغرور العقلي ، فإنه اذا ظن الانسان أن له القدرة العقلية المطلقة التي لا حدود لها في المعرفة ، دخل الشيطان من هذا الباب بجملة من الوساوس ، وأساليب من الشكوك والشبهات حول عقيدته بغالقه ، وصفاته سبحانه ، وما أخبر عنه من الامور الغيبية التي لا سبيل للعقل الى معرفة كنها او صفاتها الا بالغbir الصادق عن خالق الكون كله ، فتراء يزيين له السؤال عن ذات الله أحيانا ، وعن كيفيات صفاته أحياناً أخرى ، وعن أمور أخرى استثير الله بها في علمه المحيط ، وكل ذلك ليشككه باله ، وصفاته ، وأفعاله ، وبعقيدته بصورة عامة .

وانما قلنا : ان هذا المدخل لا يخلو عن صلة باليهوی ، لأن كثيرا من الناس يدخلون في الكفر ، والانحرافات في العقيدة ، من اجل تبرير ما يشتهون ، فيينظر بعضهم ممن استحكم هواه واتخذه لها من دون الله سبحانه وتعالى ، فيرى أن أشد ما يحول بينه وبين الاستغراق في شهواته أوامر ربه ونواهيه ، وفرائضه ومحرماته ، فاذا به يخرج على الناس باستحلال ما حرم الله سبحانه ، او بتحريم ما احل ، ويشرع الشيطان يزين له ما يهوى ويشهي ويزوده بما يظنه الجهول أنه حجج وليس بحجج ، فيوقعه في الكفر عن هذا الطريق .

ومن هؤلاء من استحكمت فيه شهوة السلطان، وحب الاتباع والشهرة، فيزين له الشيطان أن أحسن طريق لذلك انكار المعروف، وتبني المنكر، فاذا به يخرج على الناس بطريقة او مذهب يخالف فيه كلام الله وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يزين له الدعوة الى هذا المذهب ، ليكون له اشياع ومؤيدون ، فيجتهد في حمل الناس على اتباعه ، وربما يبذل من نفسه وجهه وماله ، ما يبذل له أهل الحق في الدعوة الى الحق . ومعظم أصحاب المذاهب والنظريات الباطلة ، أتاهم الشيطان من هذا الباب ، وزين لهم المراكن المادية والمعنوية ، رسول لهم الدعوة الى مذاهبهم الباطلة ، حتى غدوا من أئمة الكفر والعياذ بالله .

### طرق جهاد الشيطان :

تلك هي مداخل الشيطان ، الى قلوب العباد ، ويظهر لك مما تقدم أن هذا العدو يستغل في الإنسان جهله بحقائق الوجود ، ومطالب الرب تعالى ، ويستغل هواه وغفلته عن الله تعالى ، ويستهدف في عمله ايقاع العبد في معصية الله ، وصدّه عن طريق الهدى .

وإذا علم الانسان اساليب الشيطان ، وهدفه ، أمكنه ذلك من جهاده ومقاومته ، وذلك باغلاق الابواب التي يدخل منها ، وتفويت الفرص عليه ، وعمارة قلبه بما يخرج الشيطان منه ، ويبطل مفعول شره ووسواسه .

واول الطريق في جهاد الشيطان ، أن يؤمن الانسان بما أخبر الله عنه ، ويستشعر خطورته ، ليملأ قلبه بالعزم على مقاومته ومجahدته . والا فمن استهان بالأمر لم يكن قادرا على دفع أذى هذا العدو ، لأن من أهم العوامل التي يبني عليها النصر معرفة العدو ومدى خطره<sup>(١٦)</sup> .

فإذا تحفز العبد لمجاهدة الشيطان ، وعزّم على ذلك ، كان امامه طرق ناجعة واسلحة ماضية في مقابلة هذا العدو الخطير . وبقدر ما يستزيد منها يكون له النصر والغلبة عليه .

وهذه الاسلحة منها ما يزيد يقين العبد بربه ، وادراته لعظمته وجلاله ، مما يجعله يدرك استحقاق هذا الرب دون غيره للطاعة . ويكون هذا بالتفكير في ملکوت الله سبحانه ، وادامة رؤية النظر في عظيم صنعه ، وتأمل آياته المبثوثة في هذا الكون .

ومنها ما يزيد من الشعور بمراقبة الله عز وجل له ولغيره من المخلوقات ، ويكون هذا بالاستزادة من ذكر الله سبحانه ، بصفاته ، وما يليق بجلاله ، وتلاوة كلامه وآياته وعبادته بما شرع من الطاعات : فان ذكر الله يديم اتصال القلب به تعالى ، والقلب الموصول بآياته سبحانه حصن حصين لا يلجه الا الاطهار . وقلة ذكر الله تورث النسيان والغفلة ، مما يوفر البيئة المناسبة لعمل الشيطان .

وهكذا بالفکر يدرك العقل عظمة الله عز وجل ، ويستيقن بأحقيته سبحانه للطاعة والعبادة ، وعدم استحقاق غيره لشيء منها ، وعندئذ لا يلتبس على المؤمن ما يلقيه الشيطان من الشبهات حول عقيدته ، بل يعرفه حق المعرفة ، اذ تستقر في قلبه قاعدة واضحة ، وهي أن كل ما يمر بالخاطر مما لا يليق بالله وجلاله وكماله ، أو ينافق ما أخبره عنه فهو من الشيطان وتزيينه ووسواسه ، وخاصة ان ما يلقيه الشيطان ليس الا مجرد أوهام وشكوك ، لا دليل عليها ولا برهان ، فلا تقف امام

(١٦) انظر : المسائل في أعمال القلوب والجوارح ص ٥٥ ، ٥٦ .

الادلة والبراهين والمعجزات والآيات الدالة على الله ووحدانيته ، وعلى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبالذكر يظل القلب مستيقظا ، راجيا الله وخائفا منه ، مما يدفع صاحبه للالتزام بطريق الله في كل شأن من شؤون حياته . وقد علمت ان من طرق جهاد النفس حملها على الالتزام بهدى الله بعد معرفته . وذكر الله سبحانه أشد ما يدفع المؤمن الى هذا الالتزام .

وهاتان الوسائلتان : الذكر والفكر ، هما مسلك المؤمنين الصادقين ، كما أخبر عنهم ربهم ، سبحانه وتعالى ، فقد قال : ( ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهر لآيات لاولي الالباب ، الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ، ويتفكرون في خلق السماوات والارض : ربنا ما خلقت هذا باطلنا ، سبحانه ، فقنا عذاب النار) <sup>(١٧)</sup> .

وقال سبحانه : ( ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ) <sup>(١٨)</sup> . أي تذكروا ربهم وعقابه ، وجزيل ثوابه ، ووعده ووعيده ، فتابوا وأنابوا واستغذوا بالله ورجعوا اليه <sup>(١٩)</sup> ، وقال ايضا : ( والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا الذنب لهم ، ومن يغفر الذنوب الا الله ، ولم يصرروا على ما فعلوا وهم يعلمون ) <sup>(٢٠)</sup> .

والشيطان قرين كل انسان يعرض عن ذكر الله عز وجل ، ولا يتذكر في عظمته وجلاله ، ولا يستفيد من آياته ، وانما يمر عنها كالاصم الاعمى ، قال سبحانه : ( ومن يعيش عن ذكر الرحمن نقىض له شيطانا ، فهو له قرين ) <sup>(٢١)</sup> .

(١٧) آل عمران – الآياتان ١٩٠ ، ١٩١ .

(١٨) الأعراف – الآية ٢٠١ .

(١٩) انظر : تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٧٩ .

(٢٠) آل عمران – الآية ١٣٥ .

(٢١) الزخرف – الآية ٣٦ .

ومن الوسائل في مجاهدة الشيطان ما يساعد على الوقاية منه ، قبل شروعه ، فانه اذا كان هو النفس هو الباب الذي يدخل منه الشيطان الى قلب الانسان ، فلا شك ان احسن طريقة للوقاية منه هو جهاد النفس ، بحملها على تعلم ما يرضاه الله لها من العقائد والمناهج والمسالك ، وعلى الالتزام بما عرفت من الحق ، وحمل ما فيها من الغرائز والمطالب على حدود الله المفصلة في كتابه الكريم وعلى لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . ذلك ان عمل الشيطان هو التزيين والتدعيس على الانسان ، وقلب الحق باطل ، والباطل حقا ، بما يلقيه من الشبهات والوسوس ، فاذا كان عند المرء فرقان يفرق به بين الخير والشر ، والحلال والحرام ، سهل عليه التفريق بين ملة الملك وملة الشيطان . وهذا لا يحصل للمرء الا بجهاد النفس على العلم الذي يكشف له عن العلال والحرام ، والحق والباطل ، والخير والشر . فاذا تحصل له الفرقان ، ووثق صلته بالله بالذكر والفكر اللذين يزرعان في قلبه حب الله وخوفه ورجاءه ، استطاع حمل نفسه على الالتزام بأوامر الله ، وعصيان الشيطان في كل ما يأمر به وينهى عنه .

كذلك فان جهاد النفس بدعوة الناس الى الحق الذي عرفه بالتعلم هو جهاد للشيطان الذي استحوذ على الآخرين ، ومطاردة له في خارج نفسه ، بعد ان يكون قد طارده في داخلها . وهكذا فان جهاد النفس بما تقدم من العلم والالتزام والدعوة هو احسن وقاية للعبد من مكائد الشيطان .

ومن الوسائل الناجعة في مقاومة الشيطان ، مما يمنع استرサله مع العبد ، ويقطع طمعه فيه ، التوبة الى الله<sup>(٢٢)</sup> ، بالرجوع اليه ، واستغفاره سبحانه ، والاستعاذه به من الشيطان ، والندم على المعصية ، والعزم على الطاعة .

وبهذا تخلص ابو البشر آدم عليه السلام من الشيطان ، بعد ان وجد

(٢٢) العقائد الاسلامية - سيد سابق ص ١٥٢ .

إليه سبيلاً ، وأزله عما كان فيه من الخير ، فقد استطاع أن يغري آدم بالأكل من الشجرة ، وايقاعه فيما حظره الله عليه ، بأن حرك في نفسه بواعث الهوى ، قال تعالى : ( وقال : ما نهاكم ربكما عن هذه الشجرة ، الا ان تكونا ملكين ، أو تكونا من الغالدين ، وقاسمهما : اني لكما من الناصحين ، فدلاهما بغيرور ، فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة . وناداهما ربها : ألم أنهما عن تلکما الشجرة ، وأقل لكما : ان الشيطان لكم عدو مبين ) <sup>(٢٢)</sup> .

ولكنهما تخلصا من الشيطان ومكيدته ، بذكر الله ، والرجوع اليه ، والاستغفار فقا ، كما اخبر الله عز وجل : ( ربنا ظلمتنا انفسنا ، وان لم تغفر لنا وترحمنا ، لنكونن من الخاسرين ) <sup>(٢٤)</sup> . فقبل الله توبتهما ، واستجاب لهما ، كما قال سبحانه في موضع آخر : ( فتلقى آدم من ربه كلمات فتات عليه انه هو التواب الرحيم ) <sup>(٢٥)</sup> .

وكذلك علمنا ربنا ان نستعيذ به من الشيطان ، قال عز وجل : ( وقل : رب أعوذ بك من همزات الشياطين ، وأعوذ بك رب أن يحضرن ) <sup>(٢٦)</sup> ، وقال ايضا : ( قل : أعوذ برب الناس ، ملك الناس ، إله الناس ، من شر الوسوس الخناس ، الذي يوسموس في صدور الناس من الجنة والناس ) <sup>(٢٧)</sup> . والاستعاذه بالله في حقيقتها ليست مجرد كلمات تقال ، وانما هي اقرار القلب بعظمته الله ، وقدرته على كل مخلوق ، وان لا حول ولا قوة الا به سبحانه ، ثم طلب اللجوء الى حماه ، فمن فعل ذلك أعاده الله من الشيطان ، ومن كل سوء .

وهكذا بالذكر والفكير والعلم والتوبة يتحصن المؤمن من الشيطان ، ويخلص من مصايده وأحابيله ان وقع فيها .

(٢٢) الاعراف - الآيات ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٢٤) الاعراف - الآية ٢٣ .

(٢٥) البقرة - الآية ٣٧ .

(٢٦) المؤمنون - الآيات ٩٧ ، ٩٨ .

(٣٠) سورة الناس .

فمن كان حريصاً على صلته بربه ، ورضوانه وجناته ، وحسن ختامه ومصيره ، فليذكر ربه ، ولويتقه ، وليجاحد نفسه وشيطانه بالذكر والتقوى والتوبة ، ومن بدأ الطريق ، فله من الله عهد — ومن أوفى بعهده من الله — أن يهديه ويثبته ، ويفتح أمامه سبل الخير والصلاح ، ويرزقه الفرقان ، كما قال تعالى : ( وَالَّذِينَ جَاهُوا فِينَا لَنَهَدِنَّهُمْ سَبِلَنَا )<sup>(٢٨)</sup> ، ومن رام غير ذلك فليس أمامه إلا الهوى والشيطان ، وقليل من المتع في الدنيا وخلود في العذاب المقيم .

### صور من صنيع الشيطان في أهل هذا الزمان :

ان أهل هذا الزمان ، قد سلموا للشيطان العنان ، فاستغل فيهم بواعث الهوى ، وزين لهم الشهوات ، حتى غدوا لا يفكرون ، ولا يتصرفون ، ولا يحكمون الا من منطلق الهوى ، فترى سلطانه يادي الاشر في كل جانب من جوانب حياتهم ، وفي كل نشاط يصدر عنهم : في عقائدهم ، وأفكارهم ، وأخلاقهم ، وتصرفاتهم ، واقتصادهم ، وسياساتهم وفنونهم ، وجميع مسالكهم .

لقد كان اخطر الاوامر التي أصدرها شيطان الهوى هي تلك التي وجهها الى العقول المستعبدة والقلوب الذليلة ، فأمرها اول ما امرها ان ترفض كل فكرة تقطع على الشهوة الطريق ، او تخفف من نهمها ، او تقف في وجه شرهما ، حتى ولو كانت هذه الفكرة حقيقة من الحقائق الساطعات ، او بدهية من البدهيات .

وكان اخطر هذه الاوامر على الاطلاق ذلك الامر الذي وجهه لعقول عباده بانكار الخالق المدبر العاكم ، لأن هذه الحقيقة الكبرى ، وهي أم الحقائق ، تسد على الفرائز طريق التهور ، وتنمّعها من التمادي ، لأن الايمان بوحدة الله ، وقدر ومقدر وهاد وفق تقديره ، وعالم مستحق لأن يحكم ويدبر ، يلزم بخلع الهوى عن عرشه ، واسقاطه

من عليائه ، وتجريده من سلطانه ، اذ الخالق العليم هو الجدير بتسليمه المقاليد ، وهو الاحق بسياسة المخلوقات ، واذن فماذا يبقى للهوى من السلطان ؟

ولما كانت هذه الحقيقة من الرسوخ في الفطرة الانسانية ، ومن الوضوح في القلب البشري ، بحيث قد تصمد في قلوب الكثرين ، امام هجمات الغريرة الضاربة ، لهذا عمدت طواغيت الاهواء والشهوة الى اصدار امر آخر لهذا الصنف من الناس ، لا يقل كثيرا في خطورته عن الامر الاول : وهذه المرة ، وان كان الهوى يسمح لاتباعه بالاعتراف بخالق الخلق ، الا انه يأمرهم بعدم الخضوع له ، ويريد العاكمة خالصة لسلطانه هو ، بحيث يظل هو الامر الناهي . وكأنه لما عجز عن خلع تلك الفطرة من كيان الانسان ، عمد الى الاستيلاء على سلطان التوجيه والتدبر لقوى الانسان وطاقاته ، وهو المقصود الاول من محاولته الاولى ، التي وان نجحت مع كثير من الخلق ، الا انه لم تشملهم جميعا . وهذا الامر الثاني لم يسلم منه من الناس الا من رحم الرحمن الرحيم من اوليائه الصالحين .

ففدا الهوى والحال هذه ، هو المسير والمدبر ، والامر والناهي ، والمهيمن على جميع طاقات الانسان ، وفي جميع مجالات الحياة ، وأخذ بناء على ما خول من السلطان يصدر اوامره وتوجيهاته ، ومشروعياته وتخطيطاته : للعقل تارة ، والحواس تارة ، والجوارح تارة .

وكان من اخطر اوامره للعقل : ان تعايلي لي بكل حيلة ترضي نهمي ، وتشفي غليلي ، والعقل بفطرته منطلق نحو الاستنباط والاكتشاف ، لا يألو جهدا في الاختراع والابتکار . فعمد هذا العقل المأفون اول ما عمد ، الى تدعيم موقف الهوى بعيل من الافكار والنظريات ، كان على رأسها النظرية الشهوانية ، التي لا تعترف من قوى الانسان الا بقواه الجنسية والغريزية ، وترجع كل تصرف الى هذه القوى ، وتفسر كل خروج عليها بالكبث والمرض والشذوذ . وتلطخ كل عاطفة

انسانية بلوة الجنس . حتى احالت حب الطفل لامه ، والام لوليدها ، والوالد لطفلته ، والطفلة لابيها ، والاخ لاخته ، الى شهوة جنسية ومشاعر حيوانية ، غير لاهية عن اثاره العقد والكراءه على كل مشير لهذه الغريزة بالتروي والتربيه والاعتدال .

وكان من هذه النظريات المصفقة للهوى ، والمدعمة لمركزه وسلطانه ، والمنافعة عنده ، تلك النظرية التي اهابت بعيid الهوى أن لا يعترفوا الا بالمحسوسات والماديات ، وان لا يعملا لسوها ، ولا يتعبوا انفسهم الا في خدمتها ، ولا يدینوا الا بها ، مبغية من ذلك انكار القلوب ، والغاءها من حساب الانسان ، لأن اعمالها غير مرئية ولا ملموسة . وانما الملموس في هذه الحياة كل عمل غريزي ، وتصرف شهوانى . فالقوى الحيوانية عند هؤلاء هي الجديرة بالاعتبار ، والتعهد والتنمية . واما القلوب فلا وجود لها ، او هي مظاهر وثارات لتلك القوى الغريزية . وذلک حتى يستبعدوا من حساب الانسان اي حرص على أغذية القلوب ، ويثبطوا همته عن ابتعاء شيء منها ، وبهذا صرخ الاعلان الشيوعي على رؤوس الاشهاد : أن مطالب الانسان ثلاثة هي : المأكل والمسكن والجنس . واما الروح وغذاء الروح من المعاني والاعمال ، فهى عندهم خرافات واوهام .

بمثل هذه الافكار الشيطانية ، وعلى يد كتاب الهوى ، استقر للشهوة السلطان ونالت الدعم الفكري ، فتتمكن من الانسان . وبعدها قامت طالب العقل الشهوانى الذي اذله وسخرته ، بابتکار الوسائل والاساليب العملية لخدمتها ، واسباعها . فهب العقل مطينا للرب الجديد ، يجهد نفسه في تنفيذ أمره ، وكسب الحظوة عنده . وتخصصت العقول كل في مجال ، تبتکر من اساليب ارضاء الشهوة ما يعجز الانسان عن وصفه وتفصيله . وانما يجمع هذه الاساليب ثلث جبهات اتخذها الشيطان في حربه مع الانسان .

الاولى : جبهة الشهوة الفرجية ، او الغريزة الجنسية .

## الثانية : جبهة الشهوة البطنية .

### الثالثة : شهوة الجاه والسلطان ، وتملك قلوب العباد .

فاما الجبهة الجنسية ، فهي التي حقق فيها العقل الجنسي ، في هذه الايام ، انتصارات ساحقة ، على الفضائل والاخلاق . وذلك بما ابتكره من الاساليب والوسائل ، حتى اشار على عباد الهوى ببناء المؤسسات الجنسية ، واخترع لها من الوسائل ما يجعل المثيرات صديق كل انسان ، وفي كل زمان ومكان . وقام القادرون على حصر الذهن بتأليف كل منشط للفريزة ، وانتظموا في تخصصات ، وجعل لهم قطاعات و مجالات فاختص بعضهم بادارة تلك المؤسسات ، على وجه يحقق اقصى غاية من الاثارة ، وجعلت لهم الجوائز والكافيات ، واعلى المخصصات من الاموال التي خلقت اصلا ليكون فيها قوام العاملين النافعين من بني الانسان .

واختص بعضهم بتأليف الكتب الجنسية ، وآخرون بتلقيق القصص المثيرة ، واصناف من المهازل والحكايات ، بأسماء مختلفة ، وان تشابهت المسميات : تمثيليات ، وسرحيات وصحف ، ومجلات ، وأفلام وبرامج ومسلسلات وغيرها من المبتكرات .

ثم اشار هذا العقل المفتون لعيid الدرهم والدينار ، من اصحاب الاموال ان ادعموا هذه البذور في المجتمعات ، وسوف تحصدون اوفر المحصولات ، وذلك عندما تذوق الفرائز النهمات طعم هذه المشهيات ، فلا تملك تراجعا ، ويفلت من ايدي اهلها الزمام ، وعندئذ تمسكون منهم بالخناق ، فتختصونهم ، وتعصر ونهم عصرا ، ولا يكون لهم مناص ، من دفع الغالي والرخيص ، في جيوبكم ، وبنوككم ، لانهم ان التفتوا الى الوراء ، فسوف تلسعهم سياط الفريزة الثالثة ، وتردهم فيضانات الشهوة الطامة الفامر ، فيصفو لكم الجو ، وتنفردون في الميدان .

وما كانوا بحاجة الى مثل هذه الاشارات ، لان افواهم الشرهة مفتوحة لافتراض الضحايا ، واقتناص المناسبات . فتسابقوا الى توظيف

اموالهم في هذه المجالات ، فهذا احتضن لنفسه شركة افلام ، وهذا بيتا من بيوت الازياط ، وذاك مجلة من المجالات ، او صحفية من الصحف ، او غير ذلك ، ودعموها بأشكال من الدعايات ، مستبدين في ذلك كل سبيل لاسالة اللعاب ، والهاب الشهوات ، لانها هي الجنود المخلصة لهم في معركة جمع الاموال .

ولعل من اظهر انتصارات شيطان الهوى في جبهة الجنس حصوله على الطعم الفعال في اثارة الرجال ، واستغلاله اتم استغلال . وذلك عندما استطاع ان يستعبد المرأة ، و يجعلها آلة طيعة بين يديه ، يشكلها كما يشاء من الاشكال ، فأوحى ذلك الشيطان المريض لاوليائه وعيده ان طعامكم الشهي ، وشرابكم اللذيد ، وشفاء غليلكم في المرأة ، فأخرجوها ، وحررها بكل وسيلة ، وبكل حيلة . وووسوس لهم انه يجب ان تخرج المرأة من بيتها ، تحت اي عنوان ، ولكن قال لهم : احذروا ان تخرج بسترها وعفتها ، والا فلا فائدة لكم ، يجب ان تخرج في صورة اغراء .

نعم ، لقد قال الهوى لعيده : لن تكونوا مخلصين لي اذا سمحتم للمرأة بالخروج مستورة ، وقال لهم : لا تسمحوا لها ان تتلقى العلم منفردة ، بل يجب ان يكون التعليم مختلطا لان الهدف ليس هو معرفة الحقائق ، فان هذا هو بغية العقل والقلب ، واما انا الهوى فانه يحطماني ، نعم قال لهم : ابني اسمح لكم ان ترفعوا الشعارات ، وتزخرفوا العناوين ، ولكن احذروا ان تكونوا صادقين . نعم ، لا مانع ان يكون العلم عنوانا لدعوتكم ، ولكن يجب ان يكون الهدف تعلم الاغراء والاثارة ، وأسمح لكم ان يكون العمل عنوانا لدعوتكم ، ولكنه يهمس في قلوبهم : ابني أقصد تأجيج الشهوات ، واثارة الشباب ، ولا بأس ان تتسلى المرأة ببعض الاعمال التي تتحقق أوفرا وقت من غيابها عن منزلها .

والتفت الملعون الى زمرة اخرى من مستخدميه ، وقال لهم : الا تريدون المال ؟ الا تريدون ان يشار اليكم بالبنان ، ويكون ذكركم

على كل لسان ؟ أنتم أيها الكتاب ، ألهبوا مشاعر الشباب ، وتأثيروا في المرأة حب الغرور ، وسوف يساعدكم ما فيها من حب الظهور . وزين لهم ان هذا انفع لاقلامكم ، واكثر ادرا را لاربا حكم . وأنتم أيها القصاصون ، وأنتم أيها الصحفيون ، وأنتم يا اصحاب بيوت الازياء ، وأنتم يا صناع ادوات الزينة ، وأنتم يا أدباء ، وأنتم يا شعراء : هذه هي الارض الخصبة التي تدر عليكم الاموال ، وبها تتملكون قلوب الناس .

ثم التفت الى اصحاب السلطان ووسوس لهم : الا ت يريدون التمكين ، الا تبتغون الانفراد بالسلطان ، الا تخشون صيحة العقل والعقلاه : اذن فافتتحوا الجنودي الابواب ، واسمحوا لعملائي بالعبث والفساد ، وسوف اخرس العقول وأحمد لكم الضمائر ، فان في الناس طاقة اخرى ، هي طاقة الجنس ، من خصائصها اذا اعطيت السلطان ان تجمد الضمائر ، وتخرس العقول ، فاسمحوا لي باثارتها ، باساليبي وحيلي . اسمحوا لي بالتفوز الى بيوتهم عن طريق الاذاعة والتلفزيون ، اسمحوا لعملائي ببيع كتبهم ومنتجاتهم ، وشجعواهم ، اسمحوا لاقلامهم ، لمجلاتهم ، لاعمارهم ، لاغانيهم . ثم ربوهم كما اريد وضعوا لهم المناهج التي اريد ، وسوف ترضيكم النتائج .

هكذا خطط الشيطان لاوليائه ، وحبك خيوط المؤامرة ، ثم جاء دور المقصودين بها ، وهم الشباب والشابات ، فقام سمسار الشيطان يصرخ فيهم : الاختلاط ، البهجة ، المتعة ، التحرر أيها الرجال ، هل تكرهون الاستمتع ؟ وأنت أيتها المرأة ألا تعيني أن تشتتني ذاتك ؟

وعرف الشيطان ان هناك قليلا من بقايا الاخلاق . وان هناك بعض المسؤوليات والآثار التي قد تعدد من الانطلاق الغريزي الكامل . فأهاب بأوليائه أن يرتبوا الامور ، بحيث لا يخشى الشباب والشابات أية مسؤولية ، فاخترعوا لهم حبوبا تمنع من العمل وأذاعوها ونشروها ، وجعلوها ارخص الادوية ، بل ربما وزعوها مجانا في بعض البلاد ليساعدوا على انتشارها ، ونشر الرذيلة معها على اوسع نطاق .

وفي نفس الوقت وضعوا امام الشباب كل مثبط عن الزواج، واقاموا الحواجز المنيعة في وجوه الشباب عن ولوج هذه السنة المعقولة ، لأن شيطان الفريزة لا يقبل الاعتدال . ولا يرتضى أن يكون تحت رحمة العقل ، بعد ان اذله وسيطر عليه . وهذه شيمة كل ظالم متغطرس ، يخرج عن حدوده ، ويطغى أن رآه استغنى ، فلا يقبل بالتوسط والحدود المعقولة . لذلك وضع العرائيل امام طلاب الاعتدال في ارضاء هذه الفطرة بالزواج . حتى غدا هذا من اصعب الامور ، من التواحي المادية وغيرها ، حتى سمعنا ان معدل سن الزواج في كثير من البلاد لا يقل عن ثلاثين عاما ، حيث يقضي الواحد من الناس عمرا قبل دخول الحياة الزوجية ، يكون قبلها ، قد ران على قلبه من التجارب الدنسة ما هو كفيل بتعطيم أي زواج يقدم عليه بعد ذلك . نعم ، لقد أوصدوا امام الشباب الباب الذي يفتحه لهم العقل المستقل عن الشهوة ، وفتحوا لهم كل باب أمر بفتحه الهوى، ابتغاء تحويل الطاقة المهدأة لبني الانسان الى دوافع قوية للرذيلة .

هذا جانب من جوانب المؤامرة الشيطانية على القوى الانسانية ، يستهدف في مجمله تسخير هذه القوى لشهوة الجنس العميا ، واذلال العقل المستنير بنور الحق ليصنفو الجو للمنتفعين بالجهلية ، والمصطادين في المياه القدرة .

واما شهوة البطن ، فقد ربيت ودعمت في الانسان ، وجعل لها في هذه الايام نصيب من السلطان . وجعل في خدمة هذه الفريزة الوان من الفنون والوسائل والمؤسسات . بل لم تنس من دعم كتاب هذا القرن الذين سيطر عليهم الشيطان ، حتى ادعوا انه اوحى اليهم ان الانسان مخلوق ليأكل ، بالإضافة الى اهداف الفريزة الاخرى : فهو ينصب ويكسب ليأكل وينام ، وينام ويأكل ليكسب وينصب ، دورة لا يأتى عليها الا الموت ، يدعون ان ابن آدم وجد ليدور فيها ، قاتلهم الله انى يوفكون .

والشيطان لا يغفل عن تأجيج نار هذه الشهوة ، لانه يعلم ان شهوة البطن من أصول المهلكات ، كما يقول الغزالى رحمه الله : ( فبها أخرج آدم عليه السلام وحواء من دار القرار الى دار الذل والافتقار ، اذ نهيا عن الشجرة ، فغلبتهما شهوتها حتى أكلتا منها ، فبدت لهما سوءاتهما . والبطن على التحقيق ينبوع الشهوات ، ومنبت الادواء والآفات : اذ يتبعها شهوة الفرج ، وشدة الشبق الى المنكرات ، ثم تتبع شهوة الطعام والنکاح شدة الرغبة في الجاه والمال ، اللذين هما وسيلة الى التوسيع في اشباع الفرج والبطن . ويتبادر استكثار المال والجاه انواع من الرعوبات ، وضرورب من المنافسات والمحاسدات . ويولد من كل ذلك آفة النفاق والرياء ، وغائلة التفاخر والتکاشر والكبرياء . ثم يتداوى كل ذلك الى الحقد والحسد والعداوة والبغضاء . ثم يفضي ذلك الى اقتحام البغي والمنكر والفحشاء . وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة ، وما يتولد من بطر الشبع والاملاء ) ( ٢٩ ) .

واما شهوة الجاه والسلطان ، وتملك قلوب العباد ، فالملاحظ انها معززة السلطان في أهل هذا الزمان . حتى سول الشيطان لاولئاته ان كل شيء مباح في سبيل تحقيق العلو علىبني الانسان ، وتسخيرهم لاشباع الرغبات والشهوات ، حتى غدا التنافس والتناحر صيغة اهل هذا العصر . وتبع ذلك صنوف من التمزق والتباغض والتحايد . حتى اصبحنا نرى الامة الواحدة ، التي كانت خير امة اخرجت للناس عندما كانت متحررة من العبودية للهوى ، اصبحنا نراها مزقا من الدوليات والامارات ، التي يتربص بعضها ببعض . وغدوانا نرى كل مزقة من هذه المزق كتلا من الناس المتنافرين ، وفرقا وشيعا لا يجمعهم الا شهوة عارضة ، اذا انقضت عادوا الى تمزقهم ، وتباغضهم ، وتناحرهم . واحزاها يترقصون بعضهم ببعض ، ويتحينون الفرص للانقضاض على انفسهم . كل ذلك من اجل اشباع فريق منهم في حب

( ٢٩ ) احياء علوم الدين ، المجلد الثاني ص ١٤٨٤ .

السلط والتأله على العباد . وابتكروا لهذه الغاية من الوسائل والاساليب واستنبتوا لها من الافكار والخطط ما اجج بينهم نار العداوة ، بعثت سرت في دمائهم ، ودماء ابنائهم ، وتملك قلوبهم حب الانتقام : انقلابات واعتقالات وسجون ، وتعذيب ، واساليب في ذلك ابتكرها لهم العقل المستعبد لشهوة السلطان ، حتى اسست لها معاهد وجامعات تدرس فيها كيفيات التعذيب ، والجاسوسية ، وانتزاع الاعترافات ، وحمامات الادمغة ، لتكون قابلة لتلقي كل ما ينسب الى اصحابها .

وهكذا سخر العقل في امبراطورية الغريرة ، بثالوثها المتقدم ، لخدمة الهوى فاخلس له ايمانا اخلاقا ، ويسر له كل سبيل ، وحقق له جميع معاني الاستعباد والعبودية .

واما الجوارح التي خلقها رب كل شيء لخدمة العقل النزيه ، وطاعة القلب الصافي فقد وجهت وجهة اخرى ، واستعبدت بدورها للسيد الجديد . الهوى المتسلط ، فغدت العيون لا تبصر الا ما اريد لها ان تبصره مما يلذ لها هذا الطاغية المستبد ، فليس لها ان تنظر الا الى العورات ، وليس لها ان تقرأ الا ما يشبع النزوات . والاذان وظفت عنده لسماع المثيرات . واللسان الناطق غدا مسخرا في مملكة الهوى للنفاق والرياء والتدليس واثارة الشهوات وتردد الكلمات المسمومات .

واما الغرائز نفسها . فقد اصابها الغرور والتضخم في هذه الايام ، من كثرة ما قدمتها الشياطين ، ومن كثرة ما ربت عليها اولياء الشياطين . ولا عجب في ذلك . فان من المسلمات العلمية : ان العضو او الجهاز الذي يبالغ في استعماله يتضخم ويزداد نجمه ، ويتضاعف شره ، وحساسيته . في حين ان العضو الذي يقصى عن عمله فترة طويلة ، يضمى . ويتضاعل عمله . وتنكسر مملكته ، ويضعف احساسه . وان هذا المعنى ليدركه جيدا خبراء الاجسام ، والمتخصصون في رياضتها . ويبينون عليه قوانينهم وأساليبهم في تربية الاعضاء . وتنميتها بشكل متناسق جميل .

ولعلنا بمعارفه هذا السر الرباني المودع في الكيان الانساني نستطيع ان نفسر ما حملته اليها الاخبار عن ظهور جنس ثالث في بعض الدول المتقدمة الى الوراء ، جنس اضاع ما انعم الله عليه من الحب والعاطفة والقدرة على الانجاب ، بما جنى عليه شيطان التربية المادية ، عندما اغراه بالخروج من جنة فطرته الربانية ، فقاده الى متابعته التعقيد ، ومستنقعات الرذائل .

ولعلنا بهذا التوضيح نستطيع ان ندرك ايضا نتائج الاحصاءات والدراسات التي اجريت في كثير من مستشفيات المجانين في بعض الدول المتعروفة بعناديين التقديمية والعقلانية ، حيث اشارت تلك الدراسات الى أن معظم هؤلاء المحرومین من نعمة العقل كانوا قبل العرمان من عشاق مذهبة العقول ، ومدمري احتسائها . فان من يدرك هذه السنة الربانية لا يعجزه تفسير هذه الظاهرة ، لأن العقول كالسيوف يزيدوها الاستعمال حدة ومضاء ، ويزيدوها الاهمال صدأ وغباء . وهؤلاء المساكين كانوا يقصون عقولهم عن الاستعمال ، ويسدلون عليها ستائر النسيان ، حتى استمرأت الكسل على العمل ، ففقدت نشاطها ، ولما حاولوا اخراجها من غارها استعصت عليهم ، وافلت منهم الزمام ، وكانوا بذلك ضحية الانسياق وراء الشهوات والغرفيات فحق عليهم الجنون ، والانزواء عن مجرب العيادة الى مقبرة العقول .

فهذه سنة حاكمة لجميع طاقات الانسان وقدراته . فالعقل والقلب والغراائز والعواص والجوارح – وهي مصادر الطاقة في الانسان – خاضعة لها وملتزمة بها . والعقل متأثر كل التأثر بطريقة استعماله في اكتشاف الحقائق ، والاحساس بالمعانى . وان موقع الفضائل من صبر وعزّة وكراهة وشجاعة ، واخوة وتسامح ، وعدل ونظام ، وورع وهدوء ، وحكمة وطلقة ، وعفة ، وغيرها لهي تمارينات رياضية مفيدة للقلب والروح . وكذلك اكتشاف الحقائق والالتزام النفسي بمقتضياتها تمارينات سليمة للعقل الانساني . واما الرذائل من حمق وتهور وجبن

وبذخ وتقبح ، واستشاطة وتكبر ، وعجب ونذالة ، وهلع ومهانة ، وشره حيواني ووقاحة ، وجور وغش وحسد ، وغيرها ، جميعها تمارين تنحرف بروح الانسان ، وتنمي جذور الفساد في قلبه ، مع تضخيم بشع لمنطلقاته الغريزية ٠

وبعد هذا البيان لا استغرب ولا يستغرب العقلاء من امر كثير من شبابنا في هذا الزمان ، حيث احرزوا قصب السبق في احساسهم الغريزي بين مختلف مخلوقات الله التي تحس وتشعر ٠ حتى انك اذا نظرت الى احدهم وجدته غارقا في بحر من الجنس يلفه في يقظته ونومه ، وذلك من كثرة ما ربت له على غريزته ، ومن كثرة ما غذى هذا الاحساس بالصور العارية ، والقصص المثيرة ، والاغاني الماجنة والافلام الجنسية ، وغيرها من اشكال الفتنة والمشهيات ٠ وقد رافق هذا الجنون الجنسي مرض خطير اصاب عقول هؤلاء وارواهم ، وهو مرض اللامبالاة والبلادة العقلية ، والصدأ الروحي : حتى كثر بينهم الاقرار بالضرر والاقدام عليه ، والاعتراف بالذنب والاصرار عليه ، واكتشاف العق وجعله ظهريا ، وتبين الباطل واحتضانه ، ومعرفة الصواب وهجرانه ، فأصبحوا من قال عنهم الله تبارك وتعالى : ( سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبیل الرشد لا يتخدوه سبیلا ، وان يروا سبیل الغی يتخدوه سبیلا ، ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا و كانوا عنها غافلين ) (٣٠) ٠

فأصبح سلطان العقل ، والحالة هذه ، مخالفًا ، و اوامر معصية ، فضمر المسكين وتبدل ، واستقال من الحكم ، وافسح المجال لغيره من الغرائز الطاغية ، وكأنه مل وسئم من كثرة ما عصاه السفهاء ، فذل وخضع لسلطان الغريزة البلياء ، وهو بذلك يخضع لسنة الفطرة ، ويمثل لأمر الله عز وجل ، فقد أرسله خالقه نعمة للانسان ، فتيا نشيطا ، مستعدا لخدمته واسعاده ٠ ولكنه مأمور من قبل فاطره : ان كن

كريما ايها العقل اذا احترموك ، واهجرهم ولا تجد عليهم شيء ان هم  
هجروك .

ولما تظنن اخي القاريء ان في هذا الوصف مبالغة ، والا فكم من امر قضت فيه العقول بقضاء ، فوضعت اقضيتها العادلة على الرفوف ؟ وكم من امر حكمت بضرره وفعله الناس ؟ وكم من امر قضت العقول بغيريته فهجره الناس واحتضنوا سواه ؟ ألم يقل لهم العقل والعقلاء : ان شرب الخمر داء عضال فشربوه ؟ ألم يقل لهم العقل : ان الزنا جريمة مدمرة للفرد والمجتمع فأباوه ، وان لم يجرؤوا على التتصريح او حوا للناس بفعله بشتى الوسائل وصنوف المغريات ؟ ألم يقل لهم العقل : ان لكل مخلوق خالقا ، ولكل حي محييا ، ولكل ميت مميتا ، ولكل متغير مغيرا ، ولكل جيد مجددا ، ولكل لوحة جميلة مصورة ، فنظروا حولهم : بما فعلوه بأنفسهم مما يتهافت ازاء خلقهم وخلق السموات والارض ، طبقوا عليه القاعدة . وما وجدوه مخلوقا مما لم يقدروا على طوله من السموات والارض ، وما اودع فيهما من المبدعات ، تعاموا عنه وأغلقوا بصائرهم ، واستنكفوا عن الاعتراف بمقتضى تلك القاعدة فيه ؟

### حصاد التربية الشيطانية :

وهكذا غدت صورة الانسان ، بعد ان تلقفه الشيطان ، لو شاء ان يرسمها فنان : حيوانا غرائزه فاغرة فاما هي السيد المطاع بين جميع قواه ، ت يريد كل شيء يروي غليلها ، وعقلها ذليلا استسلم لذلك الجبار الظالم ، يأتمن بأمره ، ويخطط من اجله ، يبدع له قصورا من المتع والمشتهيات ، ويفلسف له جميع اوامره في فرضيات ونظريات . وجوارح مخلصة لذلك الطاغية المجنون ، تروح وتجيء رهن اشارته ، وتجلب له ما يريد من الخبائث .

وليس هذه صورة من الخيال ، انما هي بنت الواقع والحال ، حملت بها ووضعتها تلك التربية الشيطانية . فأثمرت هذه التربية اشكالا من الفتنة والموبقات ، وصنوفا من الشرور والآثام ، وكانت حصيلة كل ذلك عذابا لابن آدم ونكدا ومرارة وتعاسة . والبرهان على ذلك سهل يسير ، الا وهو النظر بعين البصيرة الى هذا الواقع المريض ، بما فيه من قيم وموازين وافعال وأخلاق وأحكام وصفات وأحوال .

هذه القيم المقدسة عند انسان هذا اليوم ، وهذه الموازين التي حملها يزن بها الاشياء ، وهذه المقاييس التي نصبـت لقياس الرجال : انظر اليهاـ ايها الاخ القارئـ في السوق الذي يتاجر فيه بالانسان :  
الذكر والاثنـى على السواء ، فـمـاذا تـرى ؟

من هؤلاء الذين علت اقدارهم ؟ ومن هؤلاء الذين يشار اليهم بالبنان ؟ ومن هم ابطال هذا الزمان ، الذين يلشعـ بـ ذـكـرـهـمـ الصـبـيـانـ ؟ من هؤلاء الذين اشتغلـتـ بهـمـ اـبـصـارـنـاـ وـاسـمـاعـنـاـ فـيـ اللـيـلـ وـالـنـهـارـ ، على الشـاشـةـ الصـفـيرـةـ وـالـكـبـيرـةـ عـلـىـ السـوـاءـ ؟ من هؤلاء الذين يصلـونـ بـقـفـزـاتـ سـحـرـيـةـ ، فـتـحـدـقـ بـهـمـ اـبـصـارـ ، وـتـنـحـنـيـ لـهـمـ الـظـهـورـ وـيـرـهـبـ جـانـبـهـمـ ، وـتـنـفـدـ اوـامـرـهـمـ ؟ ومن هؤلاء الذين رفـعـتـ فـوـقـ هـامـاتـهـمـ رـاـيـاتـ التـقـدـمـ وـالـتـعـرـرـ وـزـيـنـتـ جـبـاهـهـمـ بـشـارـاتـ الـعـلـمـ وـنـيـاشـينـ الـعـقـلـانـيـةـ ؟ ثـمـ من هـؤـلـاءـ الـذـينـ اـتـخـمـتـ جـيـوـبـهـمـ بـمـاـ جـعـلـهـ اللهـ قـوـاماـ لـلـنـاسـ ؟ ومن هـؤـلـاءـ الـذـينـ تـقـضـىـ حـوـائـجـهـمـ بـاـشـارـةـ ؟ وـهـؤـلـاءـ الـذـينـ يـتـشـرـفـ بـالـمـساـكـينـ بـخـدـمـتـهـمـ ؟ ومن هـؤـلـاءـ الـذـينـ تـفـسـحـ لـهـمـ الـمـجـالـسـ وـيـقـدـمـونـ فـيـهاـ ؟ ومن هـؤـلـاءـ الـذـينـ اـذـ تـكـلـمـواـ نـقـشـتـ كـلـمـاتـهـمـ بـمـاءـ الـذـهـبـ ؟ وـمـنـ هـؤـلـاءـ الـذـينـ تـسـلـطـ عـلـيـهـمـ الـاـضـوـاءـ ، وـتـسـتـرـ عـورـاتـهـمـ ، وـكـلـهـمـ عـورـاتـ ، بـلـ تـزـينـ عـيـوـبـهـمـ بـرـيشـ الـفـنـانـينـ ، حـتـىـ تـبـدـوـ باـهـرـةـ الـجـمـالـ فـيـ أـعـيـنـ النـظـارـ ؟ مـنـ هـؤـلـاءـ وـهـؤـلـاءـ وـهـؤـلـاءـ ؟ أـصـحـيـعـ هـمـ أـوـلـيـاءـ الـعـقـ اـمـ أـنـهـمـ خـدـامـ الشـيـطـانـ ؟ أـصـحـيـعـ هـمـ جـنـودـ الـعـقـلـ اـمـ عـبـادـ الـهـوـىـ ؟

اليس الذين تطاولوا في البناء حفاة الاخلاق وعراة الفضائل ؟  
اليسوا هم أولئك الذين اتخموا بالعظمة وانتفشو بالكرباء ، وتسلعوا  
بالغطرسة والتعالي ؟ أليسوا هم الذين اقتدوا بولي شقوتهم عندما  
تكبر على أمر ربه ، وأخذته العزة بالاثم ، فتعالى عن السجود لآدم  
اذ أمره الله بذلك ؟ أليس أبطال هذا الزمان أولئك الذين  
أحرزوا قصب السبق في تأجيج الغرائز واعمال نارها ؟ أليسوا هم  
أولئك الذين استخدموا الكلمة وال فكرة والحركة اسلحة يجهزون بها  
على البقية الباقيه من صفات الانسان التي تميز بها على العيون ؟  
اليسوا هم كتاب الرذيلة ، وشراط الغريرة ، ومسجدي الدعارة  
بالكلمات والحركات ، ومن أغراهم ابليس بالجاه وبعد الصيت وتكثير  
المال ، في مقابل ما يهدمون من مواضع التكريم في بني الانسان ؟ ٠

منذ متى اصبح ما يسمونه بالجمال ميدانا للسباق ؟ منذ متى  
اصبحت البشرية تعقد الامتحانات لتصنيف النساء الى جميلات  
وقيبيات ؟ ومنذ متى هوت المرأة المسكينة في هذا المستنقع ، فقدت  
بالاشارة تستسلم لتجار الفتنة ، فتسللهم أعز ما حبها خالقها ؟ ومنذ  
متى اقامت الانسانية لهؤلاء المستسلمات لغواية الشيطان وآولئك  
ممالك يتربعن على عرشها ؟ منذ متى قبل الناس بجميع هذه المهازل ؟  
اليس عندما وقع الانسان رجلا وامرأة بين احضان تلك التربية  
الشيطانية ؟

منذ متى اصبح النفاق والرياء والكذب والتتكلف مؤهلات الارقاء  
على سلم الوصول الى شرفات الجاه والثراء ؟ ومنذ متى غدا تجسيد  
العورات وتعريضها لأعين النظار خير ما يستجلب الشهرة ، واحسن  
ما يستجلب المال من جيوب العباد ؟ ومنذ متى اصبح المال والجاه اكسيرا  
اذا خالط الباطل غدا حقا ، و اذا تفاعل مع القبح حول قبuge الى حسن  
وجمال ؟ ومنذ متى اصبح انباء هذا الزمان أولئك الذين سخروا  
عقولهم واقلامهم لتمكين السلطان لغرائز الانسان ، و هيمنتها على  
العقل والجنان ؟ ٠

هذه هي بضاعة الشيطان ، عرضها في ابرز مكان من سوق النخاسة البشري الذي اقامه لابناء هذا الزمان . وفي زاوية من زوايا النسيان تختفي في هذه الايام جميع منتجات العقول من حق وفضيلة واتزان . وتراءهم رفعوا فوقها شعارات الرجعية والتاخر ، وتعطيل عجلة التطور ، ومقاومة الانفتاح والتحرر ، وضيق الافق والجمود ، او الجنون والتهور . والا فأين العلماء ؟ وأين العادلون ؟ وأين أنصار الحق ؟ وأين وضع المؤمنون بالحقائق . وعلى رأسها حقيقة الخلق والتدبر ؟ وأين دفن المتكلمون بصدق ؟ وأين حجبت الاصابع المشيرة الى الصراط المستقيم ؟ وأين ذهب بالذاهبين الى الله ، مصدر الحقائق كلها ؟ ماذا جرى ويجري لم يرفضون التملق والنفاق ؟ وماذا جرى ويجري لم امسكوا ايديهم عن النهب والسلب والارتشاء ؟ ثم ما تلك النظارات التي ترمق المتعففات الكاسيات ؟ هل اقترن اثما عندما حجبن مفاتنهن عن الحيوانات ؟ هل فقدن عقولهن عندما سترن نعورهن وجيوبهن كما امرهن رب العباد ؟ هل اجرمن عندما ادخلن زينتهن لازواجهن ؟ ام لانهن حرمن تلك الافواه الشرهة من زاد الغرائز والاهواء ؟ فغضب عليهم الشيطان عندما أبین التطوع في جيشه ، فسلطه عليهم يأكل لحومهن ؟ ماذا فعل بجميع هؤلاء الملبين لنداء العقل والقلب والفطرة ؟ ألم يلق بهم جنود الهوى في غيابه سجون الاهمال ان لم يزجوا بطائفة منهم وراء القضبان ؟ لماذا حكم عليهم بهذا الجور ؟ أليس لانهم يعطّلون مسيرة الركب المفتون عن التقدم الى الهاوية التي يسوقه اليها ابليس اللعين ؟

هذا هو السوق الذي يقوم فيه أبناء الانسان في معرض الشيطان . فتعال الى سوق آخر نشر فيه اللعين بضاعته : سوق معطيات الفكر والقوة الذهنية : المؤلفات والمخترعات والابتكارات .

ان الرواج في هذه السوق لكل غذاء ينمي في الانسان القوى الحيوانية لان العقل بعد ان خلع من مكانه ، وحل محله قوى الغريرة

والشهوة بمختلف أشكالها ، أخذت تصدر له الاوامر التي تدعى مركزاً ، وتنزيل في اذلاله واحتضانه :

فاما غريرة التعالي وحب استعباد الناس ، والاستيلاء عليهم ، فقد أصدرت تعليماتها للعقل القادر على الابتكار أن اختاري لي كل وسيلة لاذلال الناس: أريد أسلحة أرهب بها أصحاب العقول المترعررة من سلطاني أريد أساليب جديدة لتعذيبهم ! أريد خططاً مبتكرة للتجسس عليهم ومعرفة خبايا نفوسهم وآخرى مبنية عليها لغسل أدمغتهم من كل رواسب الحق العالقة بها ، أريد أحدث الوسائل في بث الفرقة بين الناس ، ليشتغلوا بأنفسهم ، فلا يجد أحدهم وقتاً ولا جهداً لانتقادى أريد فنونا من الدعاية تزين قبائحي ، وتستر معايبى بأبهى حلل الخديعة ، أريد اجهزة ومؤسسات تظل تعمل وتعمل ، وتدغدغ الناس ، فتغدر لهم لتطول غفلتهم ، أريد نظريات وفلسفات تباركى ، ووسائل أخرى لتدعم حاكimiتى أريد أنساب الشعارات والاعلام أرفعها بأعداد هائلة استر بها جرائمى ، حتى لا يكاد احد يرى ما تحتها من الفضائح والمخازي ، أريد وأريد وأريد !!!

غير أن أهل العاھلية لا يعيشون الا على المنافع المتبادلة ، او قل على المفاسد المتبادلة وهنا يرفع شيطان الجنس رأسه ، حيث يرى الفرصة مواتية فأبدى مطالبه ورغباته ، انه اشترط لنفسه ولم يدخل : أريد مكاناً مناسباً اعرض فيه منتجات العقل الجنسي ، مستشاري العبقرى : هذه نظرية في الجنس أريد ان تروج ، وهذه اخرى في نسبية الاخلاق ، وهذه ثالثة في الوجودية ، وهذه رابعة في انكار الحقائق ، وفي اولها وجود خالق ، وهذه خامسة ، وهذه سادسة ٠٠٠٠ وهذه عشرون أريد ان تؤلف فيها الكتب ، وتعرض على مشارف المعرض الفكري ، حتى يراها كل غاد ورائح . ثم اشترط لنفسه ايضاً وقال : هذه سموسي العملية أريد ان يكون لها الحظوة في السوق ، بشرط أن يكتب عليها «ترياق التقديمية والتحرر والتطور» : أغاني وأفلام ومواضيع ومساحيق وأصناف آخر كثيرة جداً :

وعقدت صفقة الجريمة بين الشيطان من جهة وشهوة الكبرياء وشهوة الجنس المسعور من جهة اخرى ، ونفذت بنودها ، وكان ضحيتها الانسان بكل ما فيه من المعانى الكريمة ، فكان ما كان من سطوة طواغيت وتناثر فرق ، وتمزق أمة ، وظلم وعذاب ، تأثر رجال ، وترجل أناث ، أحقية باطل ، وبطلان حق ، سقوط ابطال ، وتعاظم جهال ، استعباد اسياد ، وغطرسة عبيد ، عفن قلوب وصدأ أرواح ، مشردين معدبين ، غلاء حيوان ورخص انسان ، ندرة رجولة ووفرة ميوعة ، فضائل منبوذة وفواحش مبثوثة . وأخيراً تهافت أمة تحت أرجل كلاب البشرية . لقد صدقت يا رب اذ تقول : ( ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيمة أعمى )<sup>(٣١)</sup> .

### معالم في طريق جهاد الشيطان وأولياته :

أرأيت يا أخي القاريء ماذا اريد بالانسان في هذا الزمان ؟ أدركت أبعاد المؤامرة ؟ أبصرت الغراب الذي قاد اليه هذا الغراب ؟

والآن فقد آن الاوان للكلام عن الدواء بعد ان عرف الداء . ولكنني قبل هذا أؤكد ان الطريق الى الشفاء تبدأ من معرفة الداء والشعور بالآلام ، والاحساس الصادق بآثاره ، ورؤية اعراضه ، لأن هذا هو القوة الدافعة للبشرية المصابة لأن تتخلص من موقع الخطر ، وتحاشى مسببات المرض ، لتكون بعد ذلك مؤهلة لتلقي العلاج بتجرع الدواء .

وهنا اجدني مدفوعاً برجائي ان اكون من اتباع محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي يعز عليه عنت امته ، الحانى عليها ، العريض على هداها ، الرؤوف الرحيم بها . اجدني مدفوعاً ان انادي بعرقة المصاب ، ولهفة الفريق الذي لا يستطيع النجاة الا بصحة المدركين لا بعد المستنقع الشيطاني :

• (٣١) ط - الآية ١٢٤

يا اخوتي الذين عرفوا مصايد الشيطان ، وحددوا موقع القامة  
المبثوثة تحت أرجلهم ، وتبينوا اساليب اوليائه في جر الناس الى شباكه .  
يا هؤلاء تعالوا نفر الى مكان امين ، ونركن الى ركن ركين ، تعالوا نتخطى  
الحفر الشيطانية التي حفرها لنا اولياء الشيطان فيما رأينا وسمعنا .  
ان ربكم يدعوكم الى حصنه الحصين ، ويناديكم : ( ففروا الى الله ،  
اني لكم منه نذير مبين ، ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ، اني لكم منه نذير  
مبين ) (٣٢) .

والآن انتقل الى الخطوة الثانية في طريق الشفاء ، انها معرفة الدواء  
بعد معرفة الداء واسبابه ، والعزيمة القوية على الخلاص .

وان فضل الله واسع ، ونعمه سبحانه سباقة ، وانه يوم خلق الانسان  
لم يتركه لقمة سائفة للشيطان ، لانه يحبه ، اذ خلقه ، ولذلك كرمه  
يوم خلقه ، سخر له الملائكة ساجدين ، وما في السموات والارض خادمين .  
وجهزه بالسلاح الذي يذب به عن حماه ، وجعل بين يديه الدواء ،  
مفصلا لكل علة وداء ، وبعث له فرق الانقاذ من الرسل والانبياء .  
واما مادة الامتحان فكامنة في قبوله او رفضه لهدية الرحمن .

وان من اعظم نعمه علينا هذا القلب الذي يدل على بداية الطريق ،  
ويستبين معالمها في شعاب الحياة ، لذلك جعل مناط التكليف ، ومدار  
المؤاخذة والعقاب والمكافأة والثواب ، حتى عذر فاقدوه ، وروعي  
ناقسوه .

ولكنني اذ انطلق من منطلق القلب والعقل في اكتشاف طريق الخلاص  
اذكر بأمرین هامین :

الامر الاول : أن العقل ، أمم الاساليب الشيطانية في غواية الناس ،  
عمله أن يستبين الطريق ، وان يدل على الاصول ، وان يشير الى الجهة  
التي يكمن فيها العلاج ، وبعد قليل سنرى ان هذا القلب يقود المخلوق

الى الخالق ، ويلزم صاحبه بالاستقرار عند تعاليمه سبحانه ، والالتزام بتوجيهاته ، وتجرع دوائة المنزل له رحمة وشفاء ٠

ولكن ليس عليه ان يفسر كل جزئية ، ويدرك الحل لكل مشكلة ، والوضع السليم لكل حركة ، لأن هذا غير كائن بالضرورة الا من خلق الاشياء كلها ، والذي قدر الحركات ٠ كما يكون بصورة جزئية لمن علمهم هذا الخالق ، ودلهم على كثير من الحقائق ٠ والعقل يحدد المسار الصحيح الى الدواء ، ومكان وجوده ، والى هذا أشار الامام الغزالى رحمة الله تعالى بقوله : ( اعلم أن العقل لن يهتدي الا بالشرع ، والشرع لم يتبع الا بالعقل ، كالأنس ، والشرع كالبناء ، ولن يعني أنس ما لم يكن بناء ، ولن يثبت بناء ما لم يكن أنس ، وأيضا فالعقل كالبصر ، والشرع كالشعاع ، ولن يعني البصر ما لم يكن شعاع من الخارج ، ولن يعني الشعاع ما لم يكن بصر ، فلهذا قال تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه » ) ( ٢٢ ) ٠

وبعد ان يقوم العقل البشري بهذا الواجب ، ويوصل الانسان الى ربه ، يكون الانسان بكل حركة يتحركها وفق تعليمات الله ، وكل التزام لامر من اوامر الله منسجما مع العقل ، لانه هو الذي اوضله الى هذا المكان ، ووضعه في هذا المركز ٠ ويكون بعد ذلك كل خروج عن امر الله وكل مخالفة لتعليماته ، وكل خروج عن حكمه مخالفات صريحة ، ولكلمات عنيفة للعقل ، لأن هذا يقول له : النزم ربك ، فلا يمتنع ، ويقول له : التزم منهاج الله ، فلا يلتزم ، فيكون بذلك اضل من الدواب ، التي حرمت من الدليل ، فكانت معدورة في كل خطأ او انحراف ٠

الامر الثاني : ان القلب قادر على ادراك الوضع السليم ، والمؤهل للقيادة الى النجاة والدلالة على الحق ، هو القلب النظيف من ادران

( ٣٣ ) انظر : معارج القدس ص ٦٤ ٠

الهوى . فهو الذي يرى ، ويستطيع ان يعكس لصاحبه صورة الحقيقة في هذا الكون ، ليتخددا صاحبه دليلا في سيره . فهو كصفحة الماء الصافي او المرأة الصقيلة . واما القلب المحكوم للهوى ، فهو كصفحة المستنقع الملوث بالطين ، تنزلق عن سطحه صور الحقائق ، فلا يبين لها اثر ، ولقد صدق خالق القلوب اذ قال سبحانه : ( ان في ذلك لذكرا لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد ) <sup>(٣٤)</sup> ، ولا يقدر على الشهادة والرؤيا الا صاحب ذلك القلب الصافي . وهذا هو معنى وعيد الله ، المخيف ، الذي تفشر عن منه الجلود ( سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الارض بغير الحق ، وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبیل الرشد لا يتخددوه سبیلا ، وان يروا سبیل الغنی يتخددوه سبیلا ، ذلك بانهم كذبوا بآياتنا ، وکانوا عنها غافلين ) <sup>(٣٥)</sup> ، وهو ايضا معنى قوله تعالى : ( وفي الارض آيات للموقنين ) <sup>(٣٦)</sup> ، فالآيات مبثوثة للجميع ، ولكن الذي يراها هو صاحب القلب المزکي ، ويعمى عنها اصحاب النفوس المدنسة ، لذلك قال عز وجل : ( قد أفلح من زکاها ، وقد خاب من دساها ) <sup>(٣٧)</sup> ، وهو ما اشار اليه سبحانه بقوله : ( قل : هل يستوي الاعمى والبصیر ، أفلأ تتفکرون ) <sup>(٣٨)</sup> ، ولهذا لا ينتفع بالقرآن الا اصحاب القلوب الحرة ، ولا ينتفع به المکبلون بقيود الغرائز والشهوات .

وبعد ذلك ، فان مثل هذا القلب لن يصل صاحبه في معرفة الطريق .  
نعم سيجد نفسه ملقى في شعاب هذا الكون ، ولكنه سرعان ما يهتدي بالآيات البينات :

من هذا الذي رفع السماء ؟ من هذا الذي نشر النجوم في الفضاء ؟  
من الذي نظم عقدها ، ورتب حركاتها ، فلا تصطدم ولا ترتطم ؟ يا

<sup>(٣٤)</sup> ق – الآية ٣٧ .

<sup>(٣٥)</sup> الاعراف – الآية ١٤٦ .

<sup>(٣٦)</sup> الذاريات – الآية ٢٠ .

<sup>(٣٧)</sup> الشمس – الآياتان : ٩ ، ١٠ .

<sup>(٣٨)</sup> الانعام – الآية ٥٠ .

صاحبى : هذا الذى يستطيع ان يربىك ، لتدور نجما على سطح الارض في فلك لا تند عنه ، فلا تتحطم ولا تشقى . ثم من هذا الذى فرش الارض ، وأرسى فيها الجبال ، وانزل اليها الماء ؟ من الذى خلق كل شيء حولك ، فسواه ، ثم هداه ؟ يا صاحبى : هذا هو العبد يهدى اياتك . من هذا الذى يحكم الكون كله ، وانت منه بعض يسير ؟ هذا هو الحق ان ترفع له رايات الاستسلام ، وتدين له بالحاكمية . هو الذى يعدل بين قواك فلا يصيبك خور ، ولا يعتريك نك ، ولا يخالطك شقاء . لأن الذى فعل كل هذا لا بد انه اقدر على حكمك ، واعلم بوسائل تربيتك ، الا يعلم من خلق وهو اللطيف الغير )<sup>(٣٩)</sup> . ( ألم يهدى الى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدى الا ان يهدى )<sup>(٤٠)</sup> .

يا صاحبى أدرك نفسك ، واهرع الى هذا العظيم ، عليك بجواره فانه لا ولن يغريك . ان هذا الذى وسعت رعايته وعنايته جميع هذا الذى تراه من الكون الباهر لن يدخل عليك بالهداية والعلاج والعمادة .

هذا هو الامر الاول الذى يوجهه العقل المحايد المتحرر من سلطان الهوى لصاحبه الذى يبحث عن الطريق : أمر بتحويل الوجهة الى الله ، أمر بالفرار اليه ، أمر بتسليم مقاليد الامور اليه ، أمر بالاستسلام لحكمه وحاكميته ، أمر بالامتثال لنداء الله سبحانه : ( يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقنون . الذى جعل لكم الارض فرشا وسماء بناء ، وانزل من السماء ماء ، فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا الله اندادا وانتم تعلمون )<sup>(٤١)</sup> ، نعم : لا تشركوا به اربابا يربونكم معه ، ويسرونكم لكم ، ويضعون لكم المنهج .

وهنا أغتنم فرصة ثانية لأنادي الاخ القاريء ، الذى صدق بهذه الحقيقة ، ولا مفر من تصديقها لمن يفكر بعقله ، بعيدا عن حكم الهوى ،

• (٣٩) الملك - الآية ١٤ .

• (٤٠) يومن - الآية ٣٥ .

• (٤١) البقرة - الآياتان ، ٢١ ، ٢٢ .

أغتنمها لاناديه : انك في خيار بين ان توجه لقلبك أعنف صفة ، فيذل ويستسلم للغريرة البهاء ، التي ستقودك لا محالة الى تلك الهاوية التي رأيت بعض ابعادها ، ولا يعلم مداها الا العليم الخبير ، وبين ان تتشبث بقوة بحکم القلب الناصح لك . ولا اظن عاقلا يختار تدمير نفسه . اذن فقل يا اخي كما قال عبد من عباد الله ، اهتدى الى الحق ووصل الى هذا اليقين ، قل : ( اني وجهت وجهي للذى فطر السموات والارض حنيفا ، وما انا من المشركين ) <sup>(٤٢)</sup> ، نعم . يا أيها الاخ الباحث عن الهدى قل ( ان هدى الله هو الهدى ، وأمرنا لنسلم لرب العالمين ) <sup>(٤٣)</sup> ، وقل : ( الله يهدى للحق ) <sup>(٤٤)</sup> .

وما دمت قد اقتنعت بفطرك وعقلك ان الهدى عند الله فقل : ( اغير الله اتخذ ولها ، فاطر السموات والارض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل اني امرت أن اكون أول من اسلم ، ولا تكونن من المشركين ) <sup>(٤٥)</sup> ، وقل : ( ابني هداني ربى الى صراط مستقيم ، ديننا قيما ، ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ) <sup>(٤٦)</sup> ، وقل : ( اغير الله ابغى ربا وهو رب كل شيء ) <sup>(٤٧)</sup> .

وما دمت عرفت فالزم وقل : ( ان صلاتي ونسكي ومحبتي ومماتي لله رب العالمين ) <sup>(٤٨)</sup> ، فاذا حاجك اولياء الشيطان ، ودعوك الى مائدة ولهم فقل : ( اسلمت وجهي لله ) <sup>(٤٩)</sup> .

وبهذا يضع القلب الصافي صاحبه في اول طريق الهدایة ، ويضع بين يديه مقبض النجاة ، وفتح السعادة ، ولن يتركه ، بل سيأخذ بيديه الى الخطوة الاخرى ، اذا طلب منه تحديد المسار ، سيقول له : انك تنظر

---

- ٤٢) الانعام - الآية ٧٩
- ٤٣) الانعام - الآية ٧١
- ٤٤) يومن - الآية ٣٥
- ٤٥) الانعام - الآية ١٤
- ٤٦) الانعام - الآية ١٦١
- ٤٧) الانعام - الآية ١٦٤
- ٤٨) الانعام - الآية ١٦٢
- ٤٩) آل عمران - الآية ٢٠

حولك ، فترى الخالق قد وضع لكل مخلوق خطة يلتزم بها ، ويسيطر  
وتقها : الشمس والقمر ، والارض ببرها وبحرها ، وما فيها من  
حيوان وشجر ، وما ينزل عليها من مطر ، كل ذلك لـه قرآن يقرأه  
وينفذه ؛ ( ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الارض ،  
والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من  
الناس ) (٤٠) .

أفحسبت يا صاحبي ان تكون الوحيد بين مخلوقات الله منسيا من رحمته ، ومهملا من رعايته سبحانه ! لم ؟ وانت جزء يسير من هذا الكون الكبير ! لا بد ان لك قرآنا تقرأه ، ومنهاجا تنهجه ، وخطة تلتزمها ، فان سألت عنها فاني أنا القلب أستطيع ان اتبين لك قرآنك ، وصفاته ، وخصائصه ، من خلال قرآن الوجود الذي تراه :

انظر ، فهل ترى في خلق الرحمن من تفاوت ؟ هل ترى في صنعة الله من تنافض ؟ الا ترى اليسر والسهولة ؟ الا ترى الجمال والتناسق ؟ الا ترى الانسجام بين الدرة في أرضك والكوكب في سمائك ؟ الا ترى الاعجاز في نظام الكون ، بل في نظام اصغر المخلوقات واحقرها ، و (ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها )<sup>(٥١)</sup> ، في البعوضة والذبابة ، وفي العين والاذن واللسان . هل ترى في كل ذلك من خطأ او تلف او نقص او اضطراب ؟

يا صاحبي : انظر هذه الخصائص في الكتاب الذي تبحث عنه :  
أين الكتاب الذي يكرم فيه الانسان ولا يهان ؟ أين الكتاب الذي  
تشع في صفحاته معالم النور ؟ أين الكتاب الذي يخلو من الغرور  
والظن ؟ أين الكتاب الطاهر من التناقض والاختلاف ؟ أين الكتاب الذي  
أصحابه ويصيب الغيب فلا يزد ولا يخطيء ؟ ثم أين الكتاب الذي تحدى  
صاحبه أبطال اللسان ، وفرسان البيان ، فأعجزهم على مر الزمان ؟

- ٥٠) الحج - الآية ١٨ .
- ٥١) المسورة - الآية ٢٦ .

أين الكتاب الذي تحدى منزله أبناء الزمان بعرضه وطوله على أن يعرفوه ويغوروه ، وهو بين أيديهم ، وتحت سلطان مطابعهم ، فتكبلا بقيود العجز أمام هذا التحدي ؟ ثم أين هذا الكتاب الذي صنع الابطال ؟ أين الكتاب الذي صنع الحكماء من الجهال ؟ وأخرج الهداة من الضلال ؟ أين هذا الكتاب الذي وحد أمة مقطعة الاوصال ؟ أين هذا الكتاب الذي جرب فربى خير أمة أخرجت للناس ؟

ألم يتضح لك الامر يا سائلي ؟ ألم ينكشف لك العجب عن هذا الكتاب ؟ أليس هذا هو القرآن ؟ أية خصلة من خصال الكمال أخطأها هذا الفرقان ؟ اذن فهو كتابك وهو منهاجك المنزل لك من ربك سبحانه : ( ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ) <sup>(٥٢)</sup> . ( وتنزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ) <sup>(٥٣)</sup> ، وهو الذي قال فيه منزله تبارك وتعالى : ( قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ) <sup>(٥٤)</sup> . هو الميسر المدق في العطاء : ( ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مذكر ) <sup>(٥٥)</sup> ، هو الذي فصل فيه كل سبيل الى سعادتك ، انه مجمع الحقائق ، وتنزيل عالم الحقائق جمیعا : ( ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلمهم يتذكرون ) <sup>(٥٦)</sup> .

هذا هو حكم العقل للذين استرشدوا به ، وهنا يأتي أمره المنطلق من هذا الحكم العادل : يا سائلي عن الطريق ! هذا هو الدليل ، هذا هو قرآن ربك ، خذه بقوة واتل ما فيه ، تدبره ثم التزمه ، ولا تتغذى بهجورا . وهنا أغتنم فرصتي الثالثة لانادي المقلاء :

يا هؤلاء الذين عرفوا الداء ، وتوجهوا الى ربهم ، فمن عليهم بالدواء ، تجروا دواء ربكم ، خذوا ما آتاكم بقوة ، واذكروا ما

(٥٢) الاسراء - الآية ٩ .

(٥٣) الاسراء - الآية ٨٢ .

(٥٤) الاسراء - الآية ٨٨ .

(٥٥) القمر - الآية ١٧ .

(٥٦) الزمر - الآية ٢٧ .

فيه لعلكم تفلحون ، فان المعرفة لا تكفي في العلاج ، الا ترون وصفة الطبيب، لا تجدي المريض، ولو حصل على ما فيها، اذا اتخد الدواء ظهريا، ولم يتجرعه حسب الارشاد . وهذا قرآن ربكم بين أيديكم ، لا ينفعكم الا اذا تقلدتم سلامه ، وتجرعتم دواعه ، والتزمتم باشاراته ، ولكن خذوه كلا ولا تفرقوه ولا تجعلوه عضين . احذروا ان تخلطوه بغيره من سموم اولياء ابليس ، فيبطل مفعوله فيكم ، وتنقطع بكم الطريق ، فينطبق عليكم قول ربكم : ( أفتؤمنون ببعض الكتاب وتکفرون ببعض ، فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا ، ويوم القيمة يردون الى أشد العذاب ، وما الله بعافل عما تعملون )<sup>(٥٧)</sup> .

وفي هذه المرحلة من طريق الهدایة ينادي القلب الطاهر المطهر من دنس الهوى ، صاحبه السائل عن الصراط المستقيم :

اني أجد ربي قد من عليك بنعمه أخرى لا تعدلها الا نعمة معرفته سبحانه : ها هو قد أرسل إليك قرآننا آخر ، قرآننا عمليا تقلده وتأتسي به ، يعلمك الكتاب والحكمة ، ويوضح لك كيف تتجرع الدواء، نقطة نقطة ، وخطوة خطوة ، ( كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ، ويزكيكم ، ويعلّمكم الكتاب والحكمة ، ويعلّمكم مالم تكونوا تعلمون )<sup>(٥٨)</sup> . هذا هو محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام ، رسول الله إليك بالعلاج وكيفية استعماله ، الا ترى في قرآن ربك احالة صريحة على هذا الرسول ، ليوضح لك الطريق : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا )<sup>(٥٩)</sup> .

وأنت يا أخي العاقل: أناشدك الله أن تأخذ مكانك وراء هذا الرسول، وأن تسلمه نفسك ، ليزكيها وفق منهاج الله ، وان تغض بصرك

(٥٧) البقرة - الآية ٨٥ .

(٥٨) البقرة - الآية ١٥١ .

(٥٩) الاحزاب - الآية ٢١ .

وبصيرتك عن رسول الشيطان وكتبه ، فان ( الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ، والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد ، وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيناتهم ، وأصلح بائهم ، ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل ، وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ، كذلك يضرب الله للناس أمثالهم ) (٦٠) .

هذه هي معالم الصراط المستقيم في حكم العقل السليم ، حلقات من البديهيات ، كل بديهية توصل المستمسك بها الى أختها ، حتى يستقر به المطاف في نادي الرحمن ، ينتظرون فيه مصطفاه محمود أحمد ، يربهم ، ويلقنهم الاوضاع السليمة للاشياء ويفعل أمامهم ليقلدوه ويتبعوه .

وفي دوحة الرحمن الرحيم ، وفي ظلال كتابه الكريم ، وأمام أنوار رسوله العظيم عليه الصلاة والسلام ، ينعم الانسان بعنایة المنان : فيجد العقل مكانه ، ذاكرًا ربه ، متفكرا في ملكته ، مؤيدا لحكمه وتشريعه يتلقى الحقائق من خالقها ، ويفوزى بالمعرفة على مائدة العليم الحكيم ، ويفطم عن الضلال الفكري والعمى والتقليد :  
— ففي مدرسة الرحمن يتعلم القلب العبودية لله عز وجل ، فيتحرر من العبودية لغيره .

— وفيها يتدرّب على الاخلاص لله ، فيخلصه ذلك من التكلف والرياء والنفاق .

— وفيها يتعلم الخوف والخشية من الله ، فانما يخشى الله من عباده العلماء ، فيؤمن من سواه ، ويتحلى بالشجاعة والاقدام .

— وفيها يتعلم الصبر ، فلا يقتله الاسى ، ويتعلم الرضا بالقدر ، فلا يأسى على ما فات ، ولا يفرح بما أotti ، فلا يتمزق بين الحسرة على الماضي ، والامل الكاذب .

— وفيها يتعلم الحب لله ، فينخلع من حب الآفلين من الشهوات والعباد .

— وفيها يتعلم أصل الوجود ، ومصير الوجود ، فلا يتيه في صحراء الغرص والتخيّم .

— وفي هذه المدرسة يدرك الإنسان هدفاً يسعى إليه ، فلا يحار بين الأهداف الكاذبة والأمانى الخادعة .

— وفيها يتسلّم من رب الميزان الدقيق ، فلا ينحرف في وزن القيم والناس والأشياء . فيتعلم أن الوزن عند الله هو الحق ، وأن أكرم العباد أتقاهم الله ، وأكثراهم أخلاصاً له .

— وفيها يتعلم صفات الله الكريمة ، وأسماءه الحسنى ، فيكتسب من كل صفة خيراً كثيراً : فيتعلم أنه الله الذي لا اله إلا هو ، له الخلق والامر ، فلا يتوجه إلى غيره ، ولا يفزع إلا إليه في النوائب ، ولا يشعر بوحشة معه ، ولا براحة مع غيره . وأنه الملك الذي أوجد كل شيء ، وله التصرف المطلق في كل شيء ، فيغنى به ، ولا يشعر بالحاجة إلى غيره سبعاً ، فلا يذل مخلوق ، ويورثه ذلك الثقة والرجاء . وأنه السلام المؤمن ، مصدر السلامة والامن ، فيطمئن ويسكن ويأمن ولا يخاف سواه . وأنه العزيز الجبار المهيمن الذي لا نظير له ، ولا غالب له ، فيورثه هذا العلم خوفاً من الله ، ومراقبة له ، فيعتدل وينضبط ، وأنه الغفور الغفار ، فلا يتمزق حسرة على ما سبق منه ، حيث يلقن أن ( من يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله ، يجد الله غفوراً رحيمًا )<sup>(٦١)</sup> . وأنه المعز المذل الخافض الرافع ، ينزل – اذا شاء – العتاوة المتكبرين منازل الذل والهوان : ( ومن يهون الله فما له من مكرم )<sup>(٦٢)</sup> ، ويهب الدرجات العلام من يشاء من عباده ، وينصر أحباءه ، ويرفع أقدارهم . فيستفيد من ذلك خشية الله وخفض الجناح للمؤمنين ، ويزداد تواضعه واستعلاء على الكفار والطغاة وما يمكرون .

(٦١) النساء – الآية ١١٠ .

(٦٢) الحج – الآية ١٨ .

– وفي ظلال هذه المدرسة الربانية يجنب العقل كل ما ينافقه ، ويستحيل في حكمه ، فلا يذل ولا يخزى ، ولا يضمر ، ولا يستعبد للغريرة والهوى . نعم قد يلقن مالا يدرك فيه أبعاد المصلحة في الحال ، وان كان سيدركها في المال . وقد يخبر بما لا يستطيع ادراكه ب بنفسه من المغيبات ، والمصير الذي سيؤول اليه الانسان ، والعالم الآخر ، وما فيه من موجودات ربانية ، من النعم للمهتدين ، ومن النقم للفاوين ، ولا ضير عليه في ذلك ، ولا حيف عليه ولا ظلم ، لانه يعلم أن مخبره هو العليم اللطيف الغير . وهذه قضية اقتنع بها ، ولم يجد فيها اي تناقض ، بل يحكم بالتناقض في مخالفتها : فكم قبل العقل اخبار المختصين بما يتعلق باختصاصاتهم . الم يصدق الطبيب في تشخيصه ، نزولا عند ثقته بعلمه في هذا المجال ؟ الم يسترشد بالمهندس فيما يشير عليه ، نزولا عند ثقته بعلمه في هذا المجال ؟ الم يصدق الدليل في الصحراء نزولا عند ثقته بخبرته فيها ؟ فماذا عليه لو صدق اللطيف الغير فيما يخبره عما خلق ؟ وماذا عليه لو آمن بملائكته وكتبه ورسله ، وجنته وناره ، وقدره وقضاءه خيره وشره ؟ مَاذا على العقل لو آمن بما يخبره ربه الذي ( لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض )<sup>(٦٢)</sup> ، أليس من التناقض القاتل للعقل أن يقال : هذا عالم في الطب او الهندسة او الفلك او اللغة او أي نوع من أنواع العلوم ، ثم يقال : فاذا أخبركم بما هو عالم فيه فلا تصدقوه ، ولا تأخذوا بقوله ؟ أليس من التناقض والجهل اذن أن يقال : هذا رب السموات والارض وسع علمه كل شيء ، ثم لا يصدق ولا يحكم ؟

هذه بديهيات أعرض عنها كثير من الناس في هذه الايام : ألم نسمع بعض المضللين يلومون المؤمنين أنهم ما زالوا يصدقون بالمخيبات : بالجنة والنار والجن والملائكة والشيطان وعذاب القبر ، وغير ذلك مما أخبرنا عنه أصدق الصادقين ، مدعين أننا في القرن العشرين ،

وكان الحقائق تتبدل بتبدل الازمان ، وما علموا ان النفوس هي التي تهزل وتنتكس ، وان الحق حق في كل زمان ومكان . ألم يأتنا خبر المهزومين أمام خبث الغباء ، وكيد الكائدين للانسان : اولئك الذين تأولوا كل هذه المغيبات خوفا من اخراجهم من القرن العشرين ، وخيلا من أن ينسبوا الى القرن السابع والثامن ! اولئك الذين أحسنوا الظن بآولئاء الشيطان ، وأساءوا الظن بالعلم العلام ، فصدقوا الخراسين . الذين هم في غمرة ساهون ، وكذبوا صاحب اليقين . وان لهم شبهها بآولئك المنافقين الذين قال فيهم رب العالمين : ( بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا ، وزين ذلك في قلوبكم ، وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ) <sup>(٦٤)</sup> .

وكما أن العقل يبعد مكانه المناسب في هذا النادي الرباني ، فان الغرائز أيضا تجد مكانها الملائم لها ، فتسير لما خلقت له من خدمة العقل وعونه على القيام بوظيفته المفطور عليها في الدلاله على ربه : تطعم بقدر مقدور ، حتى لا تموت ولا تبور ، وتترعمن التمادي والتفريط ، حتى لا يصيبها الغرور .

وسوف تجد الحواس والجوارح مكانها أيضا ، جنودا تنفذ خطة الله الحكيمه ، مدعومة بتشجيعات القلب السليم .

هذا وان تفصيل خطة الرحمن في تربية الانسان لهو الامر الذي تنزل به الفرقان ، وبعث به المصطفى عليه الصلاة والسلام . انه رسالة الاسلام بكل ما فيها من احاطة وشمول ، وانما ذكرنا بعض معالم الطريق في خلاص الانسان من براثن الشيطان .

وهكذا فان طريق الحق بين ، وصوته واضح ، مهما حاول أسارى الهوى تعميته والتشويش عليه ، بضجيج الغرائز والشهوات . انه يقود العقلاء الى باب الرحمة الربانية . نعم ان الطريق اليه في هذا الزمان ،

الذى استشرى فيه أمر الشيطان محفوف بالكاره، ولكننا لستنا بعذورين: ألا ترى لو أن أحدنا كان يعلم طريقين : أحدهما سهل ميسور ، معبد مفروش بالورود ، ولكنه يقود الى النار . وآخر مهجور ، في سلوكه بعض مشقة ، ولكنه يقود الى جنة لا تعasse فيها ولا شقياء . أكنا تاركينه؟

نعم ، لن يتركنا الشيطان وأولياؤه ، ولكن يتركوا ركب الهدى يسير بهدوء ، بل سيرموه بسهام الترغيب بأشكال الشهوات والمبارات ، وسهام الترهيب والتخويف والسخرية والاستهزاء ، وانما يعيننا على مواصلة السير الى الله وقهـر الشـيطـان ما يـلي :

أولاً : أن نعزم على التغيير ، فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغروا ما  
بأنفسهم ، فلا بد من تغيير المسار ، بحيث ندير الظهور الى الشيطان  
وبضاعته وأساليبه ، ونتغذى عدوا كما قال لنا ربنا : ( ان الشيطان لكم  
عدو فاتخذوه عدوا ) (٦٥) ، ثم نتوجه الى الله ورسوله عليه الصلاة  
والسلام .

ثانياً : أن نوثق صلتنا بالخالق ، بالأكثار من عبادته وذكره ، والتفكير في خلقه ، ودعائه ، والخلاص له في أعمالنا وأقوالنا وأحوالنا .

ثالثاً : أن نتعرّف على مناهج الله في قرآنٍه بنية التداوي بدوائه ،  
واتخاذ أسلحته للوقاية من الشيطان وجنته ٠

رابعا : أن نأخذ مكاننا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونهرع  
إلى سنته الصحيحة .

خامساً : أن تأخذ موقفاً ايجابياً في جانب الحق ، ولا نقف على الحياد ،  
فإن هذه الحياة بغير متلاطم الامواج ، متزاحم التيارات ، لا يستطيع  
الانسان فيها أن يستقر في المكان الذي يريد ، ويثبت على ما آمن به ،  
ان لم يدافع ، ويهاجم ، ويصنع تياره بيديه ، قال تعالى :  
(ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ) (٦٦) . فيجب علينا

- ٦٥) فاطر - الآية ٦
- ٦٦) البقرة - الآية ٢٥١

ان ندعوا الى الله ، ونبين للضالين سوء خاتمتهم . وان نلمس م الواقع الالم في نفوسهم ، وكيد الشيطان بهم ، وندلهم على الطريق الذي هدانا اليه ربنا ، وفي أثناء ذلك يجب علينا ان ندخل في قلوبنا الكره للمنكر ، والحدق على الكفر والفسق والعصيان فان ذلك آخر حدود اليمان ، كما بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

سادسا : أن يبحث كل مؤمن عزم على تغيير مساره الى الله وجihad الشيطان وأوليائه عن اخوانه ، لنسير الى الله مجتمعين ، ونخطط في سبيله ، متفقين ، ونسق متألفين : فان الطريق واحدة ، والوسائل واحدة ، والهدف واحد ، وان القوة في التالق ، والضعف ، والفشل في التنازع والاختلاف .

سابعا : ان نحمل في قلوبنا ميزان الله في تقويم الناس والافكار والأشياء ، فنرفع ما رفع الله ومن رفع ، ونخفض من خفض الله ، ونحب ما أحب الله ، ونبغض ما أبغض الله ، ننظر بمنظار الله ، ونقيس بمقاييسه ، ونرى بما علمنا سبعانه : ( ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي الى صراط العزيز الحميد )<sup>(٦٧)</sup> . نسمع ربنا يقول : ( ولامة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم )<sup>(٦٨)</sup> ، ويقول : ( ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبتكم )<sup>(٦٩)</sup> ، فنحكم كما حكم سبعانه بغيرية المؤمنين ، وشرية المشركين ، ونسمعه يقرر : ( قل ما عند الله خير من الله و من التجارة )<sup>(٧٠)</sup> ، فنستمسك بالخير الذي دل عليه ونستعفف عن الشر الذي حذر منه ، ونسمعه يقول : ( فما أتيتم من شيء فمتع العيادة الدنيا ، وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون )<sup>(٧١)</sup> فتخلع عنا عبادة الشهوة والهوى ،

(٦٧) سبا - الآية ٦ .

(٦٨) البقرة - الآية ٢٢١ .

(٦٩) البقرة - الآية ٢٢١ .

(٧٠) الجمعة - الآية ١١ .

(٧١) الشورى - الآية ٣٦ .

ونهرع الى ما عند الله سبحانه ، ونسمعه ينادينا : ( هل أدلكم على تجارة  
تجيكم من عذاب أليم : تؤمنون بالله ورسوله ، وتجاهدون في سبيل  
الله بأموالكم وأنفسكم ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون )<sup>(٢١)</sup> ، فنتنافس  
في تجارة الله من ايمان وجهاد ودعوة الى دينه ، ونسمعه يقول : ( ان  
الظن لا يعني من الحق شيئا )<sup>(٢٢)</sup> ، فنرفض بشدة خرص الخراسين ،  
ونظريات المضللين ، ونتمسك بالحق المبين . ونسمعه يعلمنا : ( لا يغرنك  
تقلب الذين كفروا في البلاد ، متعة قليل ، ثم مأواهم جهنم وبئس  
المهاد )<sup>(٢٤)</sup> ، فلا تنبهر قلوبنا بتقلب الذين كفروا في البلاد ، ولا  
بجمعهم ولا بزيتهم . ونسمع مثل الله الذي ضربه لنا : ( وضرب الله  
مثلا رجلين : أحدهما أبكم لا يقدر على شيء ، وهو كل على مولاه ، اينما  
يوجهه لا يأت بغير ، هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل ، وهو على صراط  
مستقيم )<sup>(٢٥)</sup> ، فنقرب من قلوبنا الدعاة الى الله ، وننزع منها حب اولئك  
الضم الbekم الذين لا يعقلون .

١١) الصفر - الآياتان - ١٠، ١١)

• ۷۳ ۴۹۱ - نسخه (۷۳)

• ١٩٧ - الایتان ١٩٦ - آن عمر آل (٧٤)

٧٥) النحل - الآية ٧٦

## المبحث الثالث

في

### جهاد الكفار

هذا هو النوع الثالث من انواع الجهاد ، بالنظر الى الاعداء الذين يبتغون انحراف الانسان عن طريق الله عز وجل ، وهو جهاد الكفار .

والكافار أصناف من البشر ، استحوذ عليهم الشيطان ، وتملكهم الهوى ، انجرفوا في تيار التقليد الاعمى ، فكذبوا بآيات الله ، وكذبوا رسالته سبحانه ، واستنكفوا عن عبادته ، والخضوع له في أحكامه ومناهجه التي نزلها للناس ، وعبدوا غيره سبحانه وتعالى ، أو أشركوا معه غيره في العبادة ، واتخذوا لأنفسهم أحكاماً ومناهج وقيم وأخلاقاً بعيدة عن أحكام الله وشرائعه . وكثير منهم انتظم في تجمعات ، وأقاموا حياتهم كلها من فكرية وسياسية واقتصادية وأخلاقية وغيرها ، على هذا الكفر .

والكافار لا يقفون من المسلمين موقفاً مسالماً ، ولا يتركونهم يحققون مقتضى ايمانهم في الحياة ، أو يوصلون كلمة الله الى خلقه . وانما يقفون منهم موقف العداء ، ويصدون عن سبيل الله عز وجل .

هذه حقيقة أخبرنا بها الله سبحانه وتعالى ، وهو أعلم بخلقه ، قال تعالى ( ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا )<sup>(١)</sup> . فانظر الى قوله تعالى ( ولا يزالون ) مما يدل على أن العداوة طبيعة فيهم ، وليس مجرد امر عارض . وكذلك قوله تعالى : ( ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم )<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى : ( ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون

(١) البقرة - الآية ٢١٧ .

(٢) البقرة - الآية ١٠٥ .

سواء<sup>(٣)</sup> ) ، وقوله تعالى عن أهل الكتاب : ( ولن ترضي عنك اليهود ولا  
النصارى حتى تتبع ملتهم )<sup>(٤)</sup> .

فهذه الآيات وغيرها تقرر حقيقة نوايا الكفار تجاه المؤمنين ، وهي  
الكره والحدق ، ومحاولة تحويلهم عن طريق الهدى ، الذي هداهم اليه  
ربهم ، وتمني زوال النعمة عنهم . وكم أبرزت الآيات الكريمة هذه  
الصفة في الكفار ، صفة الصد عن سبيل الله عز وجل ، من ذلك قوله  
تبارك وتعالى : ( ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل  
الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ، ثم يغلبون ، والذين كفروا  
الي جهنم يحشرون )<sup>(٥)</sup> ، وقال تعالى : ( بل زين للذين كفروا مكرهم  
وصدوا عن السبيل )<sup>(٦)</sup> ، وقال تعالى : ( أن لعنة الله على الظالمين ، الذين  
يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا )<sup>(٧)</sup> .

كما أن هذه الحقيقة نتيجة طبيعية لحقيقة أخرى تقدم ذكرها ،  
وهي أن الكفر غالباً ما يكون ناتجاً عن اتباع الهوى ، والاستسلام للشهوات .  
ودعوة الله في الأرض تبتغي الحد من هذه الشهوات والاهواء ، لأنها  
أصل الفساد . فالكافر يعلمون خطر هذه الدعوة الربانية عليهم ، وعلى  
مكاسبهم ، فيقفون منها موقف العداء ، للحفاظ على تلك الشهوات التي  
استسلموا لها بتزيين الشياطين .

لهذا كان جهاد الكفار فرضاً على المؤمنين ، وضرورة حتمية ،  
للحفاظ على بذرة الإيمان في قلوب أصحابها ، و إيصال دعوة الله إلى  
خلقه .

(٣) النساء - الآية ٨٩ .

(٤) البقرة - الآية ١٢٠ .

(٥) الأنفال - الآية ٣٦ .

(٦) الرعد - الآية ٣٣ .

(٧) الأعراف - الآيات ٤٤ ، ٤٥ .

## كيف يكون جهاد الكفار :

وأما كيفية جهاد الكفار ، فلتوضيحا لا بد من التفريق بين وضعين اثنين :

الوضع الأول : وذلك عندما لا يكون للمؤمنين سلطان مادي في الأرض ، والجاهلية عامة طامة ، والسلطان المادي بيد أعداء الله وأعداء الإسلام ، يحكمون بغير منهج الله ويشرعون مالم يأذن به الله ، ويوجهون الناس بعيدا عن الله وما رضيه للعباد من الأحكام والقيم والأخلاق .

ففي هذه الحال يكون جهاد الكفار بدعوتهم إلى دين الله عز وجل : فيكون فرض عين على كل مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ان يشارك في جهاد الكفار بدعوتهم إلى دين الحق ، وبيان فساد عقائدهم ومناهجهم ، وبيان مخاطر ما هم فيه من البعد عن منهج الخالق : في الدنيا من الظلم والفساد ، وفي الآخرة من العذاب والهوان .

الا أن هذا الامر يبدأ بأن تقوم طليعة من المؤمنين اولى العزم (٨) بالتجمع والتنظيم ، ودعوة غيرهم إلى الانضمام إليهم ، ودعوة الناس إلى خلع الكفر عن انفسهم ، والدخول في دين الله ، والمشاركة في عملية البعث الإسلامي . وفي خلال ذلك تربى هذه الطليعة المؤمنة نفسها وتصوغ حياتها كلها وفق المنهج الرباني المفصل في كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وسنة المهديين الراشدين من صحابة الرسول عليه الصلاة والسلام . وتتميز بأخلاقها وقيمها وعقيدتها واسلوب حياتها عن الكفار والجاهليين . وتواجه الفتنة والابتلاءات بالصبر والثبات حتى ينتفي خبثها ويبيقى طيبها . فاذا وصلت إلى الحد الذي يرضي الله سبحانه ، وأنفقت من نفسها وجهدها وقتها وما لها ما يصلح ان يكون مهرا للنصر والتمكين في الأرض في ميزان الله ، فان الله وعدها – ومن أوفى بعهده من الله – أن ينصرها ويمكن لها ، فقد قال عز وجل : ( ولينصرن الله من ينصره ، ان الله

(٨) انظر صفات هذه الطليعة وخصائصها ومعامل طريقتها في كتاب « معلم في الطريق » لسيد قطب رحمة الله تعالى في مبحث « جيل قرآن فريد » وغيره .

لقوى عزيز )<sup>٩</sup> ، وقال : ( يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم )<sup>١٠</sup> . فهذا ثمن النصر والتمكين في الارض للمؤمنين ، ان ينصروا الله في ذوات نفوسهم بمجاهدة الشيطان والهوى ، واخضاعها لامر الله تعالى ، وان ينصروا الله في واقع الحياة بجهاد الكفار من أجل تحكيم شريعة الله في الارض ، يقول سيد قطب رحمه الله تعالى : ( ان الله في نفوسهم ان تتجرد له ، والا تشرك به شيئاً ، شركاً ظاهراً او خفياً ، والا تستبقي فيها معه أحداً ولا شيئاً ، وأن يكون الله أحب اليها من ذاتها ، ومن كل ما تحب وتهوى . وأن تحكمه في رغباتها ونزاواتها وحركاتها وسكناتها ، وسرها وعلانيتها ، ونشاطها كلها وخلجاتها . فهذا نصر الله في ذوات النفوس . وان الله شريعة ومنهاجاً للحياة تقوم على قواعد وموازين وقيم وتصور خاص للوجود كلها وللحياة ، ونصر الله يتحقق بنصرة شريعته ومنهاجه ، ومحاولة تحكيمها في الحياة كلها بدون استثناء ، فهذا نصر الله في واقع الحياة )<sup>١١</sup> .

فإذا كان ذلك من الفئة المؤمنة ، ونصرها الله على أعدائها ، دخلت في مرحلة جديدة ووضع جديد ، وكلفت تكاليف جديدة ، حيث زادت امكانياتها وقدراتها ، فيفرض عليها تغيير أسلوبها في جهاد الكفار بما يتفق مع هذه النعمة الربانية .

الوضع الثاني : وذلك عندما يكفي الله تلك الطليعة الصابرة بالنصر والتمكين ، فتأخذ زمام السلطان والتوجيه من يد الكفار ، ويمن الله عليها بالمنعة والقوة المادية ، ويكون لها دولة في الارض ، يكون جهاد الكفار المفروض عليها عندئذ بالدعوة المدعومة بالسلاح والقوة ، واستعمال هذه القوة عند امتناع الكفار عن تحقيق مطالب الدعوة الاسلامية :

(٩) الحج - الآية ٤٠ .

(١٠) محمد - الآية ٧ .

(١١) في ظلال القرآن - المجلد السابع ، ص ٤٥١ .

أما بالدخول في دين الله ، والانضمام الى ركب الهدى ، واما بالتخلي عن القيادة والتوجيه للمؤمنين ، وترك الصد عن سبيل الله ، والظلم والعدوان ، وسياسة الناس بغير ما أنزل الله من الاحكام العادلة ٠ ويكون ذلك بالدخول في ذمة المسلمين ، والانصياع لاحكام الاسلام المتعلقة بأمور الدنيا ٠ فان لم يقبلوا بأحد هذين الامررين ، وجب على المؤمنين أن يقاتلوهم بالرجال والسلاح الى ان تكسر شوكتهم ، ويوضع حد لشرهم وصدهم ٠

الا انه في مبدأ الدولة الاسلامية قد لا يتيسر لها من القوة ما يمكنها من الشروع في مقاتلة الكفار بعد امتناعهم من الاسلام ، فيكون الواجب على جماعة المسلمين عندئذ دفع العدوان ورده وعدم تمكين الكفار من النيل من المسلمين ٠

فاما نمت قوة المسلمين بفضل الله ، بعد اتخاذ الاسباب التي أمر الله بها ، كان فرضا على أمة الاسلام أن تقاتل جميع الكفار ، مبتدئة بأئمتهم وأشدتهم خطرا ، بعد دعوتهم الى الاسلام او الانخراط في ذمة المسلمين وعهدهم ، وامتناعهم عن احد هذين المطلبيين ، ويكون جهادهم وقتالهم وفق نظام رباني محدد في أهدافه ومبادئه واجراءاته ٠

### دليل ما تقدم :

ويدل على ما تقدم من كيفية جهاد الكفار وأوضاعه ومراحله سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام من أول بعثته الى أن توفاه ربه ٠ فقد اتبع عليه الصلاة والسلام في جهادهم خطة موحى بها من عند الله ، فنفذها والتزم في تنفيذها في جميع مراحلها أوامر الله ومنهجه ٠ وقد كانت هذه الخطة على النحو التالي (١٢) :

(١٢) انظر : زاد المعد في هدى خير العباد ج ٢ ص ٨١ ، المبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ٢ ، ٣ ، ٣٠ ، ٣٢ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢٠١ ، الميسرة الشرعية لابن تيمية ص ١١٤ ، حاشية ابن عابدين ج ٣ ص ٣٠٢ ، شرح العناية على الهدایة ج ٤ ص ٢٨٢ ، حاشية الصاوي على الشرح الصغير ج ٢ ص ٢٦٧ . آيات الجهاد في القرآن ص ١٩٣ وما بعدها وص ٢٠٨ وما بعدها .

١ - مرحلة التربية والاعداد العقائدي والفكري والأخلاقي ، والجهاد بالدعوة والبيان : وقد استغرقت هذه المرحلة جميع الفترة التي قضاها الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة بعد بعثته عليه الصلاة والسلام ، وقبل هجرته الى المدينة المنورة ٠

وقد ابتدأت بنبوة محمد صلوات الله وسلامه عليه ، حيث أوحى له ربه بقوله : ( اقرأ باسم ربك الذي خلق ) <sup>(١٣)</sup> ، فأمره عز وجل أن يقرأ في نفسه ، ولم يأمره آنذاك بتبلیغ <sup>(١٤)</sup> ٠

وفي مبدأ البعثة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه بتربيته أنفسهم بالعبادة المتصلة ، والتفكير في عظمة الله وجلاله ، وأخذ النفس على الخضوع له وتوطينها على الصبر ، واعدادها للحمل الشقيق ، حتى كان قيام الليل في مبدأ الدعوة فرضا على الرسول ومن آمن معه <sup>(١٥)</sup> ، قال تعالى : ( يا أيها المزمل ، قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا ، أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا ، انا سنلقي عليك قولا ثقيلا ان ناشئة الليل هي أشد وطئا وأقوم قيلا ، ان لك في النهار سبعا طويلا ، واذكرا اسم ربك وتبتل اليه تبتيل ، رب المشرق والمغرب ، لا اله الا هو فاتخذه وكيلا ، واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ) <sup>(١٦)</sup> ٠

فامثل عليه الصلاة والسلام وطائفة من الذين آمنوا معه ، حيث أخبر عنهم سبحانه وتعالى بقوله : ( ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك ) <sup>(١٧)</sup> ٠

وبعد ذلك أمره الله عز وجل بأن يجاهد بالدعوة والانذار ، فقال تعالى : ( يا أيها المدثر ، قم فأذنر ) <sup>(١٨)</sup> وان يبدأ بعشيرته الاقربين ،

(١٣) العلق - الآية ١ ٠

(١٤) زاد المعد ج ٢ ص ٨١ ٠

(١٥) انظر : احكام القرآن للجصاص ج ٣ ص ٥٧٦ ٠ سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٥ ٠ السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١١٤ ٠

(١٦) المزمل - الآيات ١ - ١٠ ٠

(١٧) المزمل - الآية ٢٠ ٠

(١٨) المدثر - الآيات ١ ، ٢ ٠

قال عز وجل : ( وأندر عشيرتك الاقربين )<sup>(١٩)</sup> ، ثم بالعرب ، ثم  
بالناس جمِيعا .

فقام عليه الصلاة والسلام وصحابته ينذرون ويبشرون ويصبرون على ما يلاقون من الاذى ، وظل عليه السلام ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح طوال بضع عشرة سنة . وفي خلال ذلك كان عليه الصلاة والسلام ومن معه من الصحابة يتعهدون أنفسهم بتوثيق الصلة بالله ، وجهادها والزامها بالصبر وتطهيرها من أدران الجاهلية وأخلاقها <sup>(٢٠)</sup> .

وفي هذه المرحلة كان الدعاة مأمورين بالكف عن القتال واستعمال السيف<sup>(٢١)</sup> كما أشار الله إليه فيما بعد ، حيث قال تعالى في سورة النساء : ( ألم تر إلى الذين قيل لهم : كفوا أيديكم )<sup>(٢٢)</sup> .

وفي الوقت نفسه كان القرآن الكريم يربّي هذه الفئة المؤمنة على ضبط النفس والصبر والثبات أمام ما يلاقون من الأذى والفتنة ، ويأمرهم بذلك ، من ذلك قوله تعالى : ( فاصبر ان وعد الله حق ولا يستخفنك الدين لا يوقنون ) <sup>(٢٣)</sup> ، وقوله تعالى : ( واصبر وما صبرك الا بالله ، ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون ) <sup>(٢٤)</sup> . وقوله تعالى : ( فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم . كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار ) <sup>(٢٥)</sup> . وكان ينهاهم عن مقابلة العدوan بمثله . ويأمرهم بالصفح والاعراض عن

٢١٤ - **الشعراء** (١٩)

(٢٠) انظر : **الجهاد في الاسلام** - محمد شديد ص ٣ - ٦ ، والفصل الاول من هذا الكتاب بيان واسع لما كان في هذه المرحلة من جهاد بالدعوة والبيان . وبال التربية للخلق والوجودان ، واقامة الاسس الاخلاقية في نفوس المعنين .

(٢١) انظر حاشية المصاوي على الشرح الصغير ج ٢ ص ٢٦٧ . آيات الجهاد ص ١٩٨ ، احكام القرآن لابن العربي - القسم الثالث ص ١٢٨٥ .

٧٧ - الآية (٤٤) النساء

٢٣) الْمُلْكُ الْأَكْبَرُ

٢٤) النها - الابن

٢٣٢ (٢٣٢) - الأدلة - العقائد

المشركين ، من ذلك : قوله تعالى : ( فاصفح الصفع الجميل ) <sup>(٢٦)</sup> ،  
وقوله : ( وأعرض عن المشركين ) <sup>(٢٧)</sup> ، وقوله : ( وأعرض عن  
الجاهلين ) <sup>(٢٨)</sup> .

ولكنهم كانوا في هذه المرحلة مامورين بان يتميزوا عن الكفار في عقيدتهم وأخلاقهم وأفكارهم ، حيث أمروا بعبادة الله وحده . وترك عبادة الاوثان والأخلاق المتفرعة عنها . يوضح ذلك نداء الله تعالى لقائد الدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( قل : يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ) <sup>(٢٩)</sup> وكذلك مواقف الرسول عليه الصلاة والسلام من مساومات المشركين ومطالبيهم .

وإذا كان الدعاة في مكة قد نهوا عن استعمال السيف والسنان في مقابلة العدوان ، فانهم كانوا مامورين بمجاهدة الكفار بالعلم الذي استقوه من القرآن ، والجعة والبيان <sup>(٣٠)</sup> . قال عز وجل : ( فلا تطبع الكافرين وجاهم به جهاداً كبيراً ) <sup>(٣١)</sup> . وهذه آية من سورة الفرقان ، وهي مكية ، والمقصود : جاهم بهم بما في القرآن من حق وفرقان وتفنيد لما هم عليه من العقائد الباطلة ، والقيم الهاابطة .

وهكذا فقد كانت هذه المرحلة اولى مراحل الجهاد . خاضت فيها الجماعة المؤمنة معارك قاسية ضد العقائد الفاسدة . والأخلاق والقيم والموازين الجاهلية وشهوات النفس ونوازعها . وهي معارك أشد في حقيقتها من معارك السيف والرماح ، وقد كان لا بد من الانطلاق منها ، لأنها كالاساس للمراحل الأخرى ، ولا يقوم بناء بغير أساس .

٢ - مرحلة التمييز المادي ( الهجرة الى المدينة ) : وكانت هذه مقدمة لمرحلة أخرى يباح فيها استعمال القوة المادية والعنف مع اعداء

(٢٦) العجر - الآية ٨٥ .

(٢٧) الانعام - الآية ١٠٦ .

(٢٨) الاعراف - الآية ١٩٩ .

(٢٩) الكافرون - الآيات ١ ، ٢ .

(٣٠) مجموع الفتاوى لابن تيمية - المجلد ٢٨ ص ٣٨ . أحكام القرآن لابن العربي القسم الثالث ص ١٢٨٤ .

(٣١) الفرقان - الآية ٥٢ .

الدعوة . وكان لا بد منها ليتغذى المؤمنون الوضع المناسب للذود عن أنفسهم ودعوتهم ، وكانت الظروف المادية والمعنوية في المدينة أكثر تحقيقاً مثل هذا الوضع .

ولم تكن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته من مكة فراراً وهروباً كما اصطلح عليه المبشرون والمترجمون للسيرة النبوية في لغات الغرب <sup>(٢٢)</sup> ، ولم تكن اعتزلاً أو ردة فعل لما لاقاه النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته من أذى الكفار وصودتهم . وإنما كانت تنفيذاً لخطة ربانية موحى بها من عند الله عز وجل هدفها كسر شوكة الكفار وازالة العقبات من وجه الدعوة .

فإله سبحانه وتعالى أوحى لرسوله **بـالـهـجـرـة** ، فدبر عليه الصلاة والسلام أمر الهجرة لأصحابه تحقيقاً لهذا الأمر الرباني . ومن أجل أن يصبحوا مؤهلين للتكليف الجديد بتغيير أسلوب مواجهة الكفار من مجرد الدعوة بالحججة والبرهان إلى قتالهم ورد عدوائهم ، ولذلك نزلت الآيات الكريمة تبارك هذا العمل وتشني على المهاجرين وتنعي على المتقاعسين . من ذلك قوله تعالى : ( لـلـفـقـرـاءـ الـمـهـاجـرـينـ الـذـينـ أـخـرـجـوـاـ مـنـ دـيـارـهـمـ وـأـمـوـالـهـمـ يـبـتـغـونـ فـضـلـاـ مـنـ اللهـ وـرـضـوـاـنـاـ وـيـنـصـرـوـنـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ ،ـ أـوـلـئـكـ هـمـ الصـادـقـونـ ) <sup>(٢٣)</sup> . وقوله عز وجل : ( وـمـنـ يـهـاجـرـ فـيـ سـبـيـلـ اللهـ يـجـدـ فـيـ الـأـرـضـ مـرـاغـمـ كـثـيرـاـ وـسـعـةـ ،ـ وـمـنـ يـخـرـجـ مـنـ بـيـتـهـ مـهـاجـرـاـ إـلـىـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ ،ـ ثـمـ يـدـرـكـهـ الـمـوـتـ فـقـدـ وـقـعـ أـجـرـهـ عـلـىـ اللهـ ،ـ وـكـانـ اللهـ غـفـورـاـ رـحـيـماـ ) <sup>(٢٤)</sup> ،ـ وـمـنـ جـهـةـ أـخـرـىـ تـوـعـدـ اللهـ الـذـينـ رـغـبـوـاـ عـنـ الـهـجـرـةـ وـرـضـوـاـ بـالـذـلـ وـالـبـقـاءـ فـيـ مـكـةـ فـقـالـ عـزـ وـجـلـ :ـ (ـ اـنـ الـذـينـ تـوـفـاـهـمـ الـمـلـائـكـةـ ظـالـمـيـ أـنـفـسـهـمـ قـالـوـاـ :ـ فـيـمـ كـنـتـمـ؟ـ قـالـوـاـ :ـ كـنـاـ مـسـتـضـعـفـينـ فـيـ الـأـرـضـ .ـ فـالـلـوـاـ أـلـمـ تـكـنـ أـرـضـ اللهـ وـاسـعـةـ فـتـهـاجـرـوـاـ فـيـهـاـ،ـ فـأـوـلـئـكـ مـأـوـاـهـمـ جـهـنـمـ وـسـاءـتـ مـصـيـرـاـ ) <sup>(٢٥)</sup> وـكـذـلـكـ نـهـىـ سـبـعـانـهـ عـنـ مـوـالـةـ الـمـؤـمـنـينـ الـذـينـ

(٢٢) انظر : آيات الجهاد ص ٢٠٦ .

(٢٣) الحشر - الآية ٨ .

(٢٤) النساء - الآية ١٠٠ .

(٢٥) النساء - الآية ٩٧ .

لم يهاجروا فقال : ( والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ) <sup>(٣٦)</sup> .

وما يدل على أن الهجرة لم تكن هروبا ولا فرارا ، وإنما مرحلة في طريق الجهاد ، ذلك الموقف الذي وقفته قريش منها ، فانها بذلت قصارى جهدها لتحول دون هجرة الرسول وصحابته ، وتمروا على قتله صلى الله عليه وسلم ، كما قال تعالى : ( واد يمكِّر بک الذين كفروا ليثبتوک او يقتلوك او يخرجوك . ويمكرون ويمكرن الله والله خير الماكرين ) <sup>(٣٧)</sup> . قال ابن اسحق : ( ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدتهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم ، عرفوا انهم قد نزلوا دارا ، وأصابوا منهم منعة ، فحدروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ، وعرفوا انه قد اجمع لعربهم ، فاجتمعوا له في دار الندوة — وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها — يتشارون فيما يصنعون في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين خافوه ) ، فاقتصر بعضهم حبسه في العديد ، واقتصر بعضهم نفيه ، الى أن قال أبو جهل ابن هشام : ( والله ان لي فيه لرأيا ما أراكم وقطعتم عليه بعد ، قالوا : وسا هو يا أبا الحكم ؟ قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فيينا ، ثم نعطي كل فتى سيفا صارما ، ثم يعمدوا اليه ، فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه ونستريح منه ، فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جمیعا ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جمیعا ، فرضوا منا بالعقل <sup>(٣٨)</sup> ، فعقلناه لهم ) <sup>(٣٩)</sup> ، فتفرقوا وهم مجتمعون على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٣٦) الانفال — الآية ٧٢ .

٣٧) الانفال — الآية ٣٠ .

٣٨) العقل : الديبة .

٣٩) سيرة ابن هشام ج ٢ من ٩٣ ، ٩٤ .

فانظر كم كانت قريش متاخفة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته ، حتى أجمعت ، لاول مرة على قتله عليه السلام ، وكانت من قبل تؤذيه بأساليب اخرى غير القتل ، فلما أفلت منها بعثية الله عز وجل طارده عليه الصلاة والسلام ، وحاولت اعادته الى مكة ، ومنعه من اتمام ما عزم عليه من الهجرة الى المدينة ، ولكن الله متم نوره ولو كره الكافرون . فنجاه هو وصاحبـه منهم ، كما سجل ذلك القرآن الكريم حيث قال تعالى : ( الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثانـي اثـنـي اـذـهـماـ فـيـ الـغـارـ . اـذـ يـقـولـ لـصـاحـبـهـ : لا تـعـزـنـ اـنـ اللهـ مـعـنـاـ . فـأـنـزـلـ اللهـ سـكـيـنـتـهـ عـلـيـهـ وـأـيـدـهـ بـجـنـودـ لـمـ تـرـوـهـ ، وـجـعـلـ كـلـمـةـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ السـفـلـيـ . وـكـلـمـةـ اللهـ هـيـ الـعـلـيـاـ ، وـالـلـهـ عـزـيـزـ حـكـيمـ ) (٤٠) .

كذلك حاولت قريش أن ترد كل من استطاعت رده من المؤمنين الى مكة لتفتنـه عن دينـه ، حتى كانت تفرق بين المرء وزوجـهـ ، وبين الام وولـيدـهاـ ، من ذلك ما رواه ابن اسحـقـ عن أم سـلـمـةـ أنها قـالـتـ : ( لما أـجـمـعـ اـبـوـ سـلـمـةـ الـخـرـوـجـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ رـحـلـ لـيـ بـعـيـرـهـ ، ثـمـ حـمـلـنـيـ عـلـيـهـ ، وـحـوـلـ مـعـيـ اـبـنـيـ سـلـمـةـ فـيـ حـجـرـيـ ، ثـمـ خـرـجـ بـيـ يـقـودـ بـيـ بـعـيـرـهـ ، فـلـمـ رـأـتـهـ رـجـالـ بـنـيـ الـمـغـرـةـ قـامـوـاـ إـلـيـهـ فـقـالـوـاـ : هـذـهـ نـفـسـكـ غـلـبـتـنـاـ عـلـيـهـاـ ، أـرـأـيـتـ صـاحـبـتـنـاـ هـذـهـ ، عـلـامـ نـتـرـكـ تـسـيرـ بـهـاـ فـيـ الـبـلـادـ ؟ـ قـالـتـ : فـنـزـعـوـاـ خـطـاطـ الـبـعـيـرـ مـنـ يـدـهـ ، فـأـخـذـوـنـيـ مـنـهـ ، قـالـتـ : وـغـضـبـ عـنـدـ ذـلـكـ بـنـوـ عـبـدـ الـأـسـدـ رـهـطـ أـبـيـ سـلـمـةـ ، قـالـوـاـ : لـاـ وـالـلـهـ لـاـ نـتـرـكـ اـبـنـنـاـ عـنـدـهـاـ اـذـ نـزـعـتـمـوـهـاـ مـنـ صـاحـبـنـاـ ، قـالـتـ : فـتـجـازـبـوـاـ اـبـنـيـ سـلـمـةـ بـيـنـهـمـ حـتـىـ خـلـعـوـاـ يـدـهـ ، وـانـطـلـقـ بـهـ بـنـوـ عـبـدـ الـأـسـدـ ، وـحـبـسـنـيـ بـنـوـ الـمـغـرـةـ عـنـدـهـمـ ، وـانـطـلـقـ زـوـجـيـ اـبـوـ سـلـمـةـ إـلـىـ الـمـدـيـنـةـ ، قـالـتـ : فـفـرـقـوـاـ بـيـنـيـ وـبـيـنـ زـوـجـيـ وـبـيـنـ اـبـنـيـ ) (٤١) .

٣ - مرحلة الدفاع المباح بالقوة المادية : وفي هذه المرحلة أباح الله عز وجل للدعاة أن يستعملوا السلاح والقوة المادية في دفع أذى

(٤٠) التوبة - الآية ٤٠ .

(٤١) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٧ ، ٧٦ ، ٤ ص ٨٣ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٢٢٥ .

المشركين ، ولم يوجب القتال عليهم اي عذابا . وانما تركه لظروفهم وامكاناتهم ، فان رأوا انهم يستطيعون مقابلة القوة بالقوة والسلاح بالسلاح فعلوا والله معهم ، والا فلهم أن يصبروا حتى يغدو بامكانهم ذلك .

وقد كانت بداية هذه المرحلة بنزول قوله تعالى : ( أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير ، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ، الا ان يقولوا ربنا الله . ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الامور ) (٤٢) .

وكان نزول هذه الآيات الكريمة بعد هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام وصحابته الى المدينة المنورة ، في أوائل العهد المدنى على القول الراجح (٤٣) . قال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد : ( فلما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وأيده الله بنصره وبعياده المؤمنين وألف بين قلوبهم بعد العداوة والاحن التي كانت بينهم ، فمنعته انصار الله وكتيبة الاسلام من الاسود والاحمر ، وبذلوا نفوسهم دونه ، وقدموا محبته على محبة الآباء والابناء والازواج ، وكان اولى بهم من انفسهم رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة ، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمعاربة ، وصاحوا بهم من كل جانب ، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والغفو والصفح ، حتى قويت الشوكة ، واشتد الجناح ، فأذن لهم حينئذ في القتال ، ولم يفرضه عليهم فقال تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير » ) (٤٤) .

(٤٢) الحج - الآيات ٣٩ - ٤١ .

(٤٣) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٨ ، السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١١٤ ، آيات الجهاد ، ص ٢١٠ ، الشرع الدولي في الاسلام لنجيب ارمنازى ص ٧٢ ، ٧٣ .

(٤٤) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٨ .

ويرى طائفة من العلماء ان هذا الاذن بالقتال كان في اواخر العهد المكي (٤٥) وان الهجرة جاءت بعد نزول الآيات السابقة ، لتمهد للجماعة المسلمة السبيل لتنفيذ ذلك الاذن . جاء في سيرة ابن هشام : ( قال ابن اسحق : فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في العرب ، وتابعه هذا العي من الانصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه ، واوى اليهم من المسلمين ، أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة ، والهجرة اليها ، واللحوق باخوانهم من الانصار . وقال : ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تؤمنون بها ، فخرجو أرسلوا ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة ، والهجرة الى المدينة ٠ ٠ ٠ ) (٤٦) ٠

هذا وقد رجح ابن القيم القول الاول بعده قرائين منها (٤٧) :

أ – أن الله لم يأذن بمكة لل المسلمين بالقتال ، حيث لم يكن لهم شوكة يتمكنون بها من القتال ٠

ب – أن سياق الآية يدل على أن الاذن بعد الهجرة وآخر اجهم من ديارهم ، فانه قال : ( الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق ) ، وهؤلاء هم المهاجرون ٠

ج – أن العاكم روى في مستدركه عن ابن عباس قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال ابو بكر : أخرجوا نبيهم ، انا الله وانا اليه راجعون ليهلكن ، فأنزل الله عز وجل « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » وهي أول آية نزلت في القتال ، واسناده على شرط الصحيحين ٠

(٤٥) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٨ ٠

(٤٦) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٧٦ ٠

(٤٧) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٨ ٠

ويرى الامام الشافعی رحمة الله تعالى في ترتیب مشروعيه الهجرة ومشروعيه القتال أن المسلمين في مكة ظلوا فترة من اول العشرة مستضعفین ، لم يؤذن لهم بهجرة ولا قتال ، ثم أذن الله لهم بالهجرة ، وأباحها لهم ولم يفرضها عليهم، فهاجرت طائفة الى بلاد الحبشة، ثم اذن الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة ، ثم كانت اباحة القتال للدفاع ، ثم فرضت الهجرة فرضا على من قدر عليها ممن بقى في مكة ، ثم أصبح القتال فرضا على المسلمين (٤٨) .

وعلى أية حال ، وسواء كان الاذن بالهجرة قبل القتال ، او كان الاذن بالقتال قبل الاذن بالهجرة ، او كان الاذن بهما معا ، فانه يستفاد من مجموع حوادث السيرة في هذه المرحلة وسابقتها ان الطليعة المؤمنة ، اذا غدت في مستوى من القوة في دينها وصلتها بربها وتفانيها من أجل دعوته سبحانه ، ومتانة رابطة الایمان فيما بين افرادها ، وجب عليها أن تعاول ایجاد قاعدة لها ، وتنمي عن الكفار في بقعة من ارض الله عز وجل ، تكون مناسبة – في تقدیر أهل الحل والعقد فيها – من النواحي المادية والمعنوية ، لولادة الدولة الاسلامية ٠ وان تبدأ من هذه اللحظة ، لحظة العزم على ایجاد القاعدة ، باعداد السلاح واصناف القوة ، وتستمر في تربية عناصرها وفق منهج الله ، لتدافع عن نفسها ودعوتها ٠ فاذا قدر الله لها النجاح في بناء تلك القاعدة وجب على كل مؤمن في اقطار الارض أن يهاجر اليها ، ويضع قدراته كلها في سبيل الله ودعوته ٠ ثم تدرج في البناء والاعداد لتکمل مسیرتها في جهاد الكفار ونصرة دین الله في الارض ٠

هذا وقد كانت السياسة الربانية في هذه المرحلة تفرض على الرسول صلى الله عليه وسلم وال المسلمين الاهتمام بقاعدتهم التي من الله عليهم بها في المدينة و تقويتها من الداخل ، ببناء الرجال ، وتوثيق رابطتهم ، والقضاء على الغلafات ، وعقد المعاهدات من أجل التمکن من الاعداد ٠

(٤٨) الام ج ٤ ص ٨٤ ٠ احكام القرآن للشافعی ج ٢ ص ١١ - ١٨ ٠

اما استعمال السلاح . فلم يعد في هذه المرحلة منها عنه كما كان الأمر في مكة . وانما ابيح اباحة ، ولم يفرض فرضا (٢٩) وخص بالدفاع عن النفس ومواجهة المعتدين من الكفار دون المسلمين . ويدل على ذلك قوله تعالى : ( اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ٠٠٠ ) فان هذا من أساليب الاباحة . وليس من أساليب الابيح (٣٠) . كما ان الآية تعلل هذا الاذن بما وقع من الكفار من الاعتداء على المسلمين وظلمهم ، فيفهم منها أن المباح في أول قيام دولة الاسلام هو مقابلة العدوان والظلم . وأما المسلمين من الكفار فلا يجوز التعرض لهم حتى يعتدوا .

٤ - مرحلة الدفاع الواجب بالقوة المادية : وكانت بعد أن اشتد ساعد الدعوة . فأمر الله سبحانه الدعاة أمراً أن يقاتلو من يقاتلهم دون من يساملهم . ولم يكن لهم في هذه المرحلة الخيار في أن يقاتلو أو يصبروا . وإنما فرض الله عليهم المجابهه ولكن للمعتدى دون المساالم . يقول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : ( ولما نضت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة من هجرته أنعم الله فيها على جماعات باتباعه حدثت لهم بها مع عون الله عز وجل قوة بالعدد لم يكن قبلها . ففرض الله عز وجل عليهم الجهاد بعد اذ كان اباحة لا فرضا . فقال تبارك وتعالى : « كتب عليكم القتال ٠٠٠ » (٥١) .

وروى ابو جعفر الطبرى بسنده عن الربيع في قوله تعالى : ( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا . ان الله لا يحب المعتدين )<sup>(٥٢)</sup> قال : ( هذه أول آية نزلت في القتال بالمدينة . فلما نزلت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتل من يقاتله ويكتف عن كف عنه حتى نزلت براءة )<sup>(٥٣)</sup> .

(٤٩) انظر : احكام القرآن للشافعی ج ٢ ص ١٨ . ١٩ . الام ج ٤ ص ٨٥ . زاد المعاد ج ٢ ص ٥٨ .

<sup>٥٠</sup>) انظر احكام القرآن لابن العربي - القسم الثالث ص ١٢٨٤ .

<sup>٥١)</sup> انظر : احكام القرآن للشافعی ج ٢ ص ١٨ . ١٩ . والام ج ٤ ص ٨٤ . ٨٥ .

١٩٠ - الآية - البقرة (٥٢)

٥٣) تفسير الطبرى - ٣ ص ٥٦٢ .

ويرى جماعة من العلماء ، انه لم تكن في تاريخ تشريع الجهاد مرحلة قصر فيها الوجوب على مقاتلة من يقاتل دون من يسامّل ، وانما كان الامر بقتل الكفار جميعا بعد أن انتهت مرحلة الاباحة ، واولوا قوله تعالى : ( وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ) بأن المقصود الامر بقتل الكفار بغض النظر عن بدمائهم بمقاتلة المسلمين او عدم ذلك ، وان قوله تعالى (الذين يقاتلونكم) انما هو تهبيج واغراء بالاعداء الذين هم لهم قتال الاسلام واهله ، وان قوله تعالى : ( ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين ) يراد به النهي عن قتل النساء والذراري ، واجتناب المحرمات من المثلة والغلول وغير ذلك ، ومن رجح هذا التأويل ابن كثير في تفسيره ، وروي عن عمر ابن عبد العزيز ومجاهد وابن عباس ، ورجحه ابو جعفر الطبرى في تفسيره أيضا (٥٤) .

ومن رجح القول الاول ابن قيم الجوزية ، فقد قال في زاد المعاد ( ثم فرض عليهم القتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم فقال : « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم » ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة ، وكان محرما ثم مأذونا به ثم مأمورا به من بدأهم القتال ثم مأمورا به لجميع المشركين : اما فرض عين على أحد القولين او فرض كفاية على المشهور ) (٥٥) . وذهب الى مثل هذا السيرخسي في المبسوط ، فقد ذكر ان الرسول عليه الصلاة والسلام كان مأمورا في الابتداء بالصفح والاعراض عن المشركين ، ثم أمر بالقتال اذا كانت البداية منهم ، ثم البداية بالقتال ، فاستقر الامر على فرضية الجهاد مع المشركين . . . (٥٦) .

(٥٤) تفسير الطبرى ج ٣ ص ٥٦٣ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٢٦ . ويدل مسلك الشافعى في تقسيم مراحل الجهاد على انه يرى هذا الرأى ، فقد ذكر مرحلة واحدة بعد مرحلة الاباحة ، وذكر من النصوص الدالة عليها آيات سورة براءة في القتال - انظر احكام القرآن ج ٢ ص ١٩ .

(٥٥) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٨ .

(٥٦) المبسوط للسرخسي ج ١٠ ص ٣ ، ٢ .

والظاهر ان النصوص الواردة في هذه المرحلة ، والتي استدل بها الفريقيان تتعتمل ما ذهبا اليه من التأويل ، الا انه يمكن ترجيح القول الاول بالنظر الى سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام في معاملة الكفار في هذه المرحلة ، ذلك أن السمة التي ظلت غالبة على سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم مع الكفار الى أن نزلت سورة براءة كانت تقوم على أساس مقاتلة المعتدين دون المسلمين ، فلم يبادر عليه الصلاة والسلام قوما بقتال حتى يعتدوا او يعزموا على العدوان او ينقضوا عهدا كان أبرمه معهم .

٥ - المرحلة النهاية : وهي مرحلة وجوب قتال الكفار جميعا ، سواء اعتدوا بالفعل أم لم يعتدوا ، ولم يستثن في هذه المرحلة من القتال سوى المعاهدين .

ولم تدخل الدعوة في هذه المرحلة حتى مكن الله للدعاة في الارض ، وأصبح لديهم القدرة على مواجهة الباطل وأهله في كل مكان ، وكان ذلك بعد فتح مكة . حيث خضع معظم العرب لحكم الله عز وجل ، فنزلت بعد ذلك سورة براءة ووضعت الاحكام النهاية للعلاقات بين الدولة الاسلامية ودول الكفار .

ومن آيات براءة التي وضعت الخطوط الرئيسية لهذه المرحلة النهاية في مواجهة الكفار قوله تعالى في حق المشركين : ( وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ) <sup>(٥٢)</sup> ، قوله تعالى : ( براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين ، فسيحوا في الارض أربعة أشهر واعنموا أنكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين ) . وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم العج الاكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله ، فان تبتم فهو خير لكم ، وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم . الا الذين عاهدتم من المشركين

ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا اليهم عهدهم  
إلى مدتهم أن الله يحب المتقين . فإذا انسلاخ الأشهر الحرم فاقتلونا  
المشركين حيث وجدتهم وخذلهم واحصرتهم واقعدوا لهم كل  
مرصد ، فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله  
غفور رحيم (٥٨) .

وقوله تعالى في حق أهل الكتاب ، وال موقف الذي يجب على المسلمين أن  
يقفوا منهم : ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا  
يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا  
الكتاب حتى يعطوا العزية عن يد وهم صاغرون ) (٥٩) .

وهكذا استقر حكم الجهاد في الإسلام على وجوب قتال كل من لم  
يقبل بدعة الإسلام أو الخضوع لها ، وهو واجب المسلمين في كل عصر  
إذا توفرت لديهم القوة والعدة الازمة (٦٠) .

هذا وفي ختام الكلام عن مراحل الجهاد التي مرت بها الدعوة  
الإسلامية في مواجهة الكفار نثبت تلخيصاً جيداً لهذه المراحل لابن قيم  
الجوزية ، فقد قال تحت عنوان « ترتيب سياق هديه صلى الله عليه وسلم  
مع الكفار والمنافقين » ما نصه : ( اول ما اوحى اليه ربه تبارك وتعالى  
ان يقرأ باسم رب الذي خلق ، وذلك اول نبوته ، فأمره ان يقرأ في نفسه ،  
ولم يأمره اذ ذاك بتبلیغ ، ثم أنزل عليه « يا أيها المدثر قم فأذنر »  
فنبأه بقوله « اقرأ » ، وارسله بـ « يا أيها المدثر » ثم أمره أن ينذر  
عشيرته الاقربين ، ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من العرب ، ثم أنذر العرب  
قاطبة ، ثم أنذر العالمين ، فأقام بضعة عشر سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة  
بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح ، ثم أذن له في  
الهجرة ، وأذن له في القتال ، ثم أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكتف عنمن

(٥٨) التوبة - الآيات ١ - ٥ .

(٥٩) التوبة - الآية ٢٩ .

(٦٠) انظر : فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٨٢ .

اعزله ، ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله ، ثم كان الكفار معه بعد الامر بالجهاد ثلاثة أقسام : أهل صلح وهدنة وأهل حرب ، وأهل ذمة ، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم وان يوغي لهم به ما استقاموا على العهد ، فان خاف منهم خيانة نبذ اليهم عهدهم ولم يقاتلهم ، حتى يعلمهم بنقض العهد ، وأمر أن يقاتل من نقض عهده . ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الاقسام كلها ، فامر فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب ، حتى يعطوا الجزية او يدخلوا في الاسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين ، والغنة عليهم ، فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالعجبة واللسان ، وأمره فيها بالبراءة من عهود الكفار ، ونبذ عهودهم اليهم ، وجعل اهل العهد في ذلك ثلاثة اقسام: قسماً أمره بقتالهم ، وهم الذين نقضوا عهده ، ولم يستقيموا له ، فحاربهم وظهر عليهم ، وقسم لهم عهد مؤقت لم ينقضوه ، ولم يظاهروا عليه ، فأمره أن يتم لهم عهدهم الى مدتهم ، وقسم لم يكن لهم عهد ولم يحاربوه ، او كان لهم عهد مطلق ، فأمر أن يؤجلهم أربعة اشهر ، فاذا انسلخت قاتلهم ٠٠٠ فقتل الناقض لعهده ، وأجل من لا عهد له او له عهد مطلق اربعة أشهر ، وأمره أن يتم للمؤمن بعهده عهده الى مدتة ، فأسلم هؤلاء كلهم ، ولم يقيموا على الكفر الى مدتهم ، وضرب على أهل الذمة الجزية ، فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام : مغاربين له ، وأهل عهد وأهل ذمة ، ثم آلت حال أهل العهد والصلح الى الاسلام ، فصاروا معه قسمين : مغاربين وأهل ذمة ، والمعاربون له خائفون منه ، فصار أهل الارض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف مغارب .

واما سيرته مع المنافقين فانه أمر ان يقبل منهم علانيتهم ، ويكل سرائرهم الى الله ، وان يجاهدهم بالعلم والعجبة ، وأمر ان يعرض عنهم ويغليظ عليهم ، وأن يبلغ بالقول البليغ الى نفوسهم ، ونهي ان يصلى

عليهم ، وان يقوم على قبورهم ، وأخبر أنه ان استغفر لهم فلن يغفر  
الله لهم ... (٦١) .

### تعقيب :

تلك هي الخطة الربانية التي أوحى بها الله الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم . وكان قدر الله عز وجل ان يدخل رسوله في جميع مراحلها . وأن يكلفه بتنفيذ جميع بنودها ، قبل ان يتوفى . ليتم الله نعمته على العباد ، بكمال الدين وبيان الصراط المستقيم .

فكان عليه الصلاة والسلام هو وأصحابه رضوان الله عليهم اذا دخلوا في مرحلة من مراحلها عملوا لما بعدها ، فيلتزمون بمنهج ربهم الذي كان ينزل به الفرقان على رسول الله في كل مرحلة ، حتى اذا تأهلوا لدخول المرحلة التالية تنزلت عليهم آيات جديدة وتكاليف جديدة تناسب المرحلة الجديدة . وهكذا حتى استطاع الجيل الاول من اجيال دعوة الاسلام أن يصلوا الى المرحلة النهاية ، وصاروا مكلفين بنشر دين الله في مختلف بقاع الارض . وقتل الكفار في أقطارها مبتدئين بالأخر منهن .

وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وترك الامانة لاصحابه وهم في هذه الحال ، فكانوا مكلفين بعد وفاته عليه السلام بمثل ما كان مكلفا به بعد نزول سورة براءة . وحمل جيل الصحابة رضوان الله عليهم الامانة باخلاص ، وسخروا جميع ما آتاهم الله من قوى وطاقات في سبيل نشر الدعوة ، وايصالها الى الخلق . فاهتدى على أيديهم كثير من خلق الله . وخلصوا من ظلم العاهليه ونكدها كثيرا من العباد ، ونشروا العدل الرباني في كثير من بقاع الارض . وكانوا بذلك ممثلين لقوله تعالى : ( الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ، والله عاقبة الامور ) (٦٢) .

(٦١) زاد المعاد ج ٢ ص ٨١  
(٦٢) الحج - الآية ٤١ .

وعندما ظهرت في الخلف بذرة الانحراف عن درب الله عز وجل ، صاروا الى الانحدار تدريجيا ، وكان انحدارهم متناسبا مع ما يقعون فيه من الانحراف ، حتى عادوا لا يستطيعون المبادرة بالقتال . ثم ازداد الانحراف عن منهج الله تعالى ، بمكر الماكرين من الشياطين وأعداء الاسلام ، وغفلة الغافلين من أهل الاهواء والشهوات من المسلمين ، حتى ضعفت دولتهم ، وصارت عاجزة عن الدفاع عن نفسها ، فابتلاهم ربهم بشرار خلقه من الصليبيين والتكار واليهود وغيرهم . ولم تكن الطريق للإنقاذ والخلاص في غمرة تلك المصائب والابتلاءات الا تلك الطريق التي سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته . وتلك الخطة الربانية في مواجهة الشر . وقد سلكها بعد الجيل الاول بعض الاجيال المسلمة في فترات من الزمن ، فمن الله عليهم بما من به على الاولين من النصر المبين ، من ذلك : الجيل الذي قاده الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز ، وذلك الجيل الذي قاده صلاح الدين في مواجهة الصليبيين ، وذلك الجيل الذي وقف أمام التكار وانتصر عليهم ، وغيرهم من الذين أنعم الله عليهم بادران تلك الحقائق ، والالتزام بمقتضياتها .

وهكذا ظلت دولة المسلمين تتراجع بين ضعف المنعرفين عن منهج رب العالمين وقوة المتمسكون بذلك المنهج ، حتى طفى الانحراف في أوائل هذا القرن ، وقضي على الخلافة الاسلامية ، بعد أن نجح أعداء الاسلام في اثارة العصبيات النتنية بين المسلمين ، وظهرت الدعوات الى القوميات بينهم . ولم يعد ل الاسلام دولة ولا للمسلمين قوة ، وصدق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه ابو هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لشوبان : ( كيف بك يا ثوبان اذا تداعت عليكم الامم كتداعيكم على قصعة الطعام تصيبون منه ؟ قال ثوبان : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، أمن قلة بنا ؟ قال : لا أنت يومئذ

كثير ، ولكن يلقى في قلوبكم الوهن ، قالوا : «ما الوهن يا رسول الله  
قال : حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال» (٦٣) .

وصار الناس في ديار الاسلام الى جاهلية جهلاء ، لا تقل عن تلك التي  
واجهتها دعوة الاسلام في أول مبعث الرسول عليه الصلاة والسلام (٦٤) .

وليس هناك من سبيل للخروج من هذه الجاهلية التي وقعنا فيها  
في هذا الزمان الا الرجوع الى الله عز وجل ، والى نظامه الذي نزله في  
القرآن ، وبينه رسوله محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ، فكما  
صلحت السموات والارض بخلق الله وتدبيره ، فانه لا صلاح لحياة  
البشرية الا بأمره سبحانه .

ولكن العودة الى الله لا تكون بالتمني ، وانما بالعزم والجهاد ،  
والجهاد الذي يوصل اليها له بداية ينطلق منها ، وليست البداية الا  
التي بدأ منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي الدعوة لله ، وصناعة  
الرجال وفق منهج الخالق عز وجل وتربيه طليعة مؤمنة ، وايجاد قاعدة  
صلبة ، تصلح لقيادة الناس في طريق الهدى ، والتددرج في ذلك حتى  
يستطيع أبناء الدعوة من أخذ الزمام ، واقصاء الطواغيت عن سدة  
الحكم والتوجيه .

وفي هذا المقام نجد من المناسب ان نوفي القاريء ما وعدناه من  
تخصيص مكان مستقل للكلام عن الجهاد بالدعوة الى الله ، ووجوبه على  
كل مؤمن بالله واليوم الآخر ، وضرورته وخاصة في هذه الايام ، بعد  
أن أقصى القرآن عن الحكم ، واستبدلت شريعة الله بشرائع وثنية  
أرضية ، ونصب الحكام انفسهم آلهة يشرعون للناس بأهوائهم .

(٦٣) رواه احمد والطبراني في الاوسط ، واستاد احمد حسن – انظر مجمع الزوائد ج ٢ ص ٢٨٧ ، وسنن  
ابي داود ج ٤ ص ٤٢٦ .

(٦٤) انظر بعض مظاهر فساد البشرية في كتاب «الدعوة الاسلامية» للدكتور صادق امين – الفصل الاول .  
وجاهلية القرن العشرين .

## الجهاد بالدعوة الى الله عز وجل وظيفة كل مؤمن :

ان ما يعم الناس من البلاء في هذه الايام، سواء كان على مستوى الافراد، وما هم فيه من القلق والحزن والتعاسة . وما يلاحظ عندهم من اختلال القيم واضطرباب المعايير ، او كان على مستوى الأمة ، وما سببته به من ذلة وهزيمة . انما هو نتيجة حتمية لاجتماع عاملين اثنين هما :

الاول : اجتهاد أولياء الشيطان في تلبية ندائهم . والصد عن سبيل الله عز وجل .

الثاني : تخلي المؤمنين عن مراكيزهم التي وضعهم الله فيها . وعن وظيفتهم التي ناطها بهم ، وهي الدعوة الى دين الله . ومجاهدة الشيطان وأوليائه .

وناس اليوم في هذا الشقاء سواء : الذين يدعون الايمان . والذين اتخذوا الشياطين أولياء .

والمؤمن لا يتتساع عن سبب ذلك بالنسبة للضالين . فان ربه يقول :

( ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكها . ونشعره يوم القيمة أعمى )<sup>(٦٥)</sup> . ولكن قد يتتساع المؤمنون لم لا يتميزون في ذلك عن الآخرين ، وهم الذين اعترفوا بالغالق لها . وبمحمد عليه الصلاة والسلام رسولا . وصاموا وصلوا وحجوا . فلم لا يتنزل على قلوبهم السكينة ، ولم لا يستثنون من العذاب الذي كلما نزل أصابهم كما يصيب الجاحدين ؟ !

لعل أهم سبب في ذلك انهم تركوا وظيفتهم التي قلدوها . حين قيل لهم عرفتم الحق فادعوا اليه . وادركتم الباطل فجاءكم . فلم يحرکوا ساكنا . ووقفوا متفرجين فنسيهم ربهم من فضله . وعمهم بعقابه . وأشارکهم في ذلك مع المجرمين . مصداقا لقوله عز من قائل : ( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة . واعلموا ان الله شديد

العقاب )٦٦) . نعم ان وظيفة المؤمنين التي جعلوها وراء ظهورهم في هذه الايام هي الدعوة الى دين الله الذي اعتنقوه ، والحق الذي عرفوه .

ان الدعوة الى الله ودينه فرض من فروض الاسلام . ولن يستطع ابداً ولا نفلاً ، بل إن الجهاد بالدعوة يقع من الایمان في خمسة مواقع : فهو اولاً مقتضى من مقتضيات الایمان . والتصور الاسلامي للكون والحياة والانسان . وهو ثانياً علامة الایمان الصادق . وهو ثالثاً وقاية للايمان من الضعف والضمور ، وهو رابعاً غذاء للايمان وتنميته له وهو خامساً شرط لتمام الایمان وصدقه . واليكم فيما يلي تفصيل هذه المواقع :

#### أولاً : الجهاد بالدعوة مقتضى من مقتضيات الإيمان :

فإن واجب الدعوة إلى دين الله هو أول التزام يلتزمه المسلم تجاه ربه بالتصديق بالاسلام . وأول تبعة يتحملها بالایمان بخالقه . وتصوره عن مركزه الذي جعله الله فيه في هذا الكون :

فالمؤمن بایمانه قد اقر بقلبه ولسانه ان لا اله الا الله ، وان محمد نبيه ورسوله . وكل واحدة من هاتين الشهادتين تلقي على عاتق صاحبها مسؤولية الدعوة الى الله عز وجل . والجهاد في سبيله .

فبالشهادة الاولى يقر المؤمن ان لا أحد يستحق الخضوع والعبادة والطاعة الا خالق السموات والارض . وهذا الاقرار بحمله تبعتين : الاولى : تحقيق العبودية الخالصة لله تعالى في ذاته هو . بحيث يلتزم في نفسه بتوجيه جميع مظاهر العبادة واشكالها لربه . وان لا يتوجه بشيء منها لغيره سبحانه وتعالى . والتبعه الاخرى تجاه غيره من رفض العبودية لله تعالى . وجعلها لغيره سبحانه . فان الایمان يلزم صاحبه بأن لا يقف موقفا سلبيا من هؤلاء . فانه يعتقد انهم معتدون متباو زون لعدودهم . لأنهم عبدوا من لا يستحق العبادة، وتركوا عبادة من يستحقها

وهو الله عز وجل ، مع انه خالقهم . فاذا كان المؤمن عبدا خالصا له تعالى فانه لا يقبل منه ان يظل ساكتا ازاء ما يرى من العدوان على حق ربه .

وتفصيل ذلك انه ليس من مخلوق الا وخلقه الله تبارك وتعالى ، وهو مالكه : فالارض ارض الله ، والناس عياله .

وقد جعل الله لعياله في الارض نظاما ، ونزل فيهم احكاما ، وحد لهم حدودا هي حرماته ، وجعل لهم فيها قيما وموازين واحللا ، واستخلفهم في الارض ، على ان يقوموا بتبوعات الغلافة ، ويلتزموا بشروطها ، وجعل اول بنود ذلك العقد معهم : أن يؤمنوا به ، ويقرروا بملكه للكون والمخلوقات ، وتدبره لها ، وثانيهما : ان يعبدوه ويطيعوه ، ويسلموا له تسليما . وثالثها : أن يحافظوا على الاوضاع الخاصة التي أراد أن تكون عليها الارض واهلها : فأمرهم بتبني نظامه ، والوقوف عند حدوده وعدم الاعتداء على حرماته ، والوزن بموازينه ، والقياس بمقاييسه ، وجعل لهم مقابل ذلك سعادة نفوسمهم وسكنيتها اثناء تنفيذهم لهذه الشروط ، وسعادة أبدية أخرى لا تنتهي ، بعد أن ينتهي الامتحان وتوضع القلام .

فماذا كان موقف المخلوقات من هذه المعاهدة الربانية ؟ لو أنهم جميعهم التزموا بهذه الشروط لما طلبه أحد بدعوة ، ولما كلف احد بأمر بمعرفة ولا نهي عن منكر لأن المعروف يكون قد تحقق ، والمنكر قد انعدم . ولكنهم لم يفعلوا ذلك على مر العصور وانما كانوا دائما فريقيين :

– فريق اعترف بهذه المعاهدة ، وأقر بالامانة ، وان هذه الارض بيت الله وما فيها اشياوه وأماناته .

– وفريق آخر انكر تلك المعاهدة من أصلها ، وأنكر عنوانها ، فانكر ملكية العالق للارض والكون ، وأنكر بالتالي بقية الشروط ،

واستنفدت عن تنفيذ الالتزامات . وكان ابليس وما زال على رأس هذا الفريق وقيادته . وتبعه من تبعه من شياطين الانس والجن لا يألون جهدا في خيانة الامانة وتفجير الاوضاع الالهية\* .

وكان في قيادة الفريق الاول رسول الله وأولياؤه .

ففي أي الفريقين أنت أيها الاخ المؤمن ؟ انك بالشهادتين ادعى انك مع فريق الرحمن وليس مع فريق الشيطان . ولكن الله لم يجعل الايمان بالتمني ، ولكن بالجهاد والعمل الصالح . ألم تنظر في بيت الله الذي أمننا على أشيائه ، وأوضاعه\* ؟ هل أمره كما اراد الله ؟ هل أماناته موافاة ؟ هل أشياؤه ما زالت في مواضعها ؟ اذا كان الامر كذلك فلست مطالبا بشيء . ولكن الامر خلاف ذلك : ألا ترى أنه أنكر كثير من الناس ملك الله لهذا البيت ، وهي هذه الارض ، وأشاعوا الفساد فيها وزحزحوا كل شيء عما وضعه الله فيه\* ؟ فحكموا بغير حكم الله ، وقايسوا بغير مقاييس الله ، فما أبقوها شيئا في مواضعه الذي وضعه الله فيه\* . فكيف يصدق علينا أننا أمنا به . وأننا أدينا الامانة ، وأنجزنا الوكالة ، وكل ذلك يقع تحت أعيننا وبصرنا وحسنا ، فلا نحرك ساكنا ، ولا ندعوا الى دين الله ؟ كيف يوكلك شخص بحفظ ماله ، فترى السارق يسرقه ، ولا ترده ، ولا تحمي المال الذي أمنت عليه ثم تعتذر الى صاحبه أنه لم تسرق أنت شيئا ؟ هل حجتك مقبولة ؟

ذلك هو مقتضى الشهادة الاولى ، شهادة ان لا الله الا الله ، وكذلك اقرار المؤمن برسالة محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه يقتضيه أن ينحاز الى صفة ، وأن يكون جنديا من جنوده ، ولا معنى للايمان برسول الله غير هذا ، وقد عرفت فيما تقدم موقفه من الكفار ، ومنهجه في مواجهتهم . فقد اتعد قائد المؤمنين من أهل الشر موقفا ، وليس من جنوده من لم يتخد موقفه ذلك .

\* المقصود بالأشياء والأوضاع التي أمر الله بالمحافظة عليها ، وغيرها شياطين الانس والجن ، الامور والأوضاع التكليفية التي كلفهم الله بها ، وليس الاوضاع الكونية التي خلق الكون وما فيه عليها ، فليس في وسع المخلوقات تغيير شيء منها .

وقد كان ذلك الموقف الذي اتخذه رسول الله بدعوة الكفار وجهادهم تنفيذا لامر ربه ، وقياما بحق الوظيفة التي وظفه فيها ، والمركز الذي جعله فيه وهو مركز الداعي الى الله والمجاهد في سبيله سبحانه .

فناداه من أول الطريق : ( يا أيها المدثر ، قم فأندذر )<sup>(٦٢)</sup> ، وناداه أيضا : ( وأنذر عشيرتك الأقربين )<sup>(٦٨)</sup> ، وقال له : ( لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون )<sup>(٦٩)</sup> . وقال له : ( وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب )<sup>(٧٠)</sup> . وقال له : ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته )<sup>(٧١)</sup> . وتأكيدا وتشبيتا له عرفه أنه ما ارسل من رسول الا لهذا . فقاتل سبحانه : ( وما نرسل المرسلين الا ببشرى ونذيرين )<sup>(٧٢)</sup> .

هذه هي وظيفة محمد عليه الصلاة والسلام في كتاب الله . واما في الواقع ، فلم تختلف ، ولا عجب فانه كان خلقه القرآن . فقد وقف صلى الله عليه وسلم في نفس الموقف الذي وضعه الله فيه ، وحمل الرسالة التي حمدتها ، وأدى الامانة وبلغها ، واجتهد في ايصالها الى جميع الناس .

ولقد عاش عليه الصلاة والسلام لدعوته : فما تحرك الا من أجلها ، وما سكن الا لها ، وما اكل وما شرب وما نام وما أفاق الا في سبيلها ، وجعل عقله وقلبه وجوارحه وحياته كلها لها . فدعا الى الله في جميع الاحوال : في السلم وال الحرب والسراء والضراء ، والسعنة والضيق ، وما نسي يوما انه خلق ليدعوا الى الله .

وليس هذا المقام بمتسع لتفصيل جهاده في الدعوة الى الله ، لأن ذلك يعني تقصي سيرته في كل ساعة من ساعات حياته ، ولكنني أثبت هنا هذه الكلمة القيمة لابن قيم الجوزية ، يقول :

(٦٧) المدثر - الآياتان ١ ، ٢ .  
 (٦٨) الشعرا - الآية ٢١٤ .  
 (٦٩) يس - الآية ٦ .  
 (٧٠) ابراهيم - الآية ٤٤ .  
 (٧١) الماندة - الآية ٦٧ .  
 (٧٢) الكهف - الآية ٥٦ .

لما كان الجهاد ذروة سنام الاسلام وفبته ، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة ، كما لهم الرفعة في الدنيا . فهم الاعلون في الدنيا والآخرة ، كان رسول صلی الله عليه وسلم في الذروة العليا منه ، فاستهولى على انواعه كلها ، فجاهد في الله حق جهاده : بالقلب والجنان ، والدعوة والبيان ، والسيف والسنان . وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده . ولهذا كان ارفع العالمين ذكرها وأعظمهم عند الله قدرها (٧٣) .

ويقول في موضع آخر : ( وأكمل الخلق عند الله من كمل مراتب الجهاد كلها ، والخلق متفاوتون في منازلهم عند الله تفاوتهم في مراتب الجهاد ، ولهذا كان اكمل الخلق وأكرمهم على الله خاتم أنبيائه ورسله . فانه كمل مراتب الجهاد ، وجاهد في الله حق جهاده . وشرع في الجهاد سن حين بعث الى ان توفاه الله عز وجل ، فانه لما نزل عليه : « يا أيها المبشر . قم فأنذر . وربك فكير وثيابك فطهر » . شمر عن ساق الدعوة . وقام في ذات الله أتم قيام ، ودعا الى الله ليلا ونهارا . وسرا وجهارا . فلما نزل عليه : « فاصدع بما تؤمر » صدع بأمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم ، فدعا الى الله الصغير والكبير ، والحر والعبد ، والذكر والانتى والاحمر والاسود ، والجن والانس ٠٠٠ (٧٤) .

هل بقي بعد كل هذا مجال للشك في أن هذا الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، الذي لا يصدق مدع للايمان الا بالاعتراف بقيادته ، والانحراف في جنده . وقبول تبعيته . هل بقي مجال للشك في أن طريقه انما هي الدعوة الى الله . فتعال اذن نسأل المتقاعسين عن الدعوة الى دين الله : ما موقفكم من محمد بن عبد الله صلی الله عليه وسلم ؟ وما علاقتكم به ؟ وما منزلته في قلوبكم ؟

فان أجابوا بوقاحة الكافرين : هو مصلح كبقية المصلحين ، أدى دوره ، وانقضى او انه ، فقد اختاروا الكفر على الايمان ، وانعازوا الى

(٧٣) زاد المعاد ج ٢ ص ٢٨ .

(٧٤) زاد المعاد ج ٢ ص ٤٠ .

فئة الشيطان . ولكنه لا يجرو على ذلك الا من كره ان يتسمى بالاسلام والایمان ، وهم هؤلاء هم الذين ياتوا يقدرون ان هذا العنوان لا يفيدهم ربنا دنيويا . واما الذين ما زالوا يرثرون باسم الاسلام والایمان ، ويقدرون انهم يكسبون بهذا العنوان كسبا ماديا او معنويا ، فانهم لا يجربون بهذا الجواب ، بل سيقولون : انه رسول الله الينا ، وهو قد ورثنا وأسواتنا ، فليأت هؤلاء الى القرآن ، يبين لهم دوره عليه الصلاة والسلام الذي حدد له رب العباد ، والى واقعه الكريم الذي كان تنفيذا كاملا لذلك الدور ، وقد تقدم ذكر ومضات ساطعة منه قبل قليل . وأضيف هنا بعض الآيات الاخر التي تحدد ذلك بصورة قاطعة : الا فلينظروا قوله تعالى : ( يا أيها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ) <sup>(٧٥)</sup> ، فهذا هو الرسول الذي يدعون انهم به يقتدون ، وهذا هو كتاب ربه الذي فيه تحديد دوره : انه مكلف بالدعوة الى الله ، وليس مكلفا بالدعوة الى دنيا ، او الى مجد دنيوي ، ولا الى عزة قومية ، ولا الى عصبية جاهلية ، ولا الى مفخن ولا سلطان ، ولا جاء ، ولكن الى الله وسبيله . ومثل هذه آيات اخر منها ، قوله تعالى : ( وادع الى ربك ، انك لعل هدى مستقيم ) <sup>(٧٦)</sup> ، وقوله تعالى : ( وادع الى ربك ولا تكون من المشركين ) <sup>(٧٧)</sup> اي فلتكن دعوتك وجهادك في سبيل ربك : ولا تشرك معه في الدعوة أحدا ، وقوله تعالى : ( قل : انا امرت ان اعبد الله ، ولا اشرك به ، اليه ادعي ، واليه مأب ) <sup>(٧٨)</sup> . وقوله تعالى : ( ادع الى سبيل ربك بالحكمة والمواعظة الحسنة ) <sup>(٧٩)</sup> ، وقوله تعالى : ( فادع واستقم كما امرت ولا تتبع اهواءهم ) <sup>(٨٠)</sup> .

(٧٥) الاحزاب – الآياتان ٤٥ ، ٤٦ .

(٧٦) الحج – الآية ٦٧ .

(٧٧) القصص – الآية ٨٧ .

(٧٨) الرعد – الآية ٣٦ .

(٧٩) النحل – الآية ١٢٥ .

(٨٠) الشورى – الآية ١٥ .

فهذه نداءات رب العباد الى من نصبه سبحانه قائدا للعباد في الخير فماذا يقول المستنكفون عن الدعوة الى الله فيها ؟ أم يقولون : هي من خصائص الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولا شأن لهم بها ، فماذا يقولون في قوله تعالى : ( قل هذه سببائي : أدعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما انا من المشركين ) (٨١) . يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : ( يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم الى الشقليين : الانس والجن أن يخبر الناس أن هذه سبباليه وسلكه وسنته ، وهي الدعوة الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، يدعوا الى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان ، وكل من اتبعه يدعوا الى ما دعا اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين ) (٨٢) .

فهذه هي سبيل الرسول عليه الصلاة والسلام : الدعوة الى دين الله ، رسمها له ربه ، ولمن اتبعه ، فمن ادعى انه من اتباعه ، ولم يدع الى ما دعا اليه ، فهو كاذب ليس من اتباعه ، وما يلتجيء اليه من الاعداد فانما هو تعبير عن مدى عبوديته لغريزته وشهوته وهو اه .

ولا ادرى : كيف يؤول العاملون من يدعون الاسلام هذا النص العاصم الذي يصنف الناس الى صنفين : سائرون في سبيل الله ، وصراطه المستقيم الهادي الى رضا الله وجنته ، وآخرون تشعبت بهم الطرق الموعجة التي لا تهدي الا الى تعasse الدارين او قل : الى فئتين : اتباع محمد عليه الصلاة والسلام ، وآخرون ليسوا من أتباعه ، وجعل سبحانه الفيصل بين الفريقين الدعوة الى الله ودينه ، ولم يجعله الشعارات والعنوانين والادعاءات .

وهذا النص الكريم لا يدع للمجدو بين الى غرائزهم فرصة الماطلة ، بحيث يوجب الدعوة الى الله من أول طريق الايمان ، لأن الذي يعتنق الاسلام يدخل في حزب محمد صلى الله عليه وسلم ، فعليه أن يبدأ

(٨١) يوسف - الآية ١٠٨ .

(٨٢) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٩٥ .

المسيرة وراءه يدعو الى الله من أول الطريق ، وليس له ان يدعى انه لا يملك ما يدعو اليه من العلم والمعرفة كما يريد بعض الادعاء ، لانه بالاسلام ، وعنوانه الشهادتان ، قد تحصل له الاصل الجامع للغير كله ، وهو معرفة الله العظيم ، وبه دخل في التبعية الشريفة لرسوله الكريم عليه صلوات الله وسلامه ، وبدخوله فيها التزم بالدعوة الى طريق الله التي اختارها .

ثانياً : الجهاد بالدعوة الى الله علامة اليمان :

فان لب اليمان حب الله وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : ( والذين آمنوا أشد حبا لله ) (٨٣) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من والده وولده والناس أجمعين ) (٨٤) .

وعلامة حب الله ورسوله الجهاد في سبيله ، والدعوة الى دينه ، وموالاة المؤمنين ، قال عز وجل : ( يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ) ، ثم بين سبحانه في الآية نفسها صفات هؤلاء القوم الذين يحبهم ويحبونه فقال : ( أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ، ولا يخافون لومة لائم ، ذلك فضل الله يؤتى به من يشاء والله واسع عليم ) (٨٥) .

يقول ابن قيم الجوزية في توضيح دلالة الجهاد على صدق اليمان : ( مهر المحبة والبغة بذل النفس والمال لمالكهما ، الذي اشتراهما من المؤمنين ، فما للجبار المعرض المفلس وسوم هذه السلعة ؟ بالله ما هزلت فيستامها المفلسون ، ولا كسدت فيبيعها بالنسبيّة المعسرون . لقد أقيمت للعرض في سوق من يريد ، فلم يرض ربها لها بشمن دون بذل النفوس ، فتأخر البطالون وقام المحبون ينتظرون ايهما يصلح أن يكون

(٨٣) البقرة - الآية ١٦٥ .

(٨٤) متفق عليه - انظر صحيح البخاري ج ١ ص ٤٩ ، وصحیح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ١٥ .

(٨٥) المائة - الآية ٥٤ .

نفسه الشمن ، فدارت السلعة بينهم ، ووُقعت في يد أذلة على المؤمنين أعزه على الكافرين . ولما كثر المدعون للمحبة طولبوا باقامة البينة على صحة الدعوى ، فلو يعطى الناس بدعواهم لادعى الغلي حرفة الشجاعي ، فتندفع المدعون في الشهود ، فقيل : لا تثبت هذه الدعوى الا ببينة « قل ان كنتم تعبون الله فاتبعوني يحببكم الله » فتأخر الخلق كلهم وثبت اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم في أفعاله وأقواله وهديه وأخلاقه . فطولبوا بعدهلة البينة ، وقيل : لا تقبل العدالة الا بتزكية « يجاهدون في سبيل الله ، ولا يغافون لومة لائم » فتأخر أكثر المدعين للمحبة ، وقام المجاهدون ، فقيل لهم : ان نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم ، فسلموا ما وقع عليه العقد ، فان الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة . وعقد التبادل يوجب التسليم من الجانبيين . فلما رأى التجار عظمة المشتري وقدر الشمن وجلالة قدر من جرى عقد التبادل على يديه ومقدار الكتاب الذي أثبت فيه هنـا العقد عرفوا ان للساعة قدرـا وشـأنا ليس لغيرـها من السـلع ، فرأـوا من الخـسان المـبين والـغـين الفـاحـش ان يـبـيعـها بـثـمـنـ بـخـسـ درـاـمـ مـعـدـودـة ، تـذـهـبـ لـذـهـتها وـشـهـوـتها ، وـتـبـقـىـ تـبـعـتها ، وـحـسـرـتها ، فـانـ فـاعـلـ ذـلـكـ مـعـدـودـ في جـمـلةـ السـفـهـاءـ ، فـعـقـدـواـ مـعـ المشـتـريـ بـيـعـةـ الرـضـوانـ ، رـضـاءـ وـاخـتـيـارـاـ منـ غـيرـ ثـبـوتـ خـيـارـ ، وـقـالـواـ : وـالـلـهـ لـاـ نـقـيلـكـ وـلـاـ نـسـتـقـيلـكـ . فـلـمـ تـمـ العـقـدـ ، وـسـلـمـواـ المـبـيعـ قـيلـ لـهـ : قـدـ صـارـتـ أـنـفـسـكـمـ وـأـمـوـالـكـ لـنـاـ ، وـأـلـآنـ فـقـدـ رـدـدـنـاـهـاـ عـلـيـكـمـ أـفـرـ مـاـ كـانـتـ ، وـأـضـعـافـ أـمـوـالـكـ مـعـهـاـ « وـلـاـ تـحـسـبـنـ الـذـينـ قـتـلـوـاـ فـيـ سـبـيلـ اللـهـ أـمـوـاتـاـ بـلـ أـحـيـاءـ عـنـدـ رـبـهـمـ يـرـزـقـونـ » ، لـمـ نـتـغـرـبـ مـنـكـمـ بـنـفـوـسـكـمـ وـأـمـوـالـكـ طـلـبـاـ لـلـرـبـحـ عـلـيـكـمـ ، بـلـ لـيـظـهـرـ أـشـ الجـودـ وـالـكـرـمـ فـيـ قـبـولـ المـبـيعـ ، وـالـاعـطـاءـ عـلـيـهـ أـجـلـ الـأـثـمـانـ ، ثـمـ جـمـعـنـاـ لـكـمـ بـيـنـ الشـمـنـ وـالـشـمـنـ . . . (٨٦)

(٨٦) زاد المعد في مدي خير العباد ج ٢ ص ٥٩ ، ٦٠

## ثالثاً : الجهاد بالدعوة الى الله شرط اتم الایمان :

و اذا كان الجهاد بالدعوة الى دين الله عز وجل علامة على صدق الایمان فانه من جهة اخرى شرط لتمام الایمان وكماله ، فقد عرفت انه لا يتم ايمان العبد مالم يحب الله سبحانه ، فيحبه الله ، ولا يكون ذلك الا باتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما قال عن وجل : ( قل : ان كنتم تعبون الله ، فاتبعوني ، يحببكم الله ) (٨٢) .

ف والله لا يحب عبادا حتى يتبع رسوله عليه الصلاة والسلام ، وقد يقول قائل : اننا نتبع رسول الله ، فنصلی ونصوم ونحاج . نعم هذه بداية الطريق الرباني الذي سار فيه صفي الله وخليله . وهي الزاد الذي يتزود به السائر في هذا الدرب الناجي . وقد أمر الله نبيه من أول الأمر بالتزود بعبادته فقال له : ( يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا ، نصفه او انقص منه قليلا ، او زد عليه ورتل القرآن ترتيلانا سنتلقي عليك قوله ثقيلا ) (٨٨) . نعم أمر به ليتهيأ لذلك العمل الثقيل .

فان سائل سائل : كيف نتبعه عليه الصلاة والسلام بعد صلاتنا وصومنا وحاجنا ؟ وما ذاك العمل الثقيل الذي يجب علينا ان نحمله مثلما حمله رسول الله صلي الله عليه وسلم ؟ اذن فليتذر ذلك السائل قول الله تعالى لرسوله الكريم : ( قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ) ، فهذه هي سبيله التي تزود للسير فيها بالصلاه ، وهذا هو العمل الثقيل الذي تجهز لحمله بقيام الليل وذكر الله وتلاوة القرآن .

فخلاصة القول : أننا لن نكون مؤمنين صادقين حتى نحب الله تعالى ولن يكون ذلك حتى نتبع رسوله عليه الصلاة والسلام ، ولن نتبع رسوله حتى ندعوا الى دين الله ونضحي في سبيله .

(٨٧)آل عمران - الآية ٣١ .

(٨٨)المزمل - الآيات ١ - ٥ .

#### رابعاً : الجهاد بالدعوة الى الله تعالى وقاية للإيمان :

عرفت فيما تقدم ان الله عن وجل أخبرنا ان عدونا الاول هو الشيطان ، وانه قد نذر نفسه لهاجمة الناس أجمعين ، وانه ~~ها~~ زال يسدد سهام غوايته لهم وأمرنا سبحانه أن نتخد الشيطان عدواً لأن تحاربه ونهاجمه ونرد كيده .

فرب العالمين عرفك - أيها الأخ المؤمن - بعذوك ، ورحمة بك عرفك بما عزم عليه ، وخططه وأساليبه ، لتأخذ العيطة من أمرك ، فتهاجمه قبل أن يهاجمك ، وتغزوه قبل أن يغزوك .

وعلى مر العصور ، وفي كل قوم يتخد الشيطان لنفسه منهم أولياء يجندهم ويشكل منهم جيشه ، ويأمرهم أن يناضلوا من أجله ، ويقاتلوا في سبيله ، ويوزع عليهم وظائفه ، ويجهزهم بأساليبه ، فيتبعون خططه ، ويقفون من المؤمنين موقفه يقول سبحانه وتعالى : ( انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون ) <sup>(٨٩)</sup> ، ويقول ايضاً : ( انهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ) <sup>(٩٠)</sup> ، ويقول ( وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم ) <sup>(٩١)</sup> .

ووالله ان الشيطان وأولياءه لماضون في مواجهتك يا أخي ، وقد جاء دورك بعد أن أضل من أضل ، وهزم من هزم ، وانتصر عليه من انتصر ، جاء دورك ، واصبحت في مواجهته ، وهو اليوم قاعد لك في كل صراط مستقيم : فقد لك في الشوارع والطرقات والمدارس والجامعات ، والصحف والمجلات . واتخذ له حصونا وقلاعا في السينمات والمذيعات والتلفزيونات . بل انه غزاك حتى فيما خصصته لعبادة الله من المساجد ، فاذهب خشوعك ومناك وانت واقف امام ربك ، والهاك عن ذكره . بل قعد لك في بيتك وأهلك وولدك ، وأتاك من جميع الجوانب ، وهو يستفزك في كل لحظة

٨٩) الاعراف - الآية ٢٧ .

٩٠) الاعراف - الآية ٣٠ .

٩١) الانعام - الآية ١٢١ .

وما زال يوحى لاوليائه ليجادلوك ، ويغيروا معتقدك الحق ، وقيمة الكريمة ، وموازينك المنضبطة . و اذا كان قائدك الامين ، عليه الصلاة والسلام يقول للمؤمنين : ( من رأى منكم متذمرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فيقلبه ، وذلك أضعف الايمان )<sup>(٩٢)</sup> ، فاني بابليس اللعين يبعث اتباعه ويعرض اولياءه ويقول لهم : من رأى منكم معروفا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فيقلبه . وذلك أدنى الكفر وأضعفه . ولقد صدق الله عز وجل في اولياء الشيطان . اذ يقول : ( المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عنالمعروف ويقبحون ايديهم ، نسوا الله فنسائهم ان المنافقين هم الفاسقون )<sup>(٩٣)</sup> .

ف اذا كان هذا هو دأب الشيطان وفريقيه . فكيف يصح لحزب الله وفريق الرحمن ان يقعدوا عن الجهاد في سبيله . والدعوة الى دينه ؟ الا يخشون على انفسهم ، وسنة الله في خلقه انه ما غزى قوم في عقر دارهم الا ذلوا ؟ الا يخشون ان يؤشر في قلوبهم معوله الهدام ، مهما كانت قلوبهم صلبة اذا لم يتحرکوا ؟ ان الماء مع ميوعته يؤشر في الصفوان مع جموده وصلابته . وهذه هي سنة الله في مخلوقاته . وانه ليخشى ان يضيع ايمان المؤمنين ان لم يبادروا الى غزو الشيطان في الناس ، بتذكيرهم بالحق ، وبيان ما اوقعهم فيه الشيطان من الخسران في دنياهم وأخراهم . و هدم حصن الفشوات التي بناها ابليس حول قلوبهم من حب الدنيا وتزيين الشهوات .

#### خامساً : الجهاد بالدعوة الى الله غذاء الاعيال :

و اذا كانت الدعوة الى الله عز وجل ومحاربة الشيطان امرا ضروريا للحفاظ على بذرة الاعيال من الهلاك والضمور ، فانها غذاء لتلك البذرة ، ونماء لها وتعزيز لجذورها . ولست بذلك متتجاوزا لطبيعة

(٩٢) اخرجه الامام مسلم - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٢٢ .

(٩٣) التوبية - الآية ٦٧ .

النفس البشرية التي فطرها الله عليها ، بل انها سنة الله في خلقه : فان اي معنى من المعاني . يدعو اليه الانسان يزيد حبه له وارتباطه به ، وتناسب هذه الصلة مع شدة ما يلاقيه الداعية وعظمته التضحيات في سبيل ما يدعو اليه . الا ترى ان الانسان يزداد حبه . وتتوثق صلته بمن يتبع من اجله ، ويشقى في سبيله . حتى تراه أكثر حباً لولده وزوجته وارضه ، لأن صلته بكل هذه الاشياء امتنجت بتضحيات وتعب من أجلها ؟ بل الا ترى ان الانسان اذا ساقته الظروف للدفاع عن شخص ، وان كان لا تربطه به في الاصل علاقة . الا انه يشعر بتحرك قلبي نعوه . حتى اذا ما تكررت هذه الظروف مرة ومرات وجدته احبه ، وصار من انصاره .

والمؤمنون بالله أجر ان يوجها هذه الفطرة نحو زبدهم ، فيدعوا اليه ويجهدوا في سبيله سبحانه . بل انه لا يجوز ان يوجهاً قلوبهم الى غيره سبحانه . ولا يقبل الله منهم اعمالهم ان لم يكن مقصوداً بها ، فقد قال تبارك وتعالى : ( قل : ان كان آباءكم وابناؤكم واخوانكم وزوجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كсадها ، ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجihad في سبيله ، فترموا حتى يأتي الله بأمره . والله لا يهدي القوم الفاسقين ) (٩٤) .

### أسلحة الداعية :

قد علمت ان الدعوة الى الله ودينه فرض من فروض الاسلام . ولتعلم انه ان كان نجاح الدعوات مرهوناً بصدق طبيعتها وصدق حاليها فان دعوة الاسلام أصدق دعوة . وأرسخها في أعماق النفس البشرية . لأنها دعوة الى سنة لا تتبدل . ولا يشك فيها ، والى ناموس لا يتخلف ، والى بدهية يسندها كل محسوس : انها دعوة الى الايمان بخالق المخلوقات ، وموجد الموجودات . فلم يبق الا ان ينظر الدعاء في أنفسهم ، ليقيسوا مدى اخلاصها لدعوتها ، وایمانها بأحقيتها .

و اذا كان ربك الرحمن الرحيم قد حملك هذه الامانة ، وكلفك  
بجهاد الشيطان و اولياته ، والدخول في معركة طويلة الاجل مع الماحدين  
فانه لم يدعك أعزل في هذه المعركة ، بل فتح لك خزائنه ومستودعاته ،  
تنزود منها بما يكفيك في هذه المواجهة ، وتنقلد من أسلحتها ما يضمن  
لك النصر ان عاجلا او آجلا . وجعل باب ذلك كله الايمان العميق به  
سبحانه ، والاحساس المتصل بعظمته وجلاله ، والعرض الشديد على  
طاعته ورضاه . فاذا استطعت ان تفتح هذا الباب بعقلك وفكك ،  
وقلبك وذكره فتنزود بعدها بكل ما يمنحك هذا الايمان من اسلحة ،  
ولا تتردد في استيعابها ، وحملها بين جوانحك . واني مذكرك فيما  
يللي ببعضها ، ولست ب قادر على الاحاطة بها جمیعا فان نعمة الله  
بمعرفته ، والايمان به تذاق بالقلوب ، و تستشعر بالوجودان ، لا بالعد  
والاستقصاء ، ولكنني أحاول بقدر المستطاع أن أنقل اليك بعض ما  
يدركه عقلي منها ، وما يحسه وجداني ، وما عرفناه من الصالحين ،  
وفوق ذلك كله ما عرفنا به رب العالمين ، في تنزيله العكيم ، وهو نعم  
المولى ونعم الوكيل :

### ١ - سلاح الثقة :

ف اذا كنت مؤمنا بالله القوي العزيز فتسلح بسلاح الثقة التي لا  
يأتيها شأ ولا يعترفها وهن :

أ - فشق انك تركن الى اعظم قوة ، وتأوي الى حمى ملك لا يضام ،  
بيده أعناق الجبارية ، ومصائر الطغاة ، خالق كل شيء ، وواهب القوة  
لم يشاء وقدر على كل شيء . وثق أن الطغاة وسائل بين يديه سبحانه ،  
يستعملها كيف يشاء فيعذب بهم من يشاء ، ويتمكن بهم عباده ليعلم  
منهم الصابرين والثابتين .

وشق أن ربك أوفى الاوقياء ، وأصدق الوعادين : وعد الذين  
ينصرونك بالنصر ، ووعد المؤمنين به بقسط من عزته ، ووعد العائدين

بـ بحسن الاستقبال وأكمل العمـاـية . انظر في قلبك هل يحس بهذين المعـنـيـنـ العـظـيـمـيـنـ : الثـقـةـ بـقـوـةـ اللهـ . والـثـقـةـ بـنـصـرـهـ . هل تحـمـلـ بـيـنـ ضـلـوعـكـ هـذـاـ السـلـاحـ الرـبـانـيـ ؟ اـنـيـ اـدـعـوكـ اـلـىـ حـمـلـهـ صـبـاحـ كـلـ يـوـمـ . وـفـيـ كـلـ لـحـظـةـ مـنـ نـهـارـ اوـ لـلـيلـ . وـاـنـظـرـ بـعـدـهـاـ كـيـفـ تـقـاـبـلـ المـنـكـرـ ، وـكـيـفـ تـوـاجـهـ الطـفـيـانـ ، وـكـيـفـ تـكـافـحـ الضـلـالـ . الاـ تـشـعـرـ عـنـدـمـاـ يـنـزـاحـ الـظـلـامـ . وـتـخـرـجـ فيـ اـوـلـ النـهـارـ اـنـكـ ذـاهـبـ اـلـىـ مـعـرـكـةـ . وـمـقـبـلـ عـلـىـ جـهـادـ مـرـيـرـ : اـمـاـ مـعـ طـاغـيـةـ مـغـتـرـ بـمـاـ أـعـطـيـ مـنـ السـلـطـانـ . وـاـمـاـ مـعـ مـغـرـرـ بـجـاهـهـ اوـ مـالـهـ اوـ بـجـاهـ غـيرـهـ وـمـالـهـ ، وـاـمـاـ مـعـ ضـالـ رـكـبـ هـوـاهـ وـعـبـدـ غـرـائـزـهـ ؟ اـلـسـتـ تـشـعـرـ اـنـكـ تـفـدـ السـيـرـ لـتـلـعـقـ بـرـكـبـ ضـلـ الـطـرـيقـ تـرـيـدـ اـنـ تـرـدـ اـلـىـ صـرـاطـ اللهـ المـسـتـقـيمـ ؟

ان هـؤـلـاءـ قـدـ تـقـلـدـواـ اـسـلـحـتـهـمـ : هـذـاـ يـخـوـفـكـ بـسـلـاحـ سـلـطـانـهـ ، وـهـذـاـ بـسـلـاحـ جـاهـهـ ، وـهـذـاـ بـسـلـاحـ مـالـهـ اوـ مـرـكـزـهـ ، وـذـاكـ بـأـسـلـحـةـ الشـهـوـةـ وـالـفـرـيـزـةـ ، وـجـنـوـدـ الـهـوـىـ . هـنـاـ تـنـفـعـكـ الثـقـةـ بـعـظـمـةـ اللهـ وـسـلـطـانـهـ ، وـهـنـاـ يـسـعـفـكـ الـيـقـيـنـ بـنـصـرـةـ اللهـ وـمـعـونـتـهـ . فـلـاـ تـهـنـ وـلـاـ تـيـأسـ وـلـاـ تـمـلـ وـلـاـ تـحـزـنـ ، لـانـكـ وـاـشـقـ مـنـ النـتـيـجـةـ وـرـبـحـ الـمـصـيرـ .

وـالـاـ فـاعـلـمـ اـنـ فـاتـكـ تـقـلـدـ هـذـاـ السـلـاحـ . وـخـرـجـتـ لـهـمـ بـقـلـبـ عـارـ مـنـ هـذـاـ الـاحـسـاسـ . فـأـنـتـ مـهـزـومـ لـاـ مـحـالـةـ . بـلـ مـأـسـوـرـ لـهـمـ وـلـهـوـاـكـ . لـاـنـهـمـ اـعـطـوـاـنـ الدـنـيـاـ أـكـثـرـ مـاـ أـعـطـيـتـ ، وـلـهـمـ فـيـ نـفـسـكـ جـوـاسـيـسـ هـوـاـكـ وـشـهـوـتـكـ .

بـ - وـشـقـ اـنـ دـعـوـتـكـ التـيـ تـدـعـوـ بـيـهاـ النـاسـ أـصـدـقـ دـعـوـةـ . وـأـبـرـكـ دـعـوـةـ ، وـاـنـ نـهـجـهاـ اـصـحـ نـهـجـ ، وـاـنـ نـظـامـهاـ اـحـكـمـ نـظـامـ ، وـاـنـ دـوـاءـهاـ اـنـجـعـ دـوـاءـ . بـلـ شـقـ اـنـ لـاـ سـعـادـةـ لـلـبـشـرـ لـاـ بـاتـبـاعـهـاـ . وـلـاـ سـلـامـةـ لـهـمـ لـاـ بـاـنـتـهـاجـهـاـ ، وـلـاـ شـفـاءـ لـاـ بـتـجـرـعـ دـوـائـهـاـ . اـلـسـتـ آـمـنـتـ بـالـهـ وـأـنـهـ اـحـكـمـ الـعـاـكـمـيـنـ ؟ فـشـقـ اـذـنـ اـنـ الـحـكـمـةـ فـيـ اـحـكـامـهـ . وـالـصـوـابـ فـيـ مـنـهـاجـهـ . وـالـسـعـادـةـ فـيـ نـظـامـهـ . وـاـخـرـجـ عـلـىـ النـاسـ بـهـذـهـ الـرـوـحـ . فـاـنـ الـاـنـسـانـ

بطبيعه يعرف لهجة الواقع ، ويدرك طمأنينته ويحس بها . وان لها من الهيبة عليه ، والواقع في نفسه مالا تحدثه السيف .

ثق وانت تدعوا الناس ان الشريعة التي تدعوا اليها اكمل شريعة ، وامثل قول ربك في عقلك وقلبك : ( اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ) <sup>٩٥</sup> . فاذا ذكرت السياسة فشق انك تدعوا الناس الى سياسة احکم العاكفين ، مسخر كل شيء لما خلق له . وعالم المصالح والمفاسد ، ومحب الغير والصلاح لعباده ، ومبغض الشر والفساد لهم . واذا ذكر العدل فشق انك تدعوه الى قضاء أعدل العادلين ، المنزه عن الميل والهوى . والغرائز والشهوات . واذا ذكرت الحرية فشق انك تدعوا الى دين الحرية ، والى رب لا يقبل من العباد الا الخضوع له دون سواه ، ويبغض لهم الخضوع لاي مخلوق . واذا ذكرت القوة والمنعة فشق انك تدعوا الى التحالف مع اقوى الاقویاء ، الذي له جنود السموات والارض . واذا ذكرت الوحدة فشق انك تدعوا الى دين التوحيد .

ج - ثم ثق بصفات الله التي تعلمتها ووصف بها نفسه . ثق ان ربك قوي تقوى ، وانه عزيز تعز ، وأنه حكيم تسد ، وانه عظيم ترتفع ، وأنه تواب غفور فلا تيأس ولا تقنط ، وأنه مؤمن تؤمن ، وانه رحيم تطمئن . ثق بكل صفة هو أهلها تدل منها خيرا كثيرا .

ان الثقة باله وقدرته ونصره يجعلك مقداما لا تهاب ، ثابت لا تتردد . وان الناس لا يستجيبون لجبان ، ولا يمثثلون لمتردد .

ان سلاح الثقة الذي يمنحك لك الایمان له ثمرة تدل عليه . فنتيجة يقتضيها ومظهر مؤشر في قلوب الناس ، وحد ماض قاطع ، لا يقف امامه اي اغراء ، ولا يتلمسه اي تهديد او ترهيب : انه سلاح الصراحة ، والصدق بالحق ، والوضوح في الدعوة ، وعدم المجاملة في الدين :

فيجب عليك ان تصدع بالحق صدعا ، كما صدعا به رسولك الكريم ، عليه الصلاة والسلام . وقدمه للناس كما تعلمته من ربك ورسوله ، ولا تتنازل عن شيء منه : صغير او كبير ، قليل او كثير ، وقدم لهم الدين بجوهره الرباني ، وثوبه الالهي :

قدم لهم تصورك عن الانسان والكون والحياة وحالتهم كما علمك ربك في قرآن ، ولا تلبسه ثوبا جديلا ولا كلاميا .

قدم لهم ما يجب ان تكون عليه علاقتهم بحالتهم ، ولا تلبسها ثوبا فلسفيا ، قدم لهم احكام ربك في سياسة الدنيا ، ولا تلبسها اي ثوب من صنع البشر . قدم لهم تعاليم رسولك عليه الصلاة والسلام في الاقتصاد ولا تلبسها ثوبا اشتراكيا .

اعرض عليهم بضاعة ربك في نظام الاسرة والمرأة ، كما تسلمتها منه عن طريق رسوله ، ولا تزيئها بزي التقديمية والتحررية .

ثم قل للناس : انكم اشقياء ، وبعدكم عن الله سبب شقائكم ، ولن يخلصكم منه الا اتباع منهج الله ورسوله .

وقل لهم : انكم أذلة ، وعزتكم باهـة وديـنه ، وقل لهم : انكم فقراء ، ولن يغـنـيـكم الا فـضـلـ اللهـ . وانـكمـ خـاسـرـونـ ، وـتـجـارـةـ اللهـ لـكـمـ أـرـبـعـ ، وـأـسـعـهـمـ بـلـهـجـةـ الـوـاـثـقـ الـمـسـتـيقـنـ قـسـمـ رـبـكـ ، ( والـعـصـرـ انـالـاـنـسـانـ لـفـيـ خـسـرـ ، الاـذـنـيـنـ آـمـنـواـ وـعـمـلـواـ الـصـالـحـاتـ وـتـوـاـصـوـاـ بـالـحـقـ وـتـوـاـصـوـاـ بـالـصـبـرـ ) . ضـعـ يـدـيـكـ عـلـىـ مـوـاضـعـ الـاـلـمـ مـنـ أـرـوـاحـهـ وـقـلـوـبـهـ ، وـأـعـلـمـهـمـ أـنـ هـذـهـ هـيـ أـعـرـاضـ جـاهـلـيـتـهـمـ وـبـعـدـهـمـ عـنـ اللهـ وـدـيـنـهـ .

نعم ، سوف تجد منهم الاذى ، وسوف يرشقونك بسهام شهواتهم ، وسوف يضايقونك بقيمهـمـ وـمـوـازـيـنـهـ . وـهـنـاـ يـنـفـعـ اـيـمـانـكـ وـثـقـتـكـ بـرـبـكـ ، وـرـجـاؤـكـ فـيـهـ ، وـقـدـ صـدـقـ رـبـكـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ ، اـذـ يـقـولـ : ( وـلـاـ تـهـنـوـاـ فـيـ اـبـتـغـاءـ الـقـوـمـ اـنـ تـكـوـنـواـ تـأـلـمـونـ فـاـنـهـمـ يـأـلـمـونـ كـمـ تـأـلـمـونـ ، وـتـرـجـونـ

من الله مala يرجون ، وكان الله عليما حكيمـا (٩٦) ، فالرجاء في الله تجد شفاء صدرك ، وهم لا يجدون . وبالثقة بنصره سبحانه تخفف من آلامك ، وهم في بحر الآلام مغرقون . حتى اذا يئسوا من امنياتهم واياغـات شياطينـهم فـاء العـلاء الى رـشـهم ، سواء على يـديـك او على يـديـ غيرـكـ من المؤمنـين ، ولـنـ يـخـذـلـ اللهـ اوـلـيـاءـهـ ، ولـكـ النـصرـ للـصـابـرـينـ .

فـانـ لمـ تـقـفـ فيـ المـرـكـةـ هـذـهـ الـوـقـةـ ، وـتـرـدـدـتـ وـتـلـعـثـمتـ ، وـجـامـلتـ وـتـنـازـلتـ ، فـلـاـ تـلـمـمـهـ اـنـ تـمـادـوـاـ فيـ طـفـيـانـهـمـ ، اوـ لـجـواـ فيـ ضـلـالـهـمـ ، لـانـكـ بـتـرـدـدـكـ تـشـعـرـهـمـ بـضـعـفـ مـسـتـنـدـكـ وـبـمـجـاـلـتـكـ لـهـمـ تـوـحـيـهـمـ بـعـسـنـ ماـهـمـ عـلـيـهـ مـنـ الـبـاطـلـ ، وـجـوـدـةـ بـضـاعـتـهـمـ ، وـزـيـفـ تـجـارـتـكـ ، وـبـتـلـعـثـمـكـ تـوـقـعـ فيـ أـنـفـسـهـمـ وـهـنـ مـرـتـكـزـ ، وـخـوـفـكـ مـنـ وـسـائـلـهـمـ ، فـتـصـدـهـمـ بـذـلـكـ عـنـ دـعـوـتـكـ ، وـتـدـفـعـهـمـ اـلـىـ مـزـيدـ مـنـ التـمـسـكـ بـضـلـالـهـمـ .

## ٢ - سلاح الصدق والاخلاص :

اـذـاـ كـنـتـ مـؤـمـنـاـ بـالـهـ ، فـتـقـلـدـ - وـاـنـتـ تـدـعـوـ النـاسـ اـلـيـهـ - سـلاحـ الـاخـلاـصـ لـهـ ، وـالـصـدـقـ مـعـهـ :

فـاـنـهـ اـذـاـ كـانـ الدـعـاـةـ اـلـىـ الـهـةـ الـاـرـضـ وـقـيمـهـاـ لـجـاؤـاـ اـلـىـ سـلـطـانـهـمـ وـمـالـهـمـ وـجـاهـهـمـ وـمـكـرـهـمـ ، وـغـيرـ ذـلـكـ مـنـ اـسـالـيـبـهـمـ ، فـاـنـكـ لـاـ تـحـارـبـ بـشـيـءـ مـنـ هـذـاـ ، وـلـاـ تـتـوـكـلـ عـلـىـ بـعـضـ هـذـاـ ، وـلـاـ تـسـتـعـيـنـ بـشـيـءـ مـنـ ذـلـكـ ، وـاـنـماـ تـسـتـعـيـنـ بـصـاحـبـ السـلـطـانـ كـلـهـ وـتـتـوـكـلـ عـلـىـ مـنـ لـهـ اـلـامـرـ مـنـ قـبـلـ وـمـنـ بـعـدـ ، وـتـطـلـبـ الـعـوـنـ ، وـالـنـجـدـةـ ، مـمـنـ لـهـ جـنـوـدـ السـمـوـاتـ وـالـاـرـضـ ، وـتـطـلـبـ السـدـادـ وـالـتـوـفـيقـ مـنـأـ حـكـمـ الـعـاـكـمـينـ ، وـمـاـ عـلـيـكـ الاـ اـنـ تـرـضـيـهـ سـبـعـانـهـ ، وـتـصـدـقـ مـعـهـ الـعـهـدـ . وـهـذـاـ هـوـ الـاخـلاـصـ الـذـيـ لـاـ بـدـ لـكـ مـنـهـ وـاـنـتـ تـدـعـوـ اـلـىـ اللهـ ، فـاـنـهـ خـلـقـكـ ، وـاـنـتـ لـهـ : قـلـبـكـ لـهـ ، فـلـاـ يـقـبـلـ مـنـهـ اـنـ يـسـعـدـ بـغـيرـهـ ، وـلـاـ اـنـ يـخـشـيـ سـوـاهـ ، وـلـاـ اـنـ يـرـجـوـ غـيرـهـ ، وـلـاـ اـنـ يـحـبـ غـيرـهـ ، وـلـاـ اـنـ يـطـمـئـنـ بـغـيرـ ذـكـرـهـ . وـعـقـلـكـ مـنـ صـنـعـهـ ، فـلـاـ يـرـضـيـ

بان يشك فيه . ولا ان ينشغل عنه بغيره . ولا ان يتذكر في غير ملكوته .  
وجوارحك كلها من فضله ومنتها . فلا يقبل منها حركة ولا سكونا  
يقصد بها وجهه غيره سبحانه .

هذه هي شروط ربك فالرمتها اذا خرجمت للدعوة . ولذلك بعد ذلك  
منه تسديد و توفيق و عز و اعزاز و اطمئنان و سكينة و هيبة ، حتى  
تصبح اذا ضربت ضربت بقوة العزيز العبار . و اذا ابصرت ابصرت  
بنور الله الهادي . و اذا تصرفت تصرفت بالهادى العليم الحكيم .

وهذه سنة لا تختلف ، وقانون ليس له استثناء . فدقق النظر في  
أحوال الناس تجدهم ينجدبون نحو المخلص لدعوه ، المهتم بها ، حتى  
 ولو كان يدعوا الى أتفه الامور . فكيف اذا اخلصت لدعوه الله . فأسبغ  
عليك عونه و توفيقه .

ولتحذر من الرياء و عدم الاخلاص . فانه يقتل اعمالك و يبطلها .  
وقد امر ربك فقال : ( ولا تبطلوا اعمالكم )<sup>(٩٧)</sup> . ويفوت عليك  
معونة الله . فانه سبحانه خصصها لمن يبتغي وجهه و يقصد رضاه .

واعلم ان القلب و عاء للنيات والمقاصد والاهداف ، فان لم تملأ هذا  
الوعاء بنية تعظيم الله . وقصد رضاه . والنجاة من عقوبته ، فانه  
سيمتنىء بنية تعظيم الدنيا ، وقصد الهوى ، وهدف تحقيق الشهوات .  
وعندئذ يموت قلبك ، وتفقد دعوتك ماء حياتها فلا تؤثر في قلب  
انسان ، ان لم ترد في وجهك .

وهذا امر ينطبق على جميع اعمال القلوب . فالحب مثلا من اول  
هذه الاعمال فانظر ان لم يكن حبك لله ماذا ينتظرك من الغسaran .  
انك واقع لا محالة في حب الدنيا : في حب مال او جاه او سلطان او  
شهوة ، وعندئذ خسرت تجارتكم ، فالله الذي عصيته لن يحبك ، لانه  
جعل حبه لائديه ، وسيحرمك امداده و معونته و يكلك الى نفسك ومن

(٩٧) محمد - الآية ٢٣ .

احببت وما احبيت ، وهذه هي القاضية . واما الناس الذين تدعوهם فسوف يسخرون منك ومن دعوتك ، لأنهم يرونك قالياً للذي تدعوههم اليه ، بدليل انشغالك عنه بما في ايديهم ، بل ان حالك يدعو الى آلهتهم وشهواتهم ، وان لسان الحال لمصدق اذا خالقه المقال ، وان هذا المقال لمكذب عند الناس اذا ناقضه لسان الحال . ثم انهم سيمقتوتك ، لأنهم يرونك تزاحمهم فيما استحوذوا عليه من حطام الدنيا ، وقلوبهم معلقة به ، فيزدادون تعلقاً به عندما يشتد طلبك لها ، وتمتنلئ قلوبهم حقداً عليك وكرهاً لك . لما يرونك من المنافسة لهم . وهكذا يقول أمرك الى ان يصبح حالك عقبة تعترض سبيل الدعوة .

وخذ عملاً آخر من اعمال القلوب : خذ الخوف والخشية والخضوع ، اثنيني بقلب لا يخاف ولا يخضع . ولكن الفائز من وطن قلبه على خشية الله . وامن سواه . واما الذين يؤمنون الله ويخشون الناس فقد خسروا خسراًاناً بييناً . في الدنيا والآخرة . لأنهم أمنوا من حقه ان يخشى أشد الخشية . لأن وسائل البطش كلها من صنعه وخلقه ، فعرضوا بذلك أنفسهم لغضب الجبار ذي القوة المتين . فحررهم من الامن الحقيقي ، وملأ قلوبهم رعباً وقلقاً وجزعاً .

ثم انك لا تقدر على اقناع الناس اذا كنت خائفاً منهم ومن اساليبهم ، ومن حطام الدنيا الذي وقع بين ايديهم . انهم سوف يسخرون من حالك : تدعوه الى أقوى الاقوياء ، فلماذا يرونك منهم خائفاً ؟ ومن سلطانهم مرتجفاً ؟ اذن ستوقع في حسهم ان ما يملكون خير واقوى مما تدعوه اليه ، ف تكون بذلك صاداً عن سبيل الله ، معوقاً عن السير فيها والاهتداء اليها .

هذه بعض اعمال القلوب ، ان لم تخلص الله كانت كلمة صاحبها مردودة غير مقبولة . واعلم ان هذه سنة جارية في كل عمل ، سواء كان للقلب او للجارحة : فصلاتك وصيامك وزكاتك وحجك ، وذهابك وايابك وزيارتك للناس ، وتعليمك لهم ، وغير ذلك ، ان خلصت الله كانت خير

دعوة وابركها . وحظيت كلمتك بالقبول . والا فاعلم انها كما لا تسمن ولا تغنى من جوع عند مالك يوم الدين . فكذلك هي في الدنيا لا تؤثر في أحد . فان اغتر مفتر بها لم يطل اغتراره ، حتى اذا كشف له الامر كان أشد ضلالا . وأوغل في معاداة الدعوة التي تحملها . و كنت انت السبب في كل ذلك .

علمك – يا اخي المؤمن – أرد به وجه الله . يرفعك عنده وعنده الناس ويعلمك الحكمة ( ومن يؤت العكمة فقد أوتي خيرا كثيرا )<sup>(٩٨)</sup> . وما أكثره من خير ! فانك اذا اوتيتها اوتيت معرفة بكل وجوه الخير ، وفرقانا بين الحق والباطل وفراسته لا ينطلي معها عليك خداع ، وتأثيرا في الناس ورفة بينهم . واعلم أن الاخلاص مفجرها . والصدق في القول والعمل والنية من بيتها ومن نميتها ، لذلك قال أحد العلماء : ( الصدق سيف الله ما وضع على شيء الا قطعه ) ، وقال آخر : ( ما أخلص عبد قط أربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ) .

ومن جهة أخرى فان اخلاصك لله يورث قلبك الثبات والسكينة والاستقرار ، فلا يتقلب فؤادك بين حب هذا وبغض ذاك ، والخوف من هذا والخوف من ذاك ، فان هدفك واحد لا يتغير ، وطريقك واحد لان معبودك الذي تطلب رضاه واحد . وأما الذين يراغعون بأعمالهم فما اكثر الهم : ترى قلوبهم بالامس متعلقة بشيء ، واليوم بشيء . وغدا بشيء ، فلا يثبتون على حال ، ولا يستقرون على مبدأ ، يدعون اليوم الى ما كانوا منه في الامس يعذرون . ويعذرون غدا مما كانوا اليه اليوم يدعون . والناس لا يستجيبون لداعية متلون ولا متقلب .

### ٣ – سلاح الالتزام :

ان السلاح الثابت الذي يقلدك اياد ايمانك ، وينبغي ان تتقلدك . ايها الداعية ، هو الالتزام بأوامر ربك ، الذي آمنت به رقيبا عليك ،

ومسجلا لاعمالك ، ومجازيك عنها ، وقدرا على نصرتك ان اطعته ،  
وخذلانك ان عصيته . والالتزام بدعوتك التي تدعو اليها الناس .  
الست تدعو الناس الى طريقها ، فكيف تلومهم اذا خالفوا مقالك  
وابيعوا حالك ؟ تقول لهم : اذهبوا من هنا ، وانت ذاهب من هناك  
فكيف يصدقونك وانت تكذب نفسك ، وتأتي على حجتك بالنقض  
والابطال ؟ ان لسان الحال أقوى من المقال ، لان التطبيق العملي أوقع  
في النفس من النظريات والادعاءات .

الست تقول لهم : ان دعوتك أحسن دعوة ؟ فكيف يوافقونك وانت  
مخالف لها ؟ الست تقول لهم : ان تجارتكم اربح تجارة ؟ فكيف يتاجرون  
بها وانت متاجر بسواها ؟ الست تقول لهم : ان شجرتك ابرك شجرة ؟  
فكيف يزرعنها وانت لم تزرعها ان لم تكن تعلمها ؟

ان رسولك الكريم ، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم عرف بمحبي  
ربه وتعلمه كنه هذه النفس البشرية ، فعرف فيها اعجابا بالمثال ،  
وانبهارا بالتجربة ، وامتثالا للعمل ، فكان عليه الصلاة والسلام أول  
عامل امام اصحابه ، وأول مقاتل امام جنده ، وأول منفذ امام اتباعه  
فصدقوه قوله وعملا .

ان من أهم أسباب ما نراه من عزوف الناس عن هدى ربهم ، سلوك  
كثير من تقلدوا الدعوة ، ولم يمثلوها ، وحملوها على ألسنتهم ، ولم  
يحملوها في قلوبهم وعلى جوارحهم .

وان اول ما يجب عليك أن تلتزم به علمك الذي تعلمته ، فانك به  
قد أشهدت على نفسك انك عرفت الحق ، وبلغتك الرسالة ، فان لم  
تلتزم به كان حجة عليك أكدر ، وبرهانا على تقصيرك يوم  
الحساب . وفي هذه الدنيا لا يبارك الله فيه ، ولا يظهر له أثرا في خلقه ،  
بل سيهجرك كما هجرته ، فتنساه ويضيع منك ، بعد ان تكون العجة

قد قامت عليك . ولقد قال بعض العلماء : ( ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب . كما يزل القطر عن الصفا )<sup>(٩٩)</sup> .

ان الالتزام بما تدعوه اليه من الاسلام فرع من فروع الدعوة في حد ذاته وصنف من أصنافها ، وطريقة مؤشرة من طرقها . وان أقل أحوال المسلم في الدعوة الى الله هو الدعوة بلسان الحال من الالتزام بما يدعوه اليه ، مع انكار المنكر بقلبه .

#### ٤ - سلاح التميز :

ان من أهم الاسلحة التي يسلح بها ايمانك ، أيها الاخ الداعية ، والتي لا غنى لك عن تقلدتها في معركتك مع الباطل ، تميزك العاصم عن أهل الجهل والضلال . والمقاصلة التامة بينك وبينهم ، والافتراء عليهم : في تصورك ، وفي مقاييسك وموازيينك ، وفي أهدافك ومقاصدك وفي مشاعرك وأحساسك ، وفي اهتمامك وفي اصطلاحاتك وتعبيراتك ، وفي جوهرك ومظهرك .

ان هذه المقاصلة وهذا التميز هو الذي ربى عليه أحكم المربيين سبحانه وتعالى . رسوله الكريم ، عليه الصلاة والسلام ، من أول الامر ، فقال عز وجل له وللمؤمنين : ( قل : يا أيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ، ولا أنت عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ، ولا أنت عابدون ما أعبد ، لكم دينكم وللي دين )<sup>(١٠٠)</sup> ، أي فاصلهم يا محمد في كل عبادتك ، واعلم وأعلمهم أن طريقك غير طريقهم ، ومنهجك غير منهجهم ، وتصورك غير تصورهم ، فان العبادة في اصطلاح الله شاملة لكل انياد ، وكل خضوع ، وكل استسلام ، وكل تقدس ، وليس مجرد ركوع وسجود<sup>(١٠١)</sup> .

(٩٩) انظر كتاب اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي ، مطبوعة مع عدة رسائل ص ١٩٢ .

(١٠٠) سورة الكافرون .

(١٠١) انظر تفسير سورة الكافرون لسيد قطب رحمة الله في « في ظلال القرآن » - المجلد ٨ ، ٦٨٦ - ٦٩٠ .

ان مجرد دخولك في دين الله يلزمك بهذا التميز . وهذه المفاصلة ، فانك بالشهادتين انتسبت الى جيش الله ورسوله عليه الصلاة والسلام . ودخلت تحت قيادتهم . وسلمت شاراتهما وأعلامهما . وظيفتك ان تهاجم جيش الشيطان من غير اختلاط معه . ولا اقتباس منه ، ولا انحراف فيه .

أحكامك التي تلتزمها ، ومقاييسك التي تقيس بها ، وتصوراتك عن الحياة والوجود ، وأخلاقك التي تتخالق بها . كلها يجب أن تلتقاها من الله عن طريق رسوله ، عليه الصلاة والسلام : فلا تعتكم الا الى حكم الله ، ولا ترفع الا ما رفع الله ، ولا تتحقر الا ما احترق ومن احترق ، ولا تحب الا ما أحب ومن أحب ، ولا تبغض الا ما أبغض . وتكون هكذا في جميع احوالك واعمالك . فقد أعلمك ربك ان الطرق اثنان لا ثالث لهما ، فقال معلما لك : ( فمَاذا بعد الحق الا الضلال ) (١٠٢) ، ففي الكون كله دينان ، لا ثالث لهما : دين الله الذي دخلت فيه السموات والارض ، وكل مخلوق سوى الكافرين ، وخرج منه الكافرون من الانس والجن . ودين الهوى الذي دخل فيه الكافرون من الانس والجن وخرج منه المؤمنون منهم وجميع المخلوقات الاخرى .

وهذه المفاصلة تعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه ، ثم علمها للمؤمنين ، حتى غرسها في قلوبهم وأرواحهم . فظهرت على جوارحهم . فقد علمهم ان المسلم لا يقبل منه أن يقف على الحياد في معركة الحق مع الباطل ، وانما يجب عليه ان يدخل فيها بجانب الحق ، وبأي سلاح شرعه الله ، ولو كان انكارا قلبيا .

الا ترى كيف دعك الرسول عليه الصلاة والسلام – ان لم تستطع مواجهة المنكر – الى ان تملأ قلبك بالعقد عليه والانكار له ، حتى لا يتميئ هذا القلب ، ويركن الى أساليب الشيطان ، فقال صلى الله عليه

وسلم : ( من رأى منكم منكرا فليغیره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان )<sup>(١٠٣)</sup> ، فهذه هي مدينة الايمان والمؤمنين ، آخر حدودها مع الكفر والجاحدين الانكار بالقلب والكره بالمشاعر لكل منكر ، فمن جاوزها ، فاطمأن قلبه للمنكرات ، ولو لم يفعلها بنفسه ، فقد خرج من مدينة الله ، ودخل حظيرة الشيطان وأولئك ، أعادنا الله منه ومن جنوده .

ولهذا السبب وجدنا الرسول عليه الصلاة والسلام يحشر في زمرة المنافقين من مات ولم يقاتل الكفار ، ولم يحدث نفسه بقتالهم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : ( من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق )<sup>(١٠٤)</sup> ، فإنه عليه الصلاة والسلام يطالب الذين لم تتح لهم الفرصة بمواجهة الكفار ان يجهزوا قلوبهم ببغضهم ، والحمد على كفرهم ، حتى اذا ما حانت لهم الفرصة نازلواهم وقاتلواهم . فإنه عليه الصلاة والسلام يكلف اتباعه بالمخالفة القلبية لاهل المنكر والضلال اذا اعيتهم المخالفة الفعلية ، حتى يكونوا مؤهلين لها عندما تعين الفرصة .

ولذلك كانت الهجرة الى الله ورسوله ضرورية لتحقيق هذا التميز للمؤمنين فانها اول مظاهر الانحراف في جيش الله ، والعلامة المizza لقبول الجهاد في صفة ضد الشيطان وجنته .

والهجرة لها درجات ومراتب : اولها واجبها على المؤمنين تلك الهجرة الشعورية لكل ما عليه اهل الجهل والغفلة من تصورات واهتمامات وأعراف وتقالييد وقيم . ثم الهجرة الفعلية والاعتزال الحقيقي لاهل الباطل . وال الاولى ضرورية للمؤمنين في كل ظرف وعلى كل حال . والثانية يكلفون بها عندما يمن الله عليهم بالقدرة عليها ، ولا يكون في اظهارها فناء الفتة المؤمنة .

(١٠٣) تقدم تخرجه في ص ٩٤ .

(١٠٤) اخرجه مسلم - انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ص ٥٦ .

وقد عرفت فيما تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و معه أصحابه فاصل كفار قريش في مكة في جميع معبوداتهم ، و ثبت على دين الله عز وجل ، و حقر من تصوراتهم و عاداتهم و تقاليدهم كل مالم يأذن به الله ، و رفض بشدة ووضوح وقوه كل مساومة دخلوا فيها معه ، و ثبت على الحق الذي من الله به عليه ، حتى بارك سبحانه في اتباعه ، و يسر له من عباده من يحمل معه الدعوة بنفس الطريقة التي علمهم اياها . و عندئذ هاجر الى المدينة المباركة . و فاصل الكفار مفاصله حاسمة ، حتى أصبح الامر ، وليس في الدنيا سوى دارين : دار اسلام يحكم فيها رب العباد ، وأخرى دار كفر يحكم فيها الهوى والشيطان .

وأتباع محمد عليه الصلاة والسلام في كل زمان مكلفوون باتباع منهجه ، لانه منهج رباني من عند الذي أرسله للناس أجمعين ، فاته لا ينطوي عن الهوى ، ولا يتصرف الا بتخطيط الله وتسديده .

## ٥ - سلاح الاخوة :

فان الايمان الصادق يشعر شعورا بالاخوة لجميع المؤمنين ، فيربط بينهم برباط قوي لا يفصم عراه اي مؤثر من المؤثرات ، كما قال تعالى ( انما المؤمنون اخوة ) (١٠٥) .

فكل عبد شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله يصبح اخا لجميع من قالها قبله ، وكل من يقولها بعده ، ويكون له بها جميع حقوق الاخوة وواجباتها تجاه اخوه .

وهذه العلاقة التي يبنيها الايمان بين المؤمنين تزيد من قوتهم افرادا وجماعة أضعافا مضاعفة . فكل فرد يكتسب بهذه الاخوة قوة في نفسه ترتفعها قوة اخوانه المسلمين . وقد أشار الى هذا المعنى قول الله تعالى : ( هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ) (١٠٦) . وقول الرسول

(١٠٥) العجرات - الآية ١٠ .

(١٠٦) الانفال - الآية ٦٢ .

صلى الله عليه وسلم ، ( المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه  
بعضا ) <sup>(١٠٧)</sup> .

وجماعة المؤمنين تصبح بهذه العلاقة الربانية قوة متماسكة في وجه الشر والباطل ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم مثل الجسد : اذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ) <sup>(١٠٨)</sup> .

ذلك أن الاخوة التي يشمرها الایمان ليست مجرد شعار او عنوان ليس له مضمون . وانما هي علاقة يعقدها الله سبحانه بين عباده المؤمنين ، ويكلفهم بالقيام بحقوقها تجاه بعضهم بعضا ، وبذلك تمد هذه العلاقة المؤمن ، في الجماعة المؤمنة ، والجماعة بمجموع أفرادها المؤمنين ، بأسلحة مؤثرة في مواجهة الكفر والطغيان .

وهذه الحقوق التي تولدها الاخوة الایمانية هي في حقيقتها وسائل تقوية للجماعة المؤمنة ، وهي كثيرة . فصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من الاحاديث . منها ما هو وقائي حافظ للجماعة من اي عامل من عوامل الضعف والوهن . ومنها ما هو ايجابي يزيد في قوة الجماعة وتأثيرها .

ومن الاول ما ورد في قوله عليه الصلاة والسلام : ( لا تعادوا ولا تناجشو ولا تبغضوا ولا تدارروا ولا يبع بعضكم على بيع بعض ، وكونوا عباد الله اخوانا . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرقه ولا يخذله ، التقوى ه هنا ، ويشير الى صدره ثلاث مرات . بحسب امرىء من الشر أن يعقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام ، دمه وماله وعرضه ) <sup>(١٠٩)</sup> فانتظر يا أخي الداعية كم تكون قوة الدعاء اذا وقفوا

(١٠٧) انظر صحيح البخاري مع فتح الباري في كتاب الادب . بب فصل تعاون المؤمنين ج ١٠ ص ٣٦٩ ، كما اخرج هذا الحديث الامام مسلم والترمذى - انظر هداية الباري ج ٢ ص ١٦١ .

(١٠٨) متفق عليه . واللفظ للبخاري - انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٣٦٠ .

(١٠٩) رواه مسلم - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٣٠ .

عند هذه العدود التي حددتها لهم الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم .

ومن الثاني قوله عليه الصلاة والسلام : ( حق المسلم على المسلم سنت : اذا لقيته فسلم عليه و اذا دعاك فاجبه ، و اذا استنصرك فانصر له ، و اذا عطس فحمد الله فشمته ، و اذا مرض فعده ، و اذا مات فاتبعه )<sup>(١١٠)</sup> ، قوله عليه الصلاة والسلام ( لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه )<sup>(١١١)</sup> .

ومما جمع النوعين في كلمات بليفة موجزة قوله عليه الصلاة والسلام : ( انصر أخاك ظالما أو مظلوما ، فقال رجل : يا رسول الله ، انصره ، اذا كان مظلوما أرأيت ان كان ظالما كيف انصره ؟ قال تحجزه او تمنعه من للظلم فان ذلك نصره )<sup>(١١٢)</sup> .

وفي هذا المقام أذكر الاخ المسلم بان مضمون الاخوة اليمانية لا يتحقق بين المؤمنين الا بولاية بعضهم بعضا ، وقطع كل ولاية لعدوهم . ولذلك فان الله عز وجل قرر في كتابه الكريم أن من أهم صفات الجماعة المؤمنة التي تدعو الى الله ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ان بعضهم اولياء بعض ، قال عز وجل في سورة التوبة : ( و المؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ، يأمرن بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ، ويتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم )<sup>(١١٣)</sup> ، فانظر أيها الاخ القاريء كيف قدم الله تعالى هذه الصفة على الوظائف الاخرى التي كلف الفئة المؤمنة ان تقوم بها ، فالنص يطلب من المؤمنين ان يأمرروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، ويعبدوا الله عز وجل ويطيعوا رسوله ، ولكنه يطلب ذلك كله منهم من منطلق تولي بعضهم بعضا .

(١١٠) متفق عليه والمعنى مسلم . انظر : رياض الصالحين ص ١١٧ .

(١١١) متفق عليه - المرجع السابق .

(١١٢) رواه البخاري - المرجع السابق .

(١١٣) براءة - الآية ٧١ .

فعلى الاخ الداعية ، اذا اراد ان يكون مؤثرا في دعوته الى الله عز وجل ودينه ان ينضم الى جماعة المؤمنين . ويخطط معهم من اجل انقاذ الناس من الضلال ، وينظم حركاته وأعماله بما يتفق مع حركة تلك الجماعة . ولا ينافقها سواء كان ذلك في تربية نفسه وفق منهج الله عز وجل . او في وسائله العملية في دعوة الناس الى دين الله . او في محاربة الكفر والجهل واهلها .

كما يجب على المؤمنين في بقاع الارض ان يبحثوا عن بعضهم بعضا ويتجمعوا ، ويؤمنوا لانفسهم اميرا . لان حقيقة الولاية لا تتحقق الا بهذا . وخاصة ان اعداءهم لا يواجهونهم متفرقين ، وانما من خلال جماعات منظمة لها امراء وخطط جماعية ، مصداقا لقوله تعالى : ( والذين كفروا بعضهم اولياء بعض ) <sup>(١١٤)</sup> وقوله تعالى : ( المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرن بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبحون أيديهم ، نسوا الله فنسىهم . ان المنافقين هم الفاسقون ) <sup>(١١٥)</sup> .

فيما أيها الاخ الداعية ، عليك باخوانك المسلمين . ابحث عنهم ، وانضم الى ركبهم ، حتى يكون جهدا في الدعوة مثرا ومبركا . والزرم قول رسولك الكريم عليه الصلاة والسلام : ( عليكم بالجماعة . فان الشيطان مع الواحد . وهو من الاشرين أبعد . من اراد بعبوحة من العنة فليلزم الجماعة ) <sup>(١١٦)</sup> . وليس الجماعة التي يدعوك اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى الجماعة التي تسير على دربه وتظهر عليها وعلى افرادها سمات الاسلام . من الطاعة والالتزام بأوامر الله وسنة رسوله . وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله : ( انما وليكم الله ورسوله

<sup>(١١٤)</sup> الانفال – الآية ٧٣ .

<sup>(١١٥)</sup> براءة – الآية ٦٧ .

<sup>(١١٦)</sup> رواه الترمذى : وقال . حسن صحيح غريب من هذا الوجه – انظر : عارضة الاحدى ج ٩ ص ١٠ .

والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .  
 ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون (١١٧) .

ولا تقولن : ان الامر في اكتشاف هذه الجماعة صعب ، فان الله سبحانه عندهما يكلفك بالعمل مع جماعة المؤمنين لا يكلفك بأمر لا يمكن تنفيذه ، فقد تقدم قوله سبحانه : ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ، ويطهرون الله ورسوله ) . وقوله عز وجل : ( يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ) . ومن يتتبع الآيات الكريمة التي تحدثت عن صفات المؤمنين الآمنين بالمعروف والناهين عن المنكر يستطيع أن يتبع ملامح هذه الجماعة التي يجب على كل مؤمن أن يقف منها موقفا ايجابيا بالعون والنصرة . ويجمع هذه الصفات واللامح لهذه الجماعة انها تدعو الى تحقيق مضمون الشهادتين في حياة الناس ، بما في هذا المضمون من عموم وشمول . كما انه يظهر على افرادها الالتزام بهذا المضمون في أنفسهم وفيمن يتولون أمرهم من أهل وولد وغيرهم ، والفهم العميق الشامل لدين الله عز وجل ، والسعى العاد لتعكيم شريعة الله في الارض ، والتربيه المطابقة لها في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

## المبحث الرابع في جهاد المنافقين

ان من أخطر أعداء الدعوة الاسلامية ، وأشد المعوقات لسيرها وتقدمها ، حركة النفاق التي تبتلى بها الفئة المؤمنة ، بمجرد أن تظهر لها فاعليه في الارض ، فيحسب لها الكفار كل الحساب ، ويخشون امتداد أثرها بين العباد ، فيتظاهر بعضهم بالاسلام والايمان ، مبطنين الكفر في أعماقهم ، ليجدوا لهم مكانا مناسبا بين جماعة المسلمين ، يوجهون منه ضرباتهم لدعوة الاسلام ، ويسترون به مكائدتهم وخططهم ومؤامراتهم ضدها ، ويدفعون عن انفسهم ما يستحقون من العقاب . وينتهزون الفرص المواتية لنيل المكاسب الدنيوية . يبتغون من كل ذلك الامان في محاربة الاسلام ، من غير أن يعرفوا أو توجه لهم الانظار ، لتكون حربهم على المسلمين أدوم ، وأخطر ، وأشد أثرا في التعطيل والتغريب من حرب الكفار المجاهرين ، الذين يحسب حسابهم ، ويمكن الوقوف أمامهم والحد من ضررهم ، لوضوحهم أمام المؤمنين ، ووضوح اماكنهم وأساليبهم .

من هنا كان هذا الصنف من الاعداء أخطر من غيرهم على دعوة الاسلام ، ودولة المسلمين ، لغبته أساليبهم ، وكمون عداوتهم ووصولهم الى موضع بين المسلمين ، لا يصل اليها غيرهم من الكفار ، ويكون في ادراك مدى خطورتهم أن تعلم أنهم قاعدة الكفر المستترة في ديار الاسلام ، ومنفذ الكفار الى قلب الأمة المسلمة ، فهم أعوان كل عدو للمسلمين وأولياؤه (١) .

لذا كان جهادهم من ألزم الجهاد على المؤمنين ، واتخاذ الحيطة منهم أو جب من اتخاذها من غيرهم . ولا ادل على هذا من ذلك الحين الكبير

(١) الحضارة الاسلامية لابن الاعل المودودي ص ٢٩٤ .

الذى شغله الحديث عنهم في كتاب الله العزيز ، فانه لا تكاد سورة مدنية تخلو من القاء الأضواء الكاشفة على هذا الصنف من أعداء الاسلام ، حتى بلغ ما خصص للحديث عنهم وعن أحوالهم ، وأساليبهم في محاربة الدعوة الاسلامية وصفاتهم الخبيثة ، ما يقارب عشر القرآن الكريم ، ونزلت سورة بكمالها فيهم سميت باسمهم <sup>(٢)</sup> .

من أجل ذلك حذر الله عباده منهم ، وأمرهم بالحذر منهم ، وجهادهم قال تعالى عنهم في سورة «المنافقون» ( و اذا رأيتم تعجبك أجسامهم ، وان يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مستدة ، يحسبون كل صيحة عليهم ، هم العدو فاحذرهم ، قاتلهم الله أنى يوفكون ) <sup>(٣)</sup> ، اي هم العدو العقيلي العدو الكامن داخل المعسكر ، المختبئ في الصد ، فهو أخطر من العدو الخارجي ، فهم العدو الاول لل المسلمين ، يجب أن يحتاط لهم ، وأن يحذروا أكثر من غيرهم <sup>(٤)</sup> .

هذا وأن أعظم الحديث فائدة في جهاد المنافقين ، وأنفعه للمؤمنين في مواجهة هذا الصنف الخطير من أعدائهم هو ما ورد في كتاب الله عنهم ، وهو كثير كما علمت ، ولا يترك زيادة لستزيد . ونقتبس منه في هذا المقام ما يكشف لنا عن أمرتين مهمتين :

الأمر الأول : صفات المنافقين وأساليبهم .

الأمر الثاني : وسائل جهادهم .

**أولاً : صفات المنافقين وأساليبهم :**

عرفت فيما تقدم أن خطورة المنافقين في الدعوة الاسلامية تكمن في استئثارهم عن المؤمنين ، وخفاء أساليبهم في المكر والكيد ، وظهورهم باللaimان ، والتلبيس على عباد الله بالظاهر المزيف الذي يخفي وراءه حقدا وعداء .

(٢) في طلال القرآن - المجلد الثامن من ١٠٤ ، آيات الجهاد من ٣١٧ .

(٣) المنافقون - الآية ٤

(٤) في طلال القرآن - المجلد الثامن من ١٠٨ .

ولكن الله ، بفضله ، قد كشف لجنه سترهم ، وأزاح عنهم الغطاء الذي نسجوه بنفاقهم ، وبين صفاتهم وخصائصهم وأساليبهم ، وما يستتر وراء أفاعيلهم من التوايا الخبيثة . والكفر الأصيل . والعقد الدفين ، ليكون المؤمنون على حذر منهم في كل زمان . لأن ما تنزل فيهم من الآيات الكاشفة عنهم لا تختص بأولئك الذين نزلت فيهم . وإنما تشملهم وتشمل غيرهم في كل جيل وهي تحليل صادق من العليم الغير للنفس الإنسانية التي يغزوها النفاق في كل عصر <sup>(٥)</sup> .

وهذه الصفات بعضها يدل على غياب الإيمان من قلوب أصحابها ومن ارتكس في شيء منها كان من الكافرين المخلدين في جهنم . إذا مات عليها ولم يتتب ، ومنها ما يتعلق بالعمل ، ويدل على ضعف الإيمان وإن لم يكن قرينه قاطعة على غيابه بالكلية ، وهو بمفرده من أكبر الذنوب . فإن كان ضمن حد لا يدل على خلل في العقيدة لم يخرج صاحبه من دائرة الإيمان ، وإن عد كبيرة من الكبائر . ولكن قد يكثر نفاق العمل ويصبح صفة ملازمة لصاحبها ، بحيث يكون قرينه قوية تدل على وجود خلل في الاعتقاد ، أو يكون العمل مما لا يمكن تأويله إلا بعمله على سوء الاعتقاد بالله أو برسوله أو باليوم الآخر ، فيكون صاحبه من الصنف الأول <sup>(٦)</sup> .

(٥) انظر : في ظلال القرآن - المجلد الأول ص ٢٥ ورجال الدعوة والفكر في الإسلام ص ٦٢ .

(٦) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧ ، الصارم المسلول ص ٣٤ . العرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ١٤ ، تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، أحكام القرآن لابن العربي ج ٢ ص ٩٧٥ . ويقول العمامي بن كثير في بيان تعدد درجات الإيمان والكفر والنفاق مانصه : ( فتلخص من مجموع هذه الآيات الكريمة - يعني أوائل سورة البقرة - أن المؤمنين صنفان : مقربون وأبرار . وأن الكافرين صنفان : دعاة ومقلدون ، وأن المنافقين أيضاً صنفان : منافق خالص . ومنافق فيه شبهة من نفاق ، كما جاء في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاث من كن فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه واحدة منها كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : من إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان » استدلوا به على أن الإنسان قد تكون فيه شبهة من نفاق : أما على لهذا الحديث ، وأما اعتقادى كما دلت عليه آيات سورة البقرة ... ثم ساق حديثاً أخرجه الإمام أحمد عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر . وقلب أغلف مربوط على غلaffe ، وقلب منكوس ، وقلب مصفع . فاما القلب الاجرد فقلب المؤمن ، فسراحه فيه نوره . واما القلب الأغلف فقلب الكافر ، واما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص ، عرف نم انكر ، واما القلب المصفع فقلب فيه إيمان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يهدى الماء الطيب ، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يهدى المقيع والدم ، فاي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه » وهذا استناد جيد انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٩ .

واليك فيما يلي طائفة من هذه الصفات والاساليب ، وما دل عليها من الآيات الكريمة :

### ١ - ابطان الكفر والظاهر بالايمان :

وهذه الصفة هي أصل النفاق في قلوب المنافقين . وكل ثمرة بعدها وكل شر يصدر عنهم متفرع عن هذا الأصل . ويدل عليها قول الله تعالى : ( وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَمْنَا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ . يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدِعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ . فِي قُلُوبِهِمْ مَرْضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرْضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ )<sup>(١)</sup> . وهؤلاء الذين تحدثت عنهم هذه الآيات وما بعدها هم المنافقون ، كما اتفق عليه السلف والخلف من المفسرين<sup>(٢)</sup> . ومثل هذا قوله عز وجل : ( إِذَا جَاءَكُمُ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا : نَشَهِدُ أَنَّكُمْ لِرَسُولِ اللَّهِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ لِرَسُولِهِ ، وَاللَّهُ يَشْهِدُ أَنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ )<sup>(٣)</sup> .

فهذا الصنف من الناس يدعون الايمان ، وهم في الحقيقة ليسوا بمؤمنين<sup>(٤)</sup> ولكنهم منافقون لا يجرؤون على التصریح بحقيقة شعورهم في مواجهة المؤمنين ، فهم كما قال الله عنهم : ( وَإِذَا لَقِيَ الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا : أَمْنَا ، وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا : إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ )<sup>(٥)</sup> .

### ٢ - صفة المغادعة :

ذلك ان المنافقين لما اخذوا لانفسهم تلك الصورة الملونة ، وذلك المركز المدبب ، لم يتمكنوا من الحفاظ عليه الا بالمخادعة ، فصارت هذه الصفة طبيعة فيهم ، ولا صفة بهم ، قال الله عز وجل عنهم :

(١) البقرة - الآيات ٨ - ١٠ .

(٢) انظر : تفسير مجاهد ص ٦٩ ، وتفسير الطبری ج ١ ص ٣٦٨ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٧ . وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٤ ، وأحكام القرآن لابن العربي ج ١ ص ١١ .

(٣) المنافقون - الآية ١ .

(٤) الحضارة الاسلامية ص ٣٩٥ ، سيرة الرسول صل الله عليه وسلم ، محمد عزوة دروزه ص ١٨٥ .

(٥) البقرة - الآية ١٤ .

( يخادعون الله والذين آمنوا ، وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون ) ، اي انهم يخادعون الله والمؤمنين باظهارهم ما أظهروه ، مع اسرارهم الكفر ، ويعتقدون بجهلهم انهم يخدعون الله بذلك وان ذلك نافعهم عنده ، وانه يروج عليه كما قد يروج على بعض العباد ، وما يدرؤن انهم يخدعون انفسهم ، حين يظلون انهم بفعلهم ذاك ينالون اماناتهم وهم في الوقت ذاته يوردونها موارد التهلكة بالكفر الذي يضمروننه والنفاق الذي يظهرونه <sup>(١٢)</sup> .

ويستبيح المنافقون في مخادعة المؤمنين كل وسيلة تستر حقدهم ، وعادوتهم من الأيمان المغلظة ، والآقوال المنقة ، المثيرة للإعجاب ، قال سبحانه وتعالى : ( ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه ، وهو ألد الخصم . وإذا تولى سعي في الأرض ليفسد فيها و يهلك العرث والنسل ، والله لا يحب الفساد ) <sup>(١٣)</sup> ، وفيهم نزل قوله تعالى : ( ول يجعلن ان اردنا الا الحسنى ، والله يشهد انهم لکاذبون ) <sup>(١٤)</sup> . و قوله تعالى ( ويحلون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولکنهم قوم يفرقون ) <sup>(١٥)</sup> ، و قوله تعالى : ( يحلون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه ان كانوا مؤمنين ) <sup>(١٦)</sup> ، و قوله تعالى : ( اذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لکاذبون . اتخاذوا ايمانهم جنة ، فصدوا عن سبيل الله ، انهم ساء ما كانوا يعملون ) <sup>(١٧)</sup> .

**٣ - العزوف عن التحاكم الى الله ورسوله ، وعدم الرضا بحكمهما :**  
وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : ( ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما أنزل اليك وما انزل من قبلك ، يريدون ان يتحاكموا الى

(١٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٨ ، في طلاق القرآن ، مجلد ١ ص ٤٦ .

(١٣) البقرة - الآيات ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

(١٤) التوبه - الآية ١٠٧ .

(١٥) التوبه - الآية ٥٦ .

(١٦) التوبه - الآية ٦٢ .

(١٧) المنافقون - الآيات ١ ، ٢٠١ .

الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ، ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا . و اذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول ، رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا (١٨) ، ويقول سبحانه : ( ويقولون أمنا بالله وبالرسول وأطعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ، وما اولئك بالمؤمنين ، و اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ، اذا فريق منهم معرضون . وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين . افي قلوبهم مرض آم ارتابوا أم يغافون ان يحيف الله عليهم ورسوله ، بل اولئك هم الظالمون . انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا : سمعنا وأطعنا (١٩) .

وهذه صفة من ابرز صفات المنافقين ، فهم يرغبون عن حكم الله تعالى الى حكم اهل الجاهلية من الطواغيت (٢٠) . وخاصة اذا كانوا يخشون ان يظهر حكم الله باطلهم وظلمهم ، ويلزمهم بالحق . هكذا كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم كذلك في كل زمان . وقد قيل في سبب نزول آيات سورة النساء السابقة ، انها نزلت في رجل من المنافقين ورجل من اليهود ، كان بينهما خصومة ، الحق فيها لليهودي . فكان اليهودي يريد التحاكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما يعلمه من عدله ، وعدم قبول الرشوة . وكان المنافق يريد التحاكم الى بعض طواغيت الجاهلية ( قيل الى كعب بن الاشرف ، وقيل الى كاهن من الكهان ) . فأنزل الله تعالى تلك الآيات تبين كفر من لا يرضي بحكم الله وحكم رسوله ، وتفضح المنافقين الى يوم الساعة (٢١) .

والناظر في أسباب نزول تلك الآيات السابقة يجد أن الله عز وجل قد حكم بکفر ونفاق أناس كرهوا التحاكم الى شرعا في جزئية من الجزئيات ، وأرادوا أن يتحاكموا الى الطاغوت فيها ، فكيف بمن يدعي

(١٨) النساء - الآياتان ٦٠ ، ٦١ .

(١٩) التور - الآيات ٤٧ - ٥١ .

(٢٠) الحضارة الاسلامية للمودودي ص ٢٩٦ ، سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من ١٩٦ .

(٢١) انظر أسباب نزول تلك الآيات في : تفسير الطبرى ج ٨ ص ٥٠٧ - ٥١٣ و تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥١٩ . والصارم المسلول لابن تيمية ص ٣٨ ، ٣٩ .

إلى التحاكم إلى شرع الله في شؤون الحياة كلها ، فيرفض ذلك ، وهو يتظاهر بالاسلام ، ويرغب عن شريعة الاسلام جملة واحدة ، ويهرع إلى استيراد الشرائع من الكفار وأهل الكتاب في الشرق والغرب ، فيحكم بحكمهم في الناس : في السياسة والاقتصاد ، والعقوبات وغيرها ، ويترك حكم الله في كل ذلك ؟ فلعمري العق ان نفاق هؤلاء وكفرهم لأشد من نفاق أولئك وكفرهم أضعافا مضاعفة ، لأن من رفض نظام الله المنزل لعباده جملة واحدة أعرق في الكفر من رغب عنه في قضية معينة تخصه دون غيره ، وكلها كافر منافق في حكم الله عز وجل ، وإن ادعى انه مسلم .

#### ٤ - موالة الكفار ومماطلتهم على المسلمين :

وذلك أن المنافقين أقرب ، في حقيقة الامر ، إلى الكفار منهم إلى المؤمنين . بل لا صلة تربطهم بالمؤمنين إلا من حيث الظاهر ، وما أقاموا هذه الصلة مع المؤمنين إلا لخدم أولياءهم وشياطينهم من الكفار ، فهم صنائع الكفار بين المسلمين ، وهم مع الكفار عليهم (٢٢) ، كما أخبر الله عز وجل عنهم فقال : ( وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا ، قَالُوا : آمَنَا ، وَإِذَا خَلُوا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا : إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ) (٢٣) .

وقد بين الله تبارك وتعالى هذه الحقيقة ، وهذه العلاقة بين المنافقين والكفار في عدة آيات كريمة منها قوله تعالى : ( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَفَقُوا ، وَقَيْلَ لَهُمْ : تَعَالَوْا قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ ادْفَعُوا ، قَالُوا : لَوْ نَعْلَمْ قَتَالًا لَا تَبْعَنَاكُمْ ، هُمْ لِلْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْأَيْمَانِ ، يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ) (٢٤) .

بل قرر سبحانه أن المنافقين يرتبطون مع الكفار برباط اخوة الكفر ، فقال عز وجل : ( أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ : لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجُنَّ مَعَكُمْ ، وَلَا نَطِيعُ

(٢٢) انظر تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٦٦ ، الحضارة الاسلامية للمودودي ، ص ٢٩٧ ، سيرة الرسول ص ٢٠٤ .

(٢٣) البقرة - الآية ١٤ .

(٢٤) آل عمران - الآية ١٦٧ .

فيكم أحداً أبداً ، وان قوتلتم لننصرنكم ، والله يشهد انهم لکاذبون (٢٥) ، وقال تعالى : ( ألم تر الى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ، ما هم منكم ولا منهم ، ويحلون على الكذب وهم يعلمون ) (٢٦) . وقال أيضاً : ( بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ، الذين يتخدون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ايبتغون عندهم العزة ، فان العزة لله جمِيعاً ) (٢٧) .

وتشرم هذه الاخوة المعقودة بين المنافقين والكافار مؤامرات وخططها وكيداً للمؤمنين ، واغراء بهم . ومعظم المصائب التي تحل بديار الاسلام انما تأتي عن طريق خيانة المنافقين ، اذا لم يجاهدهم المخلصون ، ويوقفوهم عند حدهم ، ويبعدوهم عن ثغورهم ، وعن مراكز القوة فيهم ، ومراكز الحكم والتوجيه لعباد الله عز وجل .

وهكذا كانت مواقف المنافقين من دعوة الاسلام على مر العصور ، ونذكر فيما يلي أمثلة لهذه المواقف التي وقفوا من المسلمين في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أ - فبعد غزوة بدر نقض بنو قينقاع من اليهود العهد الذي كان بينهم وبين الرسول عليه الصلاة والسلام واعتدوا على بعض المسلمين وعلى حرمات الاسلام فسار اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومكنه الله منهم ، فقام يتشفع فيهم رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ، وقال : يا محمد احسن في موالي ، فأعرض عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وظل يلح عليه فيهم ، ويقول له : انهم موالي وعترتي وانا امرؤ أخشي الدوائر ، الى أن خلأهم الرسول عليه الصلاة والسلام ولم يقتلهم ، واكتفى باجلائهم عن المدينة .

(٢٥) الحشر - الآية ١١

(٢٦) المجادلة - الآية ١٤ .

(٢٧) النساء - الآياتان ١٣٨ - ١٣٩

وتذكر كتب السيرة ان ابن ابي لم يرضه حكم الرسول باجلائهم بل ذهب الى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسأله في اقرارهم ، فحجب عنه ، فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة ، فقصد وجهه العائط ، فشجه ، فانصرف مغضبا ، فقال بنو قينقاع : لا نمكث في بلد يفعل فيه بأبي العbab هذا ولا ننتصر له ، وتأهبا للجلاء <sup>(٢٨)</sup> .

هذا وقد نزل في عبد الله بن ابي بن سلوى ، وموالاته لليهود قول الله عز وجل : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين . فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون : نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده ، فيصيبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم انهم لعكم . حبطت أعمالهم فأصبحوا خاسرين . . . ) الى قوله تعالى : ( ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون ) <sup>(٢٩)</sup> .

ب - وفي غزوة أحد كان لهم موقف معروف في موالة المشركين وتخذيل المسلمين ، حيث انسحبوا من جيش المسلمين ، ورجعوا بثلث الناس قبل وصول أحد ، مبتفين بذلك اضعاف الجيش المسلم أمام الكافرين . ويستشف من الاحداث ان هذا التخذيل الذي قام به المنافقون كان باتفاق بينهم وبين اليهود ، فقد لوحظ قبل المعركة انه اجتمع تحت زعامة عبد الله بن ابي بن سلوى اكثرا من ثلاثة مئات منافق ، وعدد كبير من اليهود يزيد على ستمائة ، رفض رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستعين بهم في جيشه ، مما يشير الى مؤامرة دبرت من اليهود والمنافقين كانت تستهدف الميل على المسلمين والكيد لهم ، ولكن الله

(٢٨) انظر : سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٤٢٨ ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٧٨ . وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦٩

وتفسير الطبرى ج ١٠ ص ٣٩٦ ، دراسة في السيرة - الدكتور عماد الدين خليل ص ٣٧٢ .

(٢٩) المائدة - الآيات ٥١ - ٥٦ .

سبحانه وتعالى نصر جنده . وخذل اليهود والمنافقين ورد مكرهم الى  
نحورهم (٣٠) .

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في صنيع المنافقين في أحد آيات فضحهم  
فيها ، وبين أنهم أقرب إلى الكفار منهم إلى المسلمين فقال عز وجل :  
( وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله ، وليرعلم المؤمنين ، وليرعلم  
الذين نافقوا وقيل لهم : تعالوا قاتلوا في سبيل الله او ادعوا قالوا :  
لو نعلم قتالا لاتبعناكم ، هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون  
بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتعنون ) (٣١) .

ج - وعندما نقض بنو النضير العهد مع رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، بمحاولتهم قتله ، أمرهم الرسول عليه الصلاة والسلام بالجلاء  
عن المدينة ، وأجلهم عشرة أيام ، لا يرى أحدهم بعد ذلك إلا ضرب  
عنقه . ولما هموا بالجلاء أرسل إليهم المنافقون بزعامة عبد الله بن أبي  
يقولون لهم : لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم ، ان قوتلتكم فلكلم علينا  
النصر وان اخرجتم لن نختلف عنكم ، وأرسل إليهم ابن أبي يقول :  
لا تخرجوا من دياركم وأقيموا في حصونكم ، فان معي الفين من قومي  
وغيرهم من العرب ، يدخلون حصونكم ، ويموتون عن آخرهم قبل ان  
يوصل اليكم وتمدكم قريطة وحلفاؤكم من غطفان . وكان هذا التحرير من  
من المنافقين سببا في احجامبني النضير عن الجلاء ، وتجهزوا للقتال ،  
ولم يف لهم ابن أبي والمنافقون بما أخذوه على أنفسهم ، ولم يخفوا  
لنجدهم (٣٢) .

وفي هذا الموقف الذي وقفه المنافقون من الرسول عليه الصلاة والسلام  
نزل قوله تبارك وتعالى : ( ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم  
الذين كفروا من أهل الكتاب : لئن أخرجتم لنخرجن معكم ، ولا نطيع

(٣٠) انظر : آيات الجهاد من ٣٣٠ .

(٣١) آل عمران - الآياتان ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣٢) السيرة الحلبية ج ٢ من ٥٦١ .

فيكم احداً أبداً ، وان قوتلتكم لننصركم والله يشهد انهم لکاذبون ،  
لئن أخرجو لا يخرجون معهم ، ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ، ولئن  
نصرتهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون ، لانتم أشد رهبة في صدورهم من  
الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون (٣٣) .

د - ومن مواقفهم في الاستعانة بأهل الكتاب على المسلمين ما اشار  
اليه الله سبحانه وتعالى في قوله : ( والذين اتخذوا مسجدا ضررا وکفرا  
وتفریقا بين المؤمنين ، وارصادا من حارب الله ورسوله من قبل ، وليحلف  
ان أردنا الا الحسنة والله يشهد انهم لکاذبون ) (٣٤) .

وسبب نزول هذه الآية أنه كان بالمدينة قبل مقدم الرسول عليه  
الصلوة والسلام اليها رجل من الغزرج يقال له ابو عامر الراهب ،  
وكان قد تنصر في الجاهلية وقرأ على أهل الكتاب ، فلما قدم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم الى المدينة واجتمع المسلمين عليه ، وصارت للاسلام  
كلمة عالية وأظهراهم الله يوم بدر شرق اللعين أبو عامر بريقه ، وبارز  
بالعداوة وظاهر بها ، وخرج فارا الى كفار مكة ، وما لاهم على حرب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان معهم في أحد ، وكان له دور كبير  
في ايذاء الرسول وال المسلمين ٠٠٠٠٠ ولما فرغ الناس من أحد ، ورأى أمر  
الرسول في ارتفاع وظهور ذهب الى هرقل ملك الروم ، يستنصره على  
النبي صلى الله عليه وسلم ، فوعده ومناه وأقام عنده ، وكتب الى جماعة  
من قومه من أهل النفاق والرذب يعدهم وينهيم انه  
سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغلبه ويرده  
عما هو فيه ٠ وأمرهم أن يتخدوا له معلقا يقدم عليهم فيه من يقدم  
من عنده لاداء كتبه ، ويكون مرصاد له اذا قدم عليهم بعد ذلك ٠ فشرعوا  
في بناء مسجد مجاور لمسجد قباء ٠ ولكن الله عز وجل أطلع رسوله على  
حقيقة المسجد الذي أقاموه ، وانه قاعدة اتخذها المنافقون للضرار

٣٣) الحشر - الآيات ١١ - ١٣ ٠  
٣٤) التوبه - الآية ١٠٧ ٠

والتفريق والتخطيط مع الكفار ضد المسلمين . فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك بادر بهدمه (٢٥) . فانظر كيف لا يجد اعداء الاسلام من يعينهم على حربهم مع المسلمين سوى المنافقين . وهكذا هم في كل عصر ، اليد الخفية لاهل الكفر في ديار المسلمين .

## ٥ - الدس والوقيعة ، واعمال نار الفتنة ، واستغلال الخلافات بين المسلمين ومحاولتهم توسيع شقتها :

وهذه اساليب الكفار عامة في محاولة تفتتت الصف المسلم ، والتفريق بينهم ، وتمزيق وحدتهم وتألفهم ، وأكثر من يتقنها منهم اليهود . ويستعملون لتنفيذها اولياءهم من المنافقين الذين يقيمون بين أظهر المسلمين ، فيوحون اليهم باثاره الفتنة ، وايقاد نار العصبية ، واثارة دعاوى الجاهلية ، ويستجذب المنافقون لاوليائهم ، لاشراكهم معهم في الكفر وبغض المسلمين ، ولذلك وصفهم الله عز وجل بالفساد في الارض ، قال سبحانه : ( و اذا قيل لهم : لا تفسدوا في الارض قالوا : انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون ) (٢٦) . ومن جملة افسادهم محاولاتهم في الارياع بين المؤمنين .

ولقد كانت هذه هي سيرة المنافقين مع المسلمين ، منذ ان قامت لهم دولة في مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام . ولكن المؤمنين بقيادة رسول الله وبأخوه الایمان ، وبالاستمساك بالعروة الوثقى ، كانوا يطفئون كل نار يوقدونها وكل فتنة يثيرونها ، الى ان اشتد ساعد الدعوة وقويت دولة الاسلام ، وانتصرت على اولئك الذين كانوا يمدون المنافقين من اهل الكتاب والشركين ، ووضعت بذلك حدا لمؤامرات المنافقين وأوليائهم .

ومن أمثلة مواقف الفساد التي كان المنافقون يقفونها من دعوة الاسلام الفتية :

(٢٥) انظر : تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، زاد المعاد ج ٣ ص ٩ ، ١٠ السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٢٢ .

(٢٦) البقرة - الآياتان ١١ ، ١٢ .

أ - موقفهم في غزوة أحد عندما حاول زعيمهم عبد الله بن أبي بن سلول الایقاع بين المسلمين بانسحابه من الجيش ، وانخذل بثلث الناس ، وصار يلقى بسهام فتنته بين الناس ويقول : عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له ، ارجعوا ايها الناس ، فرجع معه ثلث الجيش . وتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر رضي الله عنه ، يقول لهم : يا قوم ، اذكركم الله الا تخذلوا قومكم ونبيكم ، فقالوا : لو نعلم انكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكن لا نرى انه يكون قتال وابوا الا الانصراف ، فقال لهم : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيغرن الله عنكم نبيه . وكان لفعلة المنافقين هذه أثر سيء في وحدة الصف المسلم ، وهزة نفسية عند بعض المسلمين ، حتى همت طائفتان من المسلمين أن تفعلا مثلما فعل المنافقون ، ثم عصمهمما الله تعالى <sup>(٣٧)</sup> ، وفيهما نزل قوله عز وجل : ( اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ، والله وليهما ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) <sup>(٣٨)</sup> .

ب - وفي غزوة بني المصطلق حدث خلاف بسيط بين أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقال له : جهجاه بن مسعود ، مع رجل من حلفاء الخزرج هو سنان بن فروة ، فازدحما على الماء ، وتدافعا ، فنادى حليف الخزرج : يا معاشر الاصناف ، ونادى أجير عمر : يا معاشر المهاجرين . فاغتنم هذه الفرصة رأس المنافقين ، وأخذ يلقي بسهامه بين القوم ، ليصدّهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان مما قاله : والله ما رأيت كالليوم مذلة ، أو قد فعلوها ؟ نافر ونا ( أي غلبو نا ) ، وكاثر ونا في بلادنا ، والله ما أعدنا ( أي أظننا معاشر الاصناف ) وجلابيب قريش ( يعني معاشر المهاجرين ) ، الا كما قال الأول ( اي الاقدمون ) : سمن كلبك يأكلك ، والله لقد ظننت اني سأموت قبل أن أسمع هاتفا يهتف بما سمعت ، اما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنا الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضر

(٣٧) انظر : السيرة الحلبية ج ٢ ص ٤٩٤ ، وآيات الجهاد ص ٣٢٨ . ٣٢٩ .

(٣٨) آل عمران - الآية ١٢٢ .

من قومه ، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم ، احللتموهن بلادكم وقاسمتهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . ثم لم تدروا بها فعلتم حتى جعلتم أنفسكم أغراضا للمنايا ، فقتلتم دونه (يعني النبي صلى الله عليه وسلم) ، فأيتمتم أولادكم ، وقللتكم وكثروا ، فلا تنفقوا عليهم حتى ينفقو من عند محمد . وكاد ابن أبي يشعها فتنية عظيمة ، لو لا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ فأخبر بالحال ، فقال صلى الله عليه وسلم: دعواها فإنها منتنة ، فسكنت الفتنة وانطفأت ثائرة العرب (٣٩) .

ونزل في ابن أبي واتباعه من المنافقين سورة كاملة ، سميت باسمهم لأنها كلها فيهم ، وهي سورة (المنافقون) .

ج - وكان من جملة اهداف المنافقين من تشييد مسجد الضرار التفريق بين المؤمنين كما ذكر الله تعالى في قوله: (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين) بالإضافة إلى ما تقدم من اتخاذهم إياها قاعدة للتماس والتخطيط ضد المسلمين ، فقد ورد عنهم أنهم قالوا: نبني مسجدا ونرسل إلى رسول الله يصلي فيه ، ويصلوا فيه أبو عامر الراهب إذا قدم من الشام ، فيثبت لنا الفضل والزيادة . وكان المسلمون في تلك الناحية يصلون في مسجد قباء جماعة ، فلما بني هذا المسجد ، صرف عن مسجد قباء جماعة ، وصلوا بذلك المسجد ، فكان به تفريق المؤمنين . وكان المنافقون يجتمعون فيه ، ويعيرون النبي صلى الله عليه وسلم ويستهزئون به ، إلى أن أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بتعريفه وهدمه عن آخره (٤٠) .

د - ومن أمثلة دسهم ووقيعتهم في غزوة تبوك ، أنه لما خلف الرسول صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه في المدينة ، ارجم المنافقون ،

(٣٩) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٩٥ . صحيح الترمذى بشرح ابن العربي ج ١٢ ص ٢٠٥ ، وقال الترمذى: حسن صحيح .

(٤٠) السيرة الحلبية ج ٢ ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

وقالوا : ما خلفه الا استقلاله . وحين قيل فيه ذلك أخذ على سلامه ، ثم خرج حتى لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالعرف ، فقال : يا نبى الله ، زعم المنافقون انك ما خلفتني الا استقلتني . وتخففت مني ، فقال : كذلك ، ولكنني خلفتك لما تركت ورائي ، فارجع ، فالخلفني في أهلي وأهلك ، أفلأ ترضى يا علي أن تكون مني بمنزلة هرون من موسى ، الا انه لا نبى بعدي ، فرجع علي الى المدينة<sup>(٤١)</sup> .

هكذا كانت سيرة المنافقين مع المسلمين : محاولات لتمزيق الصف ، وتشتيت الشمل ، واضعاف الرابطة . وهي كذلك اليوم ، وما الدعوات القومية ، والنزاعات الاقليمية والعصبية ، والتشكيلات العزبية الموالية لکفار الشرق او لکفار الغرب ، والدعوة الى اللهجات العامية ، وترك لغة القرآن العظيم ، الا محاولات لأهل التفاق وأوليائهم من اليهود والنصارى وأعداء الإسلام ، تستهدف تمزيق المسلمين وایجاد البذائل من الروابط الأرضية الواهية للرابطـة القوية الجامـعة التي يـصنعـها الإسلام فيما بينـهم فـليـنتـبهـ المـخلـصـونـ منـ اـبـنـاءـ الـمـسـلـمـينـ لـكـيدـ الـمـنـافـقـينـ وـأـوـلـيـائـهـمـ

## ٦ - العـبـنـ الشـدـيدـ وـالـتـخـلـفـ عـنـ الـجـهـادـ :

وذلك ان الشجاعة والاقدام والثبات انما هي ثمرات للإيمان بـالله عـزـ وـجـلـ ، والـإـيمـانـ بـالـيـومـ الـآـخـرـ ، والـمـنـافـقـونـ لـيـسـ لـهـمـ نـصـيبـ حـقـيقـيـ منـ الـإـيمـانـ ، فـلـيـسـ عـنـهـمـ رـوـحـ الـجـهـادـ ، وـلـاـ دـافـعـ التـضـعـيـةـ ، وـلـاـ ثـقـةـ بـالـلـهـ وـوـدـهـ ، وـلـاـ إـيمـانـ بـقـضـاءـ اللـهـ وـقـدـرـهـ .

فلما فرغت قلوبهم وأرواحهم من كل هذا الزاد كانوا اجبـنـ النـاسـ واکـثـرـهـمـ تـقـاعـسـاـ عـنـ الـعـمـلـ ، وـتـشـاقـلـاـ عـنـ الـجـهـادـ بـالـنـفـسـ وـالـمـالـ ، وـالـتـصـاقـاـ بـالـدـنـيـاـ وـشـهـوـاتـهـاـ<sup>(٤٢)</sup> ، قال الله عـزـ وـجـلـ مـقـرـرـاـ هـذـهـ الـحـقـيـقـةـ : ( لا يستأذنكـ الـذـينـ يـؤـمـنـونـ بـالـلـهـ وـالـيـومـ الـآـخـرـ انـ يـجـاهـدـواـ بـأـمـوـالـهـمـ وـأـنـفـسـهـمـ ،

(٤١) السـيـرـةـ الـعـلـيـةـ جـ ٣ـ صـ ١٠٤ـ .

(٤٢) الـحـضـارـةـ الـاسـلـامـيـةـ لـمـمـودـودـيـ صـ ٢٩٦ـ . سـيـرـةـ الرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ صـ ٢٠٩ـ ، ٢١٣ـ .

والله علیم بالمتقین . انما یستأذنک الـدین لا یؤمنون بالله والـیوم الآخر ، وارتـابت قلوبـهم ، فـهم فـی رـیبـهـم یـترـددـون (٤٣) .

ولقد تحدثت الآیات القرآـنـیـة ، باستفـاضـة ، عن هـذـهـ الخـصـیـصـةـ فـیـ المـنـافـقـینـ حتـیـ انـکـ لـتـشـعـرـ انـهـاـ منـ اـخـصـ خـصـائـصـهـمـ ، وـاـظـهـرـ صـفـاتـهـمـ ، یـعـرـفـونـ بـهـاـ فـیـ کـلـ زـمـانـ . منـ هـذـهـ الـآـیـاتـ :

قوله تبارک وتعالی : ( وـاـذـا رـأـیـتـهـمـ تـعـجـبـكـ اـجـسـامـهـمـ ، وـاـنـ یـقـوـنـواـ تـسـمـعـ لـقـوـلـهـمـ کـاـنـهـمـ خـشـبـ مـسـنـدـةـ ، یـحـسـبـوـنـ کـلـ صـيـحـةـ عـلـيـهـمـ ، هـمـ الـعـدـوـ فـاـحـذـرـهـمـ ، قـاتـلـهـمـ اللهـ أـنـیـ یـؤـفـکـوـنـ ) (٤٤) . فـاـنـظـرـ الـىـ قـوـلـهـ تـعـالـیـ «یـحـسـبـوـنـ کـلـ صـيـحـةـ عـلـيـهـمـ » فـیـ تـصـوـیرـ ضـعـفـهـمـ وـخـوـرـهـمـ وـهـلـعـهـمـ وـجـبـنـهـمـ .

وقـوـلـهـ تـعـالـیـ : ( وـیـحـلـفـونـ بـالـلـهـ اـنـهـ لـنـکـمـ وـماـ هـمـ مـنـکـمـ وـلـکـنـهـمـ قـوـمـ یـفـرـقـوـنـ ) (٤٥) . وـقـوـلـهـ أـیـضاـ : ( لـوـ یـجـدـوـنـ مـلـجـاـ اوـ مـفـارـاتـ اوـ مـدـخـلاـ لـوـلـوـاـ الـیـهـ وـهـمـ یـجـمـحـوـنـ ) (٤٦) .

وقـوـلـهـ تـبـارـکـ وـتـعـالـیـ فـیـ وـصـفـ شـدـةـ جـبـنـهـمـ وـشـحـهـمـ عـلـیـ الـغـیرـ وـالـعـمـلـ الصـالـحـ : ( أـشـحـةـ عـلـیـکـمـ ، فـاـذـا جـاءـ الـغـوـفـ رـأـیـتـهـمـ يـنـظـرـوـنـ الـیـکـ ، تـدـوـرـ أـعـيـنـهـمـ کـاـلـذـيـ یـفـشـیـ عـلـیـهـ مـنـ الـمـوـتـ . فـاـذـا ذـهـبـ الـغـوـفـ سـلـقـوـکـمـ بـالـسـنـةـ حـدـادـ ، أـشـحـةـ عـلـیـ الـغـیرـ ، اوـلـئـکـ لـمـ یـؤـمـنـواـ فـأـحـبـطـ اـللـهـ اـعـمـالـهـمـ ، وـکـانـ ذـلـکـ عـلـیـ اـللـهـ یـسـیرـاـ ) (٤٧) . یـقـوـلـ قـاتـادـ رـحـمـهـ اللهـ تـعـالـیـ فـیـ وـصـفـ حـالـهـمـ : ( اـمـاـ عـنـدـ الـغـنـیـمـةـ فـأـشـحـ قـوـمـ وـأـسـوـأـهـ مـقـاـسـةـ : أـعـطـوـنـاـ أـعـطـوـنـاـ ، قـدـ شـهـدـنـاـ مـعـکـمـ . وـاـمـاـ عـنـدـ الـبـأـسـ فـأـجـبـنـ قـوـمـ وـأـخـذـلـهـ لـلـعـقـ ، وـهـمـ مـعـ ذـلـکـ أـشـحـةـ عـلـیـ الـغـیرـ ، اـیـ لـیـسـ فـیـهـمـ خـیـرـ . قـدـ جـمـعـوـنـ اـجـبـنـ وـالـکـذـبـ وـقـلـةـ الـغـیرـ . . . ) (٤٨) .

٤٣) التوبـةـ - الـآـیـاتـ ٤٤ـ ، ٤٥ـ .

٤٤) المـنـافـقـونـ - الـآـیـةـ ٤ـ .

٤٥) التوبـةـ - الـآـیـةـ ٥٦ـ .

٤٦) التوبـةـ - الـآـیـةـ ٥٧ـ .

٤٧) الـاحـزـابـ - الـآـیـةـ ١٩ـ .

٤٨) تـفـسـیدـ اـبـنـ کـثـیرـ جـ ٣ـ صـ ٤٧٤ـ .

ومما جاء في وصف خوفهم وكرههم للقتال ، وخشيتهم الناس اكثر من الله ، قوله عز وجل : ( ألم تر الى الذين قيل لهم : كفوا ايديكم واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية ، وقالوا : ربنا لم كتبت علينا القتال ، لولا اخرتنا الى اجل قريب ، قل متع الدنيا قليل والآخرة خير ملء اتقى ولا تظلمون فتيلا . اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ) (٤٩) ، فهذه الآيات نزلت في المنافقين تبين انهم أجبن الناس في ساعة الجد ، وان اكثروا من التبعج في أوقات الرخاء ، كما قال الله عنهم في سورة محمد : ( ويقول الذين آمنوا : لولا نزلت سورة ، فاذا أنزلت سورة مكملة ، وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت ) (٥٠) .

وكما قال عنهم في سورة براءة : ( واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا : ذرنا نكن مع القاعدين ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون ) (٥١) .

هذه بعض آيات الله التي تبين عراقة صفة الجبن والتخلف عن الجهاد في المنافقين ، ويوجد غيرها كثير ، واليكم فيما يلي بعض مواقف التخاذل التي وقفها المنافقون من المؤمنين عندما كانوا يدعون الى الجهاد :

أ – ففي غزوة أحد رجعوا من الطريق كما تقدم ذكره ، ولم يكن خروجهم الى القتال في بداية الامر الا لتنفيذ خطة ماكرة استهدفت تثبيط المسلمين وتمزيق صفتهم ، ولو لا ذلك ما خرجوا كعادتهم في معظم الفزوات .

ب – وفي غزوة الاحزاب ، يوم ابتلي المؤمنون وزئلوا زلزالا شديدا ، ظهر النفاق على أشدّه ، وانكشف حالهم ، بما فيه من الهلع

(٤٩) النساء – الآياتان ٧٧ ، ٧٨ .

(٥٠) محمد – الآية ٢٠ .

(٥١) التوبة – الآياتان ٨٦ ، ٨٧ .

والجزع ، وانعدام الرابطة بينهم وبين المسلمين : فمن أول الامر تخلفوا عن الحفري في الخندق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن حضر منهم تلهي في البداية بالضعف من العمل ، وانسل كثير منهم الى بيوتهم ، من غير أن يستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه صفة اخرى في المنافقين ، اذا اضطروا للعمل تمسكوا بالهين السهل منه ، وتركوا الصعب والمهم ، اذا وجدوا فرصة ، انسحبوا منه ، ولا يقيمون وزنا لاذن القائد المسلم وامرها ، لان الطاعة للقائد فرع الایمان ، وعبادة من العادات . والمنافقون اكثرا الناس كسلا في عبادة الله وطاعة امره .

وفي صنيع المنافقين في أول غزوة الاحزاب نزل قول الله عز وجل : ( انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، اذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه . ان الذين يستأذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، اذا استأذنوك لبعض شأنهم فاذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله ، ان الله غفور رحيم ، لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضا . قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ، فليعذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنه او يصيبهم عذاب أليم )<sup>(٥٢)</sup> ، وحتى الذين يستأذنون القائد من اهل النفاق فاما يختلقون أعدارا لا وجود لها في الواقع ، ليتهربوا من العمل والجهاد . وهكذا كان المنافقون في غزوة الاحزاب ومن اعتذر منهم ، فقد اعتذر بعضهم بان بيوتهم عورة ومكشوفة للعدو ، فكشف الله حقيقة هؤلاء المختلقين للاعذار وقال عز وجل : ( واذ قالت طائفة منهم : يا اهل يشرب لا مقام لكم فارجعوا ، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون : ان بيوتنا عورة ، وما هي بعورة ، ان يريدون الا فرارا )<sup>(٥٣)</sup> . فقد ورد في سبب نزول هذه الآية أنها نزلت في اوس بن قيظي من منافقي الاوس ، الذي قال : يا رسول الله ، ان بيوتنا عورة من العدو ، وليس دار من دور الانصار مثل دارنا ، وليس بيننا وبين غطفان أحد يردهم عنا ، فاذن لنا فلترجع الى

(٥٢) التور - الآياتان ٦٢ ، ٦٣ .

(٥٣) الاحزاب - ١٣ .

دورنا ؛ فنمنع ذرارينا ونساءنا ، فيبلغ ذلك سعد بن معاذ ، فقال : يا رسول الله لا تأذن لهم ، انه والله ما اصابنا واياهم شدة قط الا صنعوا ذلك <sup>(٥٤)</sup> .

فانظر الى قول سعد بن معاذ فيهم ، فان اخلاق الاعذار ، كان ديدنهم ، وليس امرا طارئا . وهذا هو الفرق بين المنافقين وغيرهم من المؤمنين ، فان المنافقين لا يكلفون بعمل الا اعتذروا عنه ، فالاعتذار عادة فيهم وخلق ، بينما قد يعتذر الصادقون في بعض الاحيان بأعذار حقيقة مقبولة ، ولكن لا يكون الاعتذار خلقا لهم وعادة فيهم <sup>(٥٥)</sup> .

وهكذا فقد كان المنافقون في غزوة الخندق ثلاث طوائف ، كل واحدة منها مثال للجبن والهلع والتخاذل : جماعة انسحبوا بغير اعتذار، وتسللوا تسللا من غير استئذان ، وآخرون اختلقو الاعذار الكاذبة ليفرروا من المعركة ، وآخرون كانوا أكثر وقاحة ، يدعون غيرهم الى الفرار من غير ان يتذروا ولو بأعذار كاذبة ، ومن الآيات التي نقلت صورتهم للمؤمنين ، وما فيها من الغور والضعف ، قوله عز وجل : ( يحسبون الاحزاب لم يذهبوا ، وان يأت الاحزاب يودوا لـو انهم يادون في الاعراب ، يسألون عن انبائكم ، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا ) <sup>(٥٦)</sup> ، فهم من شدة خوفهم كانوا يظنون ان الاحزاب لم ينهزوا ، وقد انهزوا ، وهم يودون اذا جاءت الاحزاب انهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة ، بل في البداية يسألون عن اخباركم مع عدوكم ولو كانوا بين اظهركم لما قاتلوا معكم الا قليلا ، لکثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم <sup>(٥٧)</sup> .

ج - وفي عمرة العديبية ، حيث خرج الرسول ، عليه الصلاة والسلام وصحابته زائرين للبيت ومعظمين له ، لا يريدون قتالا ، استنفر العرب

(٥٤) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٥ ، تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٣ .

(٥٥) واذا اردت - أيها الاخ القارئ - ان تعرف ان كان اعتذارك عن العمل صادرا عن تفاق ، او كان له مبرر حقيقي ، ولا دخل للتفاق فيه ، فانظر الى نفسك فان كنت لو خلوت بنفسك وحاسبيها مقتضاها بما اعتذرته به ، فلا يأس عليك ، والا فيجب عليك ان تعالج قلبك قبل ان يستقر فيه التفاق ، وينمو بتزين الشيطان وتسويله .

(٥٦) الاحزاب - الآية ٢٠ .

(٥٧) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٤٧٤ .

ومن حول المدينة من الاعراب ، من اسلم منهم ، كفار ومزينة وجهينة واسلم <sup>(٥٨)</sup> ، خشية ان تحراره قريش ، وتصده عن البيت الحرام . فتباقل المنافقون من هذه القبائل ، وقالوا أذهب الى قوم قد غزوهم في عقر داره بالمدينة ، فنقاتلهم ، وظنوا انه لن تقوم له قائمة بعد هذه المرة ، فاعتذروا بالانشغال بأهليهم وأموالهم ، وانه ليس لهم من يقوم بذلك عنهم ، ولكن الله سبحانه وتعالى فضحهم وفضح نواياهم ، وبين ما يعتدي في نفوسهم من ضعف الایمان ، وقلة اليقين وسوء الظن بالله تعالى <sup>(٥٩)</sup> . فقال عز وجل : ( سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا اموالنا وأهلوна ، فاستغفر لنا ، يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ، قل فمن يملك لكم من الله شيئاً ان أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً ، بل كان الله بما تعملون خيراً . بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبداً ، وزين ذلك في قلوبكم ، وظننتم ظن السوء وكتتم قوماً بوراً ) <sup>(٦٠)</sup> .

ويذكر في هذا المقام انه خرج مع الرسول صلى الله عليه وسلم في عمرة العدبية أحد المنافقين يقال له الجد بن قيس . فلما دعى المؤمنون الى مبايعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، تحت الشجرة ، بايعوه جميعاً الا هذا المنافق ، فحرمه الله من نعم هذه البيعة جراء نفاقه الذي كان في قلبه ، هذه النعم التي يمثلها قول الله تعالى : ( لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة ، فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريباً ) <sup>(٦١)</sup> . وقول رسوله صلى الله عليه وسلم لمن بايعه تحت الشجرة : ( أنتم خير أهل الارض ) <sup>(٦٢)</sup> ، وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الامام احمد : ( لا يدخل النار احد من بايع تحت الشجرة ) <sup>(٦٣)</sup> . وفي تخلف هذا المنافق عن البيعة ورد من حديث جابر

(٥٨) احكام القرآن لابن العربي ج ٤ ص ١٦٩٣ .

(٥٩) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٨٩ .

(٦٠) الفتح - الآياتان ١١ ، ١٢ .

(٦١) الفتح - الآية ١٨ .

(٦٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٨٨ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٧٠٢ .

(٦٣) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٨٨ .

رضي الله عنه قال : ( لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى البيعة وجدنا رجلاً منا يقال له الجد بن قيس مختبئاً تحت أبوطه بغيره ) <sup>(٦٤)</sup> .

د - وفي غزوة تبوك ، حيث استنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع المؤمنين لقتال أهل الكتاب ، فتختلف عنه عليه الصلاة والسلام معظم أهل النفاق بزعامة عبد الله بن أبي بن سلول ، واعتذروا بجهد الحال ، والغر الشديد . وبعد الهدف ، وقوة العدو . ومن غريب أعتذارهم ما اعتذر به المنافق الذي رفض مبايعة الرسول عليه الصلاة والسلام تحت الشجرة وهو الجد بن قيس ، الذي قال له الرسول عليه الصلاة والسلام : يا جد هل لك في جلاد بنى الأصفر ؟ فقال : يا رسول الله ، او تاذن لي ( اي في التخلف والقعود ) ، ولا تفتني ، فوالله لقد عرف قومي انه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني ، واني أخشى ان رأيت نساء بنى الأصفر ان لا أصبر . فأعرض عنهم رسول الله ، وقال له : قد أذنت لك <sup>(٦٥)</sup> ، فأنزل الله تعالى فيه : ( ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني ، الا في الفتنة سقطوا ، وان جهنم لحيطة بالكافرين ) <sup>(٦٦)</sup> .

وفي سورة التوبه بيان مستفيض لموافق المنافقين من الجهاد في غزوة تبوك ، وتجليه لنوازعهم ونفسياتهم ، التي تكمن وراء هذه المواقف ، ومن آياتها فيهم :

قوله عز.وجل : ( لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لا تبعوك ، ولكن بعدت عليهم الشقة . وسيحلفون بالله لو استطعنا لغرضنا معكم ، يهلكون انفسهم ، والله يعلم انهم لكاذبون . عفا الله عنك لم أذنت لهم ، حتى يتبيّن لك الدين صدقوا وتعلّم الكاذبين ) <sup>(٦٧)</sup> .

(٦٤) المرجع السابق .

(٦٥) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٢ ، ١٠٣ ، تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٥٨ .

(٦٦) التوبه - الآية ٤٩ .

(٦٧) التوبه - الآيات ٤٢ ، ٤٣ .

وقوله تعالى : ( ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ، ولكن كره الله  
انبعاثهم فثبطهم وقيل : اقعدوا مع القاعددين ) (٦٨) .

وقوله سبحانه في بخلهم وشحهم وتخلفهم عن الجهاد بمال فضلا عن  
قعودهم في القتال : ( ومنهم من عاهد الله : لئن آتانا من فضله ، لنصدقن  
ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به ، وتولوا وهم  
معرضون . فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما  
وعدوه ، وبما كانوا يكذبون ) (٦٩) .

وقوله تعالى : ( فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله ، وكرهوا  
ان يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، وقالوا : لا تنفروا في العر  
قل : نار جهنم اشد حرها لو كانوا يفهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا  
كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون ) (٧٠) .

وقوله تعالى : ( وجاء المعدرون من الاعراب ليؤذن لهم ، وقعد الذين  
كذبوا الله ورسوله ، سيسbib الذين كفروا منهم عذاب اليم ) (٧١) .

وقوله تعالى : ( انما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ،  
رضوا بان يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا  
يعلمون ) (٧٢) .

## ٧ – التغذيل والتشبيط والارجاف :

وهذه خصيصة أخرى من خصائص أهل النفاق ، فانهم لا يكتفون  
بالقعود والتخلف عن العمل والجهاد ، ولكنهم يبذلون قصارى جهدهم  
لتشبيط غيرهم من المؤمنين ، والحاقدتهم بفتتهم . وللمنافقين في هذا الصنيع  
جملة أهداف أهمها أنهم أقرب للكافر منهم الى المؤمنين ، كما تقدم ، فهم

(٦٨) التوبة – الآية ٤٦ .

(٦٩) التوبة – الآيات ٧٥ – ٧٧ .

(٧٠) التوبة – الآيات ٨١ ، ٨٢ .

(٧١) التوبة – الآية ٩٠ .

(٧٢) التوبة – الآية ٩٣ .

بتثبيط المؤمنين عن القتال يخذلون عن اوليائهم ، واهل مودتهم ، وكذلك يريدون تكثير حزبهم ، واظهار أحقيتهم بتبخلفهم ، لأنهم لا ينظرون الى حقيقة الامور ، وانما ينظرون الى الكثرة والقلة والمظاهر والشكليات ، فكلما كثر حزبهم ازدادوا كبرا وعنادا وتمسكا بالباطل ، وظنوا انهم هم الغالبون ، ولا يدركون أن حزب الشيطان هو الخاسر ، مهما كثروا وتضخم وانتفخوا كما قال الله عز وجل : ( الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ) <sup>(٢٢)</sup> .

ولقد أكدت الآيات الكريمة هذه الصفة في المنافقين ، كما أكدتها واقعهم وسيرتهم مع المسلمين :

فمما نزل في بيان هذه الصفة فيهم قوله عز وجل : ( لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبلا ، ولا وضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة ، وفيكم سماعون لهم ، والله علیم بالظالمين ) <sup>(٢٤)</sup> . وقوله تعالى : ( وان منكم من ليبطئن ، فان أصابكم مصيبة قال : قد أنعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا . ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن ، كان لم تكن بينكم وبينه مودة : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما ) <sup>(٢٥)</sup> .

هذا وقد كان للمنافقين في سيرتهم مع الدعوة الاسلامية مواقف تخديلية كثيرة سجلها الله عليهم في كثير من الآيات الكريمة . ومن هذه المواقف :

أ - ففي غزوة بدر ، وعندما خرج الصحابة بقيادة الرسول عليه الصلاة والسلام للاقاء كفار قريش ، أخذ المنافقون يشككون في قدرة المسلمين على الوقوف امام عدوهم ، وصاروا يلقون العبارات المثبطة للعزائم ، والمزعزعة للنفوس ، ومن هذه العبارات ما سجله القرآن الكريم من قولهم « غر هؤلاء دينهم » ، فقال سبحانه وتعالى في سورة

(٢٣) المجادلة - الآية ١٩ .

(٢٤) التوبه - الآية ٤٧ ، والخيال هو الفساد والنبيلة وايقاع الاختلاف والاراجيف - انظر تفسير القرطبي

ج ٨ ص ١٥٦ .

(٢٥) النساء - الآياتان ٧٢ ، ٧٣ .

الانفال : ( اذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : غر هؤلاء دينهم ، ومن يتوكّل على الله فان الله عزيز حكيم ) (٢٦) .

ولم يكتف المنافقون بما كانوا يقولونه قبل المعركة ، وانما اخذوا يرجفون في المدينة قبل رجوع الركب المؤمن المنتصر ، ويشيعون هزيمة المسلمين وتفرّقهم . فقد روت كتب السير والمغازي ان رسول الله صلی الله عليه وسلم ارسل عبد الله بن رواحة بشيرا لاهل العالية ، وزيد بن حارثة بشيرا لاهل السافلة ، وأركب زيد بن حارثة ناقته القصواء . فلما وصلا المدينة ، وأخذوا يبشران الناس بما فتح الله على المسلمين ، كذبّهما زعماء المنافقين واليهود . واحتصر بعضهم روايات ملقة حول هزيمة المسلمين ، فلقي احدهم ابا لبابة رضي الله عنه وقال له : لقد تفرق اصحابكم تفرقا لا يجتمعون معه ابدا ، فقد قتل محمد واصحابه ، وهذه ناقته عليها زيد ابن حارثة لا يدرى ما يقول من الرعب ، قال اسامة بن زيد رضي الله عنهما : فبلغني ذلك فجئت ابي حتى خلوت وسألته عما يقول الرجل وقلت : احق ما تقول ؟ قال : اي والله وانه لحق ما اقول يابني ، فقويت نفسي ورجعت الى ذلك المنافق ، فقلت : انت المرجف برسول الله ، لنقدمتك الى رسول الله اذا قدم ، فليضرر بن عننك ، فقال : انما هو شيء سمعته من الناس يقولونه (٢٧) .

ب - وفي غزوة احد وجد المنافقون اكثرا من فرصة لممارسة اسلوبهم في التشبيط والارجاف والإشاعات الكاذبة :

— فقد عرفت ما كان من زعيمهم عبد الله بن ابي بن سلول عندما انحدل بثلث الجيش وهو يقول : لو نعلم انكم تقاتلون لما اسلمناكم ، وما كان لهذا الصنيع الخبيث من اثر في نفوس المؤمنين .

— ومن امثلة محاولاتهم في تعطيل المؤمنين وعرقلتهم ما روي ان رسول الله صلی الله عليه وسلم ، عندما كان في طريقه الى أحد ، للقاء

(٢٦) الانفال - الآية ٤٩ .

(٢٧) آيات الجهاد ص ٣٢٦ نقل عن كتاب « النفاق والمنافقون » .

الكفار ، سلك في حائط ( اي بستان ) لبعض المنافقين ، وكان أعمى ، فقام يحشو التراب في وجوه المسلمين ويقول : لا أحل لك أن تدخل حائطي ان كنت رسول الله ، فابتدره القوم ليقتلوه فقال : لا تقتلوه ، فهذا اعمى القلب اعمى البصر ( ٢٨ ) .

— وعندما دارت الدائرة على المسلمين في الجولة الثانية من معركة أحد ، بسبب ما كان من مخالفة الرماة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعندما قام خالد بن الوليد ونفر من المشركين بحركة التفاف على المسلمين ، وقتلوا منهم كثيرا ، واضطرب المسلمين اضطراها شديدا ، وصرخ أحد الكفار بأنه قد قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انتهز المنافقون هذه الفرصة ، وصاروا يرجفون بين المسلمين ، ويرمون بالكلمات المثبطة للعزائم والمزعزعة للقلوب . من ذلك أن أحد هم لما سمع باشاعة قتل الرسول عليه الصلاة والسلام قال : لو كان نبيا ما قتل ، فارجعوا الى دينكم الاول ( ٢٩ ) .

وقال رجال آخرون من المنافقين : لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا ، وقد كان قائل هذا المنافق معتب بن قشير ، فقد روي عن الزبير ابن العوام رضي الله عنه انه قال : لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وارسل علينا النوم ، فما منا من أحد الا وذقنه في صدره ، فوالله اني لاسمع كالعلم قول معتب بن قشير ، وكان ممن شهد العقبة : لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا ، فحفظتها ( ٣٠ ) .

( ٧٨ ) زاد المداد ج ٢ ص ٩٢ .

( ٧٩ ) انظر تفسير الطبرى ج ٧ ص ٢٥٨ ، ٢٥٧ . وقارن مقالة هذا المنافق الخبيثة بقوله ثابت بن الدجىنا لما بلغته الاشاعة : يا معشر الانصار ان كان محمد قد قتل فلان الله حي لا يموت ، فاتلوا على دينكم فلان الله مظفركم وناصركم ، وقارنها بصيغة أنس بن النضر رضي الله عنه عنه عندما مر بقوم من المسلمين قد القوا بآيديهم ، فسألهم : ما تنتظرون ؟ فقالوا : قتل رسول الله ، فقال : ما تصنعون بالحياة من بعده قوموا فموتو على ما مات عليه ، ثم قاتل حتى قتل وووجه به سبعون ضربة . قارن بين هذين الموقفين لترى الفرق بين التفاق والاختلاف ، وبين الشك واليقين ، فان الواقع هي التي تكشف عن هذه الامور . انظر : زاد المداد ج ٢ ص ٩٣ ، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٠٤ .

( ٨٠ ) تفسير الطبرى ج ٧ ص ٣٢٣ ، السيرة الحلبية ج ٢ ص ٥٠٥ .

وروى ابن جرير بسنده عن ابن جريج قال : قيل لعبد الله بن أبي :  
قتل بنو الغزرجاليوم . قال : وهل لنا من الامر شيء (٨١) .

وقد انزل الله تبارك وتعالى فيما تقدم من أقوال المنافقين قوله سبحانه : ( وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه ، فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزي الله الشاكرين ) (٨٢) ، ونزل ، ايضاً ، في قول ابن أبي ومعتب ابن قشير ، قوله تعالى : ( وطائفة قد اهتمهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجahلية ، يقولون : هل لنا من الامر شيء ، قل : ان الامر كله الله يخون في انفسهم مالا يبدون لك ) (٨٣) .

ج - وفي غزوة الاحزاب كان من المنافقين مثل ما كان منهم يوم أحد ، بل أكثر مما كان هناك ، لأنهم ظنوا ان النصر سيكون للكفار ، وانها ستكون القاضية بالنسبة للمسلمين ، اذ رأوا تجمع الكفار واتفاقهم على استئصال المسلمين . فكثر المنافقون عن انيابهم واظهروا من حقدهم اكثر مما كانوا يفعلون . ومن أمثلة ما وقع منهم من الارجاف والتخذيل في هذه الغزوة :

- ما ورد في كتب السيرة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان أثناء حفر الخندق يشجع المسلمين ، ويبشرهم بالنصر المبين ، وبما يفتح الله عليهم من بلاد الروم والفرس واليمن . وفي الوقت الذي استبشر فيه المسلمون أخذ المنافقون يرجفون ويقولون : الا تعجبون من محمد ، يمنيكم ويعذكم الباطل ، ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور العيرة ومدائن كسرى ، وانها تفتح لكم ، وانتم انما تعرفون الخندق من الفرق ، لا تستطرون ان تبرزوا (٨٤) .

(٨١) انظر : تفسير الطبرى ج ٧ من ٣٢٢ .

(٨٢) آل عمران - الآية ١٤٤ .

(٨٣) آل عمران - الآية ١٥٤ .

(٨٤) السيدة الحلبية ج ٢ من ٦٣٥ ، السيدة النبوية لابن كثير ج ٣ من ١٩٢ .

— وعندما نقض بنو قريطة العهد ، وعظم عند ذلك البلاء على المسلمين لما وصلهم خبر هذا النقض ، واشتد عليهم الحال الذي يصوره قول الله تعالى : ( اذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واد زاغت الا بصار ، وبلغت القلوب الحناجر ، وظنون بالله الطنونا ، هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزا شديدا )<sup>(٨٥)</sup> ، عند ذلك ظهر النفاق من المنافقين ، واشتد ارجافهم وتشييظهم حتى قال بعضهم : كان محمد يعدها ان نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه ان يذهب الى الغائط ، ما وعدهنا الله ورسوله الا غرورا<sup>(٨٦)</sup> .

فأنزل الله عز وجل : ( واد يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض : ما وعدهنا الله ورسوله الا غرورا ، واد قالت طائفة منهم : يا أهل يشرب لا مقام لكم فارجعوا )<sup>(٨٧)</sup> .

د — وفي غزوة تبوك لم يكتف المنافقون بتخلفهم عن القتال ، وانما عمدوا الى تحریض المؤمنين على القعود ، وتخويفهم من أعدائهم ، وتهویل المشاق والمصاعب التي ستلاقیهم وهم في طريقهم الى العدو .

فقد تخلف عن هذه الغزوة رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وجماعته وكان مما قاله عند تخلفه : يغزو محمد بنی الاصفر مع جهد الحال والعر والبلد البعید ، يحسب محمد ان قتال بنی الاصفر معه اللعب ، والله لکانی انظر الى اصحابه مقرنین في العبال<sup>(٨٨)</sup> .

وقال بعض المنافقين عند التجهز للخروج الى تبوك : لا تنفروا في العر ، ونزل في قولهم هذا قرآن ، هو قوله تعالى : ( فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله ، وقالوا : لا تنفروا في العر قل : نار جهنم أشد حرالو كانوا يفقهون )<sup>(٨٩)</sup> .

(٨٥) الاحزاب – الآياتان ١١ ، ١٠ .

(٨٦) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٦٤٠ ، سيدة ابن مثام ج ٢ ص ٩٦ ، مطبوع على حاشية زاد العاد ( المطبعة اليمينية ) .

(٨٧) الاحزاب – الآياتان ١٢ ، ١٣ .

(٨٨) السيرة الحلبية ج ٣ ص ١٠٢ .

(٨٩) التوبه – اولية ٨١ .

## ٨ - الصد عن سبيل الله ، وتضليل العباد والامر بالمنكر والنهي عن المعرفة :

فقد أخبر الله عنهم انهم كذلك ، قال عز وجل : ( المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرن بالمنكر وينهون عن المعرفة ويقبحون ايديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون ) <sup>(٩٠)</sup> ، فأخبر الله سبحانه وتعالى ان المنافقين من طينة واحدة يجمعهم النفاق ، رسالتهم في العيادة الصد عن سبيل الله عز وجل ، والامر بالمنكر والانفاق على الشر ، والنهي عن المعرفة والبخل على كل خير <sup>(٩١)</sup> .

## ٩ - يحبون ويحاولون ان تشيع الفاحشة في المؤمنين :

فان الذين جاءوا بالافاك ، ورمي السيدة الطاهرة ام المؤمنين عائشة بنت الصديق ، بالفاحشة ، انما كانوا من المنافقين ، وكان قائدتهم في هذه المكيدة عبد الله بن ابي بن سلول <sup>(٩٢)</sup> . وقد نزل في هذه العادلة وصنع المنافقين وتبئنة السيدة عائشة رضي الله عنها آيات كريمات في سورة النور ، منها قوله تعالى : ( ان الذين جاءوا بالافاك عصبة منكم لا تحسبوه شرالكم ، بل هو خير لكم ، لكل امريء منهم ما اكتسب من الاثم ، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ) <sup>(٩٣)</sup> . ومنها قوله تعالى : ( ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الدين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ) <sup>(٩٤)</sup> .

ويستهدف المنافقون من وراء هذا الاسلوب تلطيخ الصورة النظيفة الطاهرة لمجتمع الایمان ، ليصدوا الناس عنها وليسروا على فواحشهم ودنسمهم ، واختلاقا ، لبوا عاث الفتنة بين المؤمنين ، وبذر بذور الشك في نفوسهم ، واضعاف رابطة الاخوة بينهم ، وقد عرفت فيما تقدم ان الفساد بين الناس هو من خصائصهم اللاصقة بهم .

(٩٠) التوبه - الآية ٦٧ .

(٩١) انظر : تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٦٨ ، وفي ظلال القرآن ج ٤ ص ٢٤٩ . والحضارة الاسلامية ص ٢٩٦ .

(٩٢) انظر : صحيح الترمذى بشرح ابن العربي ج ١٢ ص ٥٥ .

(٩٣) النور - الآية ١١ .

(٩٤) النور - الآية ١٩ .

## ١٠ - انتقاد المؤمنين ، والتهوين من شأنهم ، ومن أعمالهم ، والاستهزاء بهم :

فهم الذين قال الله عنهم : ( و اذا خلوا الى شياطينهم قالوا : انا معكم ائما نحن مستهزئون ٠ الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ) <sup>(٩٥)</sup> ٠

وهم الذين قال فيهم ايضا : ( ومنهم من يلمزك في الصدقات ، فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ) <sup>(٩٦)</sup> ٠

وهم الذين نزل فيهم قوله تبارك وتعالى : ( الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لا يجدون الا جهدهم ، فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ، ولهم عذاب أليم ) <sup>(٩٧)</sup> ٠ وسبب نزول هذه الآية ما أخرجه ابن جرير عن عكرمة بالفاظ مختلفة قال : حد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة في غزوة تبوك فجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقال : يا رسول الله ، مالي ثمانية آلاف ، جئتك بمنصها وامسكت نصفها ، فقال صلى الله عليه وسلم : ( بارك الله لك فيما امسكت وفيما اعطيت ) وجاء ابو عقيل بصاع من تمر ، فقال : يا رسول الله ، أصبت صاعين من تمر ، صاع اقرضته الله وصاع لعيالي ، قال : فلمزوه وقالوا : ما الذي أعطى ابن عوف الا رباء ، وقالوا : ألم يكن الله ورسوله غنيين عن صاع هذا ) <sup>(٩٨)</sup> ٠

وقد جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت آية الصدقة كنا نعامل على ظهورنا <sup>(٩٩)</sup> ، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير ، فقالوا : أمرائي ؟ وجاء رجل فتصدق بصاع ، فقالوا : ان الله لغبني عن صدقة هذا <sup>(١٠٠)</sup> ٠

(٩٥) البقرة - الآية ١٤ ٠

(٩٦) التوبه - الآية ٥٨ ٠

(٩٧) التوبه - الآية ٧٩ ٠

(٩٨) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٥ ، في طلال القرآن المجلد ٤ ، ص ٢٦٢ ٠

(٩٩) اي تواجر انفسنا في العمل ٠

(١٠٠) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧٥ ٠

ويقول ابن كثير عند تفسير الآية السابقة : ( وهذا ايضا من صفات المنافقين ، لا يسلم أحد من لزهم وعيتهم في جميع الاحوال ، حتى ولا المتصدقون يسلمون منهم ، ان جاء أحد منهم بما لجزيل قالوا : هذا مراء ، وان جاء بشيء يسير قالوا : ان الله لغنى عن صدقة هذا ) (١٠١) .

ويقول سيد قطب رحمة الله تعالى في تفسيرها : ( وهكذا تقولوا على المؤمنين الذين انبعثوا الى الصدقة عن طواعية نفس ورضا قلب واطمئنان ضمير ، ورغبة في المساهمة في الجهاد ، كل على قدر طاقته ، وكل على غاية جهده ، ذلك انهم لا يدركون بواعث هذا التطوع في النفوس المؤمنة ، ولا يدركون حساسية الضمير التي لا تهدأ الا بالبذل عن طيب خاطر ، ولا يدركون المشاعر الرفراقة التي تنبع اثنا عشر ذاتيا لتلبى دواعي الایمان والتضحية والمشاركة . من اجل هذا يقولون عن المكث : انه يبذل رباء ، وعن المقل : انه يذكر بنفسه ، يجرحون صاحب الكثير لانه يبذل كثيرا ، ويحتقرن صاحب القليل لانه يبذل القليل ، فلا يسلم من تجريحهم وعيتهم احد من الخيرين . ذلك وهم قادعون متخلقون ، منق卜ضو الايدي ، شحيعوا الانفس ، لا ينفقون الرياء ، ولا يدركون من بواعث النفوس الا مثل هذا الباعث الصغير الحقير ) (١٠٢) .

## ١١ - الكذب وخيانة العهد والامانة :

فقد ورد في الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( آية المنافق ثلاثة : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا اؤتمن خان ) (١٠٣) ، وهم الذين قال فيهم الله عز وجل : ( ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من

(١٠١) المرجع السابق .

(١٠٢) في ظلال القرآن - المجلد الرابع من ٢٦٢ ، ٢٦٣ .

(١٠٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٤٦ . وسنن النسائي ج ٨ ص ١١٧ .

فضله بخلوا به ، وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون (١٠٤) .

## ١٢ - الكسل في عبادة الله عز وجل (١٠٥) :

فقد قال الله عنهم في سورة النساء : ( ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم و اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى ، يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا ) . مذبذب بين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا (١٠٦) . وقال فيهم في سورة براءة : ( ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون ) (١٠٧) ، فهم لا يقومون الى الصلاة بحرارة الشوق الى الله عز وجل ، والوقف بين يديه ، انما يدفعهم الى ذلك الرياء ، ومن ثم يقومون كسالى ، كالذى يؤدى عملا ثقيلا ، وكذلك لا ينفقون الا كارهين مكرهين ، لأنهم يعتبرون النفق مغرما ، والخلاص منها مفنتا . يقول ابن عباس عن المنافق : ( ان كان في جماعة صلى وان انفرد لم يصل ، وهو الذي لا يرجو على الصلاة ثوابا ، ولا يخشى في تركها عقابا ) (١٠٨) .

## ١٣ - الذبذبة وعدم الاستقرار والثبات في احد الصفين : الصف المؤمن ، او الصف الكافر (١٠٩) :

وذلك لأنهم ضعفاء في ذواتهم . وهذا الضعف يجعلهم غير قادرين على اتخاذ موقف حاسم هنا او هناك ، ولا على المصارحة برأي وعقيدة و موقف مع هؤلاء او هؤلاء . وفي تقرير هذه الصفة للمنافقين يقول الله عز وجل : ( الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا : ألم نكن معكم ، وان كان للكافرين نصيب قالوا : ألم نستحوذ عليكم وننفعكم من المؤمنين ، فالله يحكم بينكم يوم القيمة ، ولن يجعل الله

(١٠٤) التوبه - الآيات ٧٥ - ٧٧ .

(١٠٥) انظر : تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٦٣ ، والحضارة الاسلامية ص ٢٩٥ .

(١٠٦) النساء س الآيات ١٤٢ ، ١٤٣ ،

(١٠٧) التوبه - الآية ٥٤ .

(١٠٨) تفسير القرطبي ج ٨ ص ١٦٣ .

(١٠٩) انظر : سيرة الرسول - محمد عزة دروزه ص ١٨٨ .

للكافرين على المؤمنين سبيلا . ان المنافقين يغادعون الله وهو خادعهم ،  
و اذا قاموا الى الصلاة قاموا كسلال يراءون الناس ولا يذكرون الله الا  
قليلا . مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، ومن يضل الله  
فلن تجد له سبيلا (١١٠) .

١٤ - الفرح بما يصيب المسلمين من الضراء ، والاستياء بما يجعل الله  
لهم من النصر والتمكين :

فقد أخبر الله تعالى ذلك عنهم بقوله عز وجل : ( ان تصبك حسنة  
تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا : قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا  
هم فرحون ) (١١١) .

١٥ - العناد والاستكبار وعدم الاقتناع مع وضوح العجة ونصاعة  
البراهين التي يواجهون بها :

فقد عاصر الفريق الاول من المنافقين عهد التنزيل ، وكانوا يرون  
كثيرا من معجزات الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان يغبرهم بما  
يقولون ويكتيدون ، وما يدور في أنفسهم وما يكتمون عليه ، ويظهر  
لهم من أحواله عليه الصلاة والسلام ما يدل على نبوته وصدقه ، ولكن  
معظمهم استمر على نفاقه ، ولم تؤثر فيهم الحجج الواضحة .

وهذه هي صفتهم في كل زمان ، تراهم يعيشون بين المؤمنين الصادقين  
ويرون صدقهم واحلاظهم ، واحلاظهم الربانية ، ولا يؤثر ذلك فيهم .

١٦ - شراستهم على المسلمين في الازمات :

فقد رأيت كيف كان موقفهم من المسلمين في غزوة أحد ، وخاصة  
بعدما دارت الدائرة عليهم . وفي غزوة الخندق عندما رأوا الاحزاب  
محدقين بهم . وهكذا هم في كل وقت يجاملون في أوقات الرخاء والسراء

(١١٠) النساء - الآيات ١٤١ - ١٤٣ .  
(١١١) التوبه - الآية ٥٠ .

التي ينعم الله بها على المسلمين ، ويستدون عليهم . ويكتشرون عن ازيائهم  
اذا اصاب المسلمين ضراء (١١٢) .

## ثانياً : أساليب جهاد المنافقين :

مما تقدم يظهر لك ان المنافقين من اخطر اعداء الدعوة الاسلامية ،  
وأكثر المعقدين لرकب المؤمنين عن تحقيق أهدافها . بل ذهب العلماء الى  
ان المنافقين الذين يبطنون الكفر ويظهرون الاسلام أشد خطاً من  
الكافر المجاهرين بکفرهم وعداوتهم ، وانهم أخبث الكفرة وابغضهم  
الى الله تعالى (١١٣) . لذلك جعل الله سبحانه عذابهم أشد العذاب في  
الآخرة ، فقال عز وجل : ( ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ولن  
تجد لهم نصيرا ) (١١٤) .

وفي الحياة الدنيا أمر الله تعالى نبيه والمؤمنين بجهادهم والعذر منهم ،  
فقال تبارك وتعالى : ( هم العدو فاحذرهم ) (١١٥) ، وقال أيضاً : ( يا  
ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم واماواهم جهنم وبئس  
المصير ) (١١٦) .

فجاهدهم الرسول عليه الصلاة والسلام ، كما امره ربه ، وكان له  
خط ربانی سار عليه في جهادهم ، مجمله الصبر عليهم مع العذر منهم ،  
وبيان احوالهم للمؤمنين في مبدأ قيام دولة الاسلام ، حيث كان المسلمون  
في حال ضعف ، ثم الغلظة عليهم وجهادهم وتهديدهم ومعاقبتهم مادياً  
ومعنوياً ، بعد التمكين في الارض وقوة المسلمين .

هذا وقد لخص ابن تيمية كيفية معاملة الرسول صلى الله عليه وسلم  
للمنافقين بقوله : ( كان الرسول صلى الله عليه وسلم يسمع من الكفار  
والمنافقين في أول الاسلام أذى كثيراً ، وكان يصبر عليه امثلاً لقوله

(١١٢) انظر : الصارم المسلوم ص ٢٢٣ ٢٢٤ .

(١١٣) آيات الجهاد ص ٣١٩ .

(١١٤) النساء - الآية ١٤٥ .

(١١٥) المنافقون - الآية ٤ .

(١١٦) التوبة - الآية ٧٣ .

تعالى : « ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم »<sup>(١١٧)</sup> ، لأن اقامة العدود عليهم كان يفضي الى فتنة عظيمة وفسدة اعظم من فسدة الصبر على كلماتهم . فلما فتح الله مكة ، ودخل الناس في دين الله افواجا وانزل الله براءة قال فيها : « جاحد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم »<sup>(١١٨)</sup> . وقال تعالى : « لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنفرينك بهم ، ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ، ملعونين اينما ثقروا أخذوا وقتلوا تقتيلا »<sup>(١١٩)</sup> ، فلما رأى من بقي من المنافقين ما صار الامر اليه من عز الاسلام ، وقيام الرسول صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار والمنافقين أضمرروا النفاق ، فلم يكن يسمع من أحد من المنافقين بعد غزوة تبوك كلمة سوء ، وما توا بغيظهم ، حتى بقي منهم اناس بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، يعرفهم صاحب السر حذيفة ، فلم يكن يصلى عليهم هو ، ولا يصلى عليهم من عرفهم بسبب آخر مثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه . فهذا يفيد ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحمل من الكفار والمنافقين قبل براءة مالم يكن يتحمل منهم بعد ذلك ، كما كان يتحمل من أذى الكفار وهو بمكة مالم يكن يتحمل بدار الهجرة والنصرة )<sup>(١٢٠)</sup> .

وهكذا فان الميزان في معاملة المنافقين ان ينظر (١٢١) الى حال المسلمين من الضعف او القوة ، والى حال المنافقين وروابطهم وعلاقتهم : فان كان المسلمين في ضعف ، واهل النفاق في مركز قوي بمالهم من الصلات والدعم من اولائهم والروابط مع بعض المؤمنين ، او كان بين الفتنة المؤمنة افراد لم تكتمل تربيتهم ولم تتضح رؤيتهم بالرغم من حسن نواياهم وصدقهم ، فينبغي في هذه الحالة ان تجتنب المعارك مع اهل النفاق بقدر الامكان ، وان يصبر عليهم ويعرض عنهم وان يعادلوا

• (١١٧) الاحزاب - الآية ٤٨

• (١١٨) التوبة - الآية ٧٣

• (١١٩) الاحزاب - الآيات ٦٠ ، ٦١

• (١٢٠) الصارم المسلول ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

• (١٢١) الذي يقوم بتقدير هذه الامور هو القائد المسلم وأهل الحل والعقد في الجماعة الاسلامية .

بالحسنى ، مع العذر الشديد منهم ، والاحتياط لأساليبهم . وان كان الامر على عكس ما تقدم ، ولم يكن التشديد يجر على المسلمين فتنه عظيمة ، وجب جهادهم بأساليب الشدة والغلظة .

هذا وقبل ان نذكر للأخ القارئ طائفة من وسائل جهاد المنافقين نذكره بأن القرآن الكريم ، وسيرة الرسول عليه أفضل الصلاة واتم التسليم ، فيما بيان واف لهذه الوسائل : فكما اطال الله عز وجل في بيان صفاتهم واحوالهم واساليب كيدهم بعياده المؤمنين ، فقد بين ما ينبغي للفئة المؤمنة ان تواجههم به ، وعرفهم بالوسائل المجدية في ابطال كيدهم ومكرهم ، وانك لتكاد تجد هذا بعد كل آية او مجموعة من الآيات التي تحدثت عن مواقف المنافقين من المؤمنين واساليبهم معهم . كذلك فانك تجد التطبيق لما أمر به القرآن من تلك الوسائل ، في مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم من اهل النفاق طوال فترة البناء التي قضاها بعد هجرته الى المدينة المنورة .

وفيما يلي نذكر طائفة من الاساليب والوسائل النافعة — باذن الله تعالى — في مواجهة كيد المنافقين ، وابطال فاعليتهم واثرهم في المجتمع المسلم ، ونصنفها الى طائفتين :

الاولى : طائفة الاساليب الوقائية ، والثانية : طائفة الاساليب العلاجية (١٢٢) .

### الاساليب الوقائية :

١ — معرفتهم ودراسة صفاتهم من كتاب الله عز وجل وتبينها من واقع مواقفهم مع المسلمين :

ذلك أن أمضى سلاح يعتمدون عليه في مواجهة المسلمين ، هو استثارهم وخفاء سموهم ، وتدليسهم ، وخبث أساليبهم .

(١٢٢) الملاحظ لن يتذمّر الآيات التي نزلت في أهل النفاق وجهادهم ان احسن ما يجدي في مواجهتهم وجهادهم هو الوقاية منهم ، والاحتياط لهم ، من غير أن يقطع الامل في اصلاحهم او اصلاح بعضهم .

ومن هنا كان الجهل بأحوالهم خير بيئة لهم ، يحققون فيها مآربهم ، واحسن العوامل المساعدة على نجاح مخططاتهم ومكائدهم . ولذلك يجحب على كل مؤمن صادق في جماعة المسلمين ان يكون لنفسه وعيًا كافياً بهذا الصنف من الاعداء ، حتى لا تنطلي عليه وسائلهم . فلا يقف الى جانبهم ، او يقف موقفاً سلبياً منهم . ومصدره في ذلك كتاب ربه تبارك وتعالى ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وعلى القيادة والعلماء في المجتمع المسلم ان ينشروا هذا الوعي بين اخوانهم .

فإذا تحصل هذا الوعي الشامل كان هذا سداً منيعاً امام المنافقين ، وذهبت جهودهم من غير أن تترك أثراً في المؤمنين ، ذلك ان من المسلمات ان معرفة العدو واحواله واسلحته ووسائله هي مبدأ الطريق في جهاده والانتصار عليه ، وكذلك معرفة اعراض المرض اول الطريق في علاجه . وهذا امر واضح ومفهوم مما عرفت من اطالة القرآن في بيان احوال المنافقين ، فان المقصود بهذه الاطالة هو تنبيه الجماعة المسلمة الى ذلك العدو الخطير . فيجب على المؤمنين ان يرجعوا الى كتاب ربهم ليعرفوا عدوهم .

## ٢ - ترك موالاتهم والتقرب اليهم :

فمن بدت عليه مظاهر النفاق ، وصدرت عنه أعمال المنافقين واقواهم ، وجب على المسلمين ان لا يتخذوه ولية ولا نصيراً .

ويدل على ذلك قوله تعالى في سورة النساء : ( فما لكم في المنافقين فتئين ، والله أرکسهم بما كسبوا ، أتريدون أن تهدوا من أضل الله ، ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً ، ودوا لو تکفرون كما کفروا فتکونون سواء ، فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله )<sup>(١٢٢)</sup> ، فقد نزلت هذه الآيات عندما اختلف المسلمون في المنافقين الذين رجعوا من أحد مع عبد الله بن أبي بن سلول ، فقالت طائفة من المسلمين : نقتلهم

<sup>(١٢٢)</sup> النساء - الآياتان ٨٨ ، ٨٩ .

وقالت أخرى : هم مؤمنون . فأنزل الله الآيات السابقة تبين أن المنافقين ليسوا مؤمنين ، وانه لا يصح للمؤمنين أن يوالوهم ويدافعوا عنهم ويحموهم . وقيل : نزلت في قوم كانوا بمكة قد تكلموا بالاسلام ، وكانوا يظاهرون المشركين ، فخرجوا من مكة يطلبون حاجة لهم ، فقالوا : ان لقينا اصحاب محمد ، فليس علينا منهم بأس . وان المؤمنين لما اخبروا انهم خرجو من مكة قالت فئة من المؤمنين : اركبوا الى الجبماء فاقتلوهم فانهم يظاهرون عليكم عدوكم . وقالت فئة أخرى من المؤمنين : سبحان الله أتقتون قوما قد تكلموا به ما تكلتم به ، من اجل انهم لم يهاجروا ، ولم يتركوا ديارهم نستحل دماءهم واموالهم ! فكانوا كذلك فئتين ، والرسول عندهم لا ينهى واحدا من الفريقين عن شيء ، فنزلت (١٤٤) .

ومهما يكن سبب النزول فالآيات تنهى المؤمنين عن الدفاع عن المنافقين الذين يوالون الكفار ، لأن من مد يد العون للكفار ، وساعدهم على المسلمين ، وتأمر بهم عليهم ، فقد بدا منه من عداوة المسلمين مالا يجوز معه ان ينصر او يوالى او يدفع عنه بالقول او بالعمل .

### ٣ - مقاطعتهم واجتناب مجالسهم التي يخوضون فيها فيما لا يرضي الله عز وجل :

فقد قال تعالى : ( بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة ، فان العزة لله جميرا . وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ، فلا تقدروا عليهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، انكم اذا مثلهم ، ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميرا ) (١٤٥) .

ويدخل في ذلك ان لا يستجاب لهم ، وان لا يشاركون فيما يتخذونه من مراكز الضرار التي يضارون بها المسلمين الصادقين . هذا اذا لم يكن للجamaة المسلمة سلطان يخولها القضاء على تلك المراكز . اما اذا

(١٤٤) انظر : تفسير ابن كثير ج ١ من ٥٣٢ .

(١٤٥) النساء - الآيات ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ .

كان لهم قوة وسلطان ، فيجب أن لا يسمعوا للمنافقين بانشاء تلك المراكن ، واذا انشاؤها وجب هدمها والقضاء عليها . و يؤخذ هذا الاسلوب من موقف الرسول عليه الصلاة والسلام من مسجد الضرار ومن شيده من المنافقين ، فقد امره ربه تبارك وتعالى ان لا يقوم فيه ابدا ، ثم أوحى اليه بهدمه ، فهدمه وحرقه . وقد نزل في ذلك قوله تعالى : ( والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا من حارب الله ورسوله من قبل ، ول يجعلن ان اردنا الا الحسنة ، والله يشهد انهم لکاذبون . لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتظروا ، والله يحب المطهرين . أ فمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من اسس بنيانه على شفا جرف هار ، فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين . لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم ، الا ان تقطع قلوبهم ، والله علیم حکیم ) (١٢٦) .

ولتعلم - ايها الاخ القاريء - ان الضرار الذي يقوم به أهل النفاق لا يقتصر على بناء المساجد ، بل يشمل جميع الوسائل والاعمال ، فكما يضارون الصادقين ببناء المساجد ، يضارونهم بجميع أنواع المؤسسات التي يستعملها المخلصون للدعوة الى الله ، ويستعملها المنافقون لتعريف الدين والصد عن سبيل الله تعالى . فغير وسيلة لباطل مفعول ما يشيدون وما يعملون من مراکز الضرار هو مقاطعتها ومقاطعة اهلها ، والانحياز الى مراکز الصادقين المخلصين ، وهم لا ينقطع منهم زمان ، وان انتابهم فترات من الضعف والنسيان .

٤ - وضعهم في موضع الشك ، وعدم الثقة باقوالهم واعيائهم وأراجيفهم :

فقد عرفت انهم يفسدون ويرجفون ويسبطون ويرمون المسلمين بالافك والفاحشة وانهم يبطنون كل ذلك ويسترونها بالظاهر الكاذب ،

ويستعينون عليه بالحلف والحديث الحسن في ظاهره ، المنق ، وينقلون الاخبار الكاذبة عن المسلمين وأحوالهم . فيجب أن لا يسلم لهم فيما يقولون ويشيعون ويرجفون . وان لا يسمع منهم وان توضع اخبارهم بوضع التهمة ، لأنهم وضعوا انفسهم في مركز العداء لعباد الله ، بما ظهر منهم من النفاق ، فالاصل فيهم الاساءة والافساد حتى يثبت خلاف ذلك ، فقد نهى الله عز وجل على من يسمع من المنافقين ، قال سبحانه : ( لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبلا ، وأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم ، والله عليم بالظالمين ) <sup>(١٢٧)</sup> . واذا كان الله عز وجل قد أمر المؤمنين ان يضعوا اقوال الفاسقين بوضع الاختبار والتبيين في قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنينا فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ) <sup>(١٢٨)</sup> ، فان اقوال المنافقين واشاعاتهم اولى بان لا تصدق ولا يسمع لها ، لأنهم اشد خطرا واخبت طوية من كل فاسق .

## ٥ - العيولة بينهم وبين المراكز الخطرة الهامة واجراهم من صفو

### المسلمين عند العزم على القيام بأعمال خطيرة ، وخاصة عند المجهاد :

فقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ، اذا رجع من غزوة تبوك ، ان لا يسمع للمنافقين الذين تخلفوا عنه بالخروج معه الى الجهاد مرة أخرى ، فقال عز وجل : ( فان رجعك الله الى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل : لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا ، انكم رضيتم بالقعود اول مرة فاقعدوا مع الخالفين ) <sup>(١٢٩)</sup> .

المنافقون لا يستأمنون على ثغور المسلمين ، لأن لهم مع العدو هوى ، وفي هزيمة المسلمين تحقيق لماربهم ، فلا ينبغي أن يمكنوا من ذلك . هذا بالإضافة الى ما عرفت انهم يثبطون ويرجفون ويخذلون ، وخطر ذلك في أوقات الملمات يزيد على خطره في الاحوال العادية اضعافا مضاعفة <sup>(١٣٠)</sup> .

(١٢٧) التوبة - الآية ٤٧ .

(١٢٨) العجرات - الآية ٦ .

(١٢٩) التوبة - الآية ٨٣ .

(١٣٠) انظر : أحكام القرآن للشافعى ج ٢ ص ٢٨ .

وقد نص الفقهاء على انه يجب على القائد اذا هم بالغروج الى الجهاد ان يتعرف على احوال جنده وسيرتهم ، فيظهر الجيش من كل فاسد مفسد ، عرف بضرره اكثر من نفعه ، فلا يستصحب معه مخذلا ، وهو الذي يشبط هم الناس عن الغزو كأن يقول : الحر شديد او البرد شديد . وان يرد كل مرجف ، وهو من يكثر الاراجيف كان يقول : هلكت سرية المسلمين ، او يقول : ليس للمسلمين مدد ، او يقول : لا طاقة للمسلمين بالكافار ، ونحو ذلك (١٢١) ، والمنافقون فيهم جميع ذلك وزيادة . فيجب على المسلمين ان لا يسمحوا لهم بالجهاد معهم ، فضلا عن انه لا يجوز ان يكون لهم مراكز في دولتهم او في جيوشهم . وقبل ان تكون دولة للمسلمين ، يجب على الدعاة الى الله ان يخرجوا كل منافق من بين صفوفهم وان لا يسمحوا له بالاستمرار في العمل معهم ، حتى لا يؤخر مسيرتهم . ويشبطهم عن العمل . روي في كتب السيرة ان نفرا من المنافقين كانوا يحضرون بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيسمعون احاديث المسلمين ويسخرون منهم ، فاجتمع يوما في المسجد منهم ناس ، فرأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يتحدثون بينهم ، خافضي أصواتهم ، قد لصق بعضهم ببعض، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فآخر جوا من المسجد اخراجا عنيفا (١٢٢) .

## ٦ - صيانة الصف المسلم من التنازع والتدابر والتقاطع :

وذلك حتى لا يجد المنافقون جوا مناسبا وارضا خصبة يلقون فيها الفتنة والفساد ، ويوسعون فيها الشقة بين المؤمنين ، قال سبحانه وتعالى : ( وأطاعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتدبروا ريحكم ) (١٢٣) .

فاما وقع شيء من الخلاف بين فتئين من المؤمنين وجب عليهما رده الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم ، بالرجوع الى القرآن وسنة الرسول ، ووجب في هذه الحالة احكام اللجام على الاهواء ، فلا يترك لها

(١٢١) انظر : المقني لابن قادمة ج ٩ ص ٢٠١ ، ومقني المحتاج ج ٤ ص ٢٢١ .

(١٢٢) سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٥٠ .

(١٢٣) الانفال - الآية ٤٦ .

مجال في التدخل ، فقد قال الله تعالى : ( فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير واحسن تأويلا ) (١٣٤) .

٧ - العرض على رباط الاخوة الایمانية بين المؤمنين ، ورفعه وتقديمه على كل علاقة أخرى مهما كانت :

فقد عرفت فيما تقدم ان اهل النفاق ينطلقون في افسادهم وفتنتهم بين المسلمين ، من منطلق العصبية النتنية ، واثارة النزعات القبلية والقومية والاقليمية . وهذا سهم لا يرده الا استمساك المؤمنين باخواتهم التي يربطهم الله بها ، وتفضيلها على كل رابطة دنيوية ، سواء كانت قرابة او صدقة او تجارة او غير ذلك .

ولهم في اولئك الصحابة الكرام ، رضوان الله عليهم خير اسوة ، واحسن قدوة : كانوا يضعون بكل رابطة اذا تعارضت مع ما تقتضيه اخوة الایمان . فكم حاول اهل النفاق اثارة العصبيات بين الاوس والخزرج ، وبين الانصار والمهاجرين ، فكان مصير محاولاتهم الفشل الذريع أمام اخوة الایمان : فقد مر معك ما كان من رأس المنافقين في غزوة بنى المصطلق ، ويسعى في هذا المقام ان نذكر موقف ابنه المؤمن الصادق عبد الله ، رضي الله عنه ، فانه لما بلغه ما كان من امر ابيه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، انه بلغني انك تريدين قتلا عبد الله بن ابي فيما بلغك عنه ، فان كنت فاعلا فمرني به ، فأننا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل ابر بوالديه مني ، اني أخشى أن تأمر به غيري ، فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل عبد الله بن ابي يمشي في الناس ، فأقتلته ، فأقتل مؤمنا بكافر ، فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل تترفق به وتحسن صحبته ما بقي معنا .

وذكر عكرمة وابن زيد ان الناس لما قفلوا راجعين الى المدينة وقف عبد الله بن عبد الله هذا على باب المدينة واستل سيفه ، فجعل الناس يمرون عليه ، فلما جاء أبوه عبد الله بن أبي قال له ابنته : وراءك ، فقال : مالك ويلك ، فقال : والله لا تجوز من ه هنا حتى ياذن بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانه العزيز وانت الذليل . وفي رواية انه قال لابيه : والله لا تدخل المدينة ابدا حتى تقول : رسول الله الاعز وانا الاذل . وظل يحتجز والده حتى اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمر عبد الله بالسماح لوالده (١٢٥) .

#### ٨ - حسن الظن بالاخوة المؤمنين ، وعدم الالتفات الى ما ينسبة المنافقون اليهم من التهم والفواحش :

فان هذا احسن وقاية وانجعها امام ما عرفت من اسلوب المنافقين في نقد المسلمين ، واساعه الفاحشة بينهم ، ولذلك فان الله سبحانه عاتب من استمع الى ما أثاره المنافقون من الكلام حول السيدة عائشة رضي الله عنها ، بعد الرجوع من غزوة بنى المصطلق . وأمرهم بحسن الظن بأخوانهم وأخواتهم ، ونهاهم عن اتباع الاشاعات التي يثيرها المنافقون ، وارجوع الى البيانات الواضحة . ومصادر العلم الموثوق بها للحكم على الناس (١٢٦) . فقال تبارك وتعالى في سورة النور : ( ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم ، لا تحسبوه شر ا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امريء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ، وقالوا : هذا افک مبين ) (١٢٧) .

#### ٩ - الاحتياط والعدر من أهل النفاق عند العزم على اتخاذ اجراءات مهمة ، والقيام بأعمال خطيرة :

وذلك بالكتمان واللجوء الى السرية وتعمية الاخبار على المنافقين

(١٢٥) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٧٢ ، السيرة العلبية ج ٢ ص ٦٠٢ .

(١٢٦) انظر : احكام القرآن لابن العربي ج ٣ ص ١٣٤٣ .

(١٢٧) النور - الآياتان ١١ ، ١٢ .

والجهلة ، حتى لا ينقلها هؤلاء المنافقون الى أوليائهم من الكفار ، ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الجهاد يوري عن العامة بغير ما يريد ، فقد روى كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد غزوة ورثى بغيرها (١٢٨) . ولم يكن عليه الصلاة والسلام يفعل ذلك الا احتياطا من اهل النفاق والذين في قلوبهم مرض .

### الاساليب العلاجية :

وبالاضافة الى ما تقدم من اساليب الوقاية من كيد المنافقين ، يجب على المؤمنين أن يجاهدوهم بما قد ينفعهم او ينفع بعضهم ، ويرددهم عن غفلتهم وغיהם ، رجاء هدايتهم الى الحق ، وصدتهم عن الباطل وانقاذهم من النار .

وقد عرفت مما تقدم عند ذكر صفاتهم أنهم أناس داؤهم حب الدنيا ، والتماس شهواتها عند العباد ، وان هذا نتيجة عدم يقينهم او ضعفه في الله عز وجل ، وفي صدق رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي وجود يوم آخر ، فيه الحساب والجزاء والثواب والعقاب .

ذلك فقد كان أسلوب القرآن الكريم في مواجهة قلوب المنافقين المريضة هو التركيز على مواضع غفلتهم ، بما يلي :

١ - تذكيرهم بما سيكون لهم من العذاب الشديد في اليوم الآخر الذي يربو على عذاب الكفار المجاهرين ، مع التبيين لهم ان باب التوبة مفتوح لهم قبل انتهاء اجلهم في هذه الحياة الدنيا ، قال عز وجل : ( ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ، ولن تجد لهم نصيرا . الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ، فأولئك مع المؤمنين ، وسوف يؤت الله المؤمنين أجرًا عظيمًا . ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وأمنتم ، وكان الله شاكرا عليما ) (١٢٩) .

(١٢٨) متفق عليه ، انظر : صحيح البخاري مع فتح الباري ج ٦ ص ٨٥ .

(١٢٩) النساء - الآيات ١٤٥ - ١٤٧ .

وقال سبحانه في تهديد المنافقين وبيان ما ينتظرون من الذل والهوان والعقاب : ( يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا : انظروا نقيب من نوركم ، قيل : ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا ، فضرب بينهم بسور له باب ، باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ، ينادونهم : ألم نكن معكم ؟ قالوا : بلى ، ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتتم وغرتكم الامانة ، حتى جاء أمر الله وغركم به الفرور ، فالليوم لا يؤخذ منكم فدية ولا من الدين كفروا ، مأواكم النار ، هي مولاكم وبئس المصير ) (١٤٠) .

٢ - تذكيرهم بعلم الله الشامل المعيط بما تكنته صدورهم من النفاق وانهم وان استطاعوا ستره عن المؤمنين ، فان الله علام الغيوب مطلع على سرائرهم وما يخفون في قلوبهم من الكيد والمكر والخبث ، فقد قال سبحانه وتعالى في المنافقين : ( ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب ) (١٤١) .

٣ - تذكيرهم بقضاء الله وقدره ، وان الامر بيده سبحانه ، لا بآيديهم ، وان خططهم ومكائدتهم ومكرهم لن ينجيهم من قدر الله عز وجل ، ولن يثمر الا ما يأذن به الله ، وان ما كتب عليهم لن يدفعه عنهم ذلك المكر والكيد ، فقد قال لهم الله عز وجل ردا على ما قالوه بعد غزوة أحد : ( قل : لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم ولبيتلي الله ما في صدوركم ، ولم يمحص ما في قلوبكم ، والله عليهم بذات الصدور ) (١٤٢) . وقال للذين تخلعوا منهم عن عمرة الحديبية ، واعتذروا بانشغالهم بأموالهم وأهليهم : ( قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا ، بل كان الله بما تعملون خيرا ) (١٤٣) .

(١٤٠) الحديـد - الآيـات ١٣ - ١٥ .

(١٤١) التوبـة - الآيـة ٧٨ .

(١٤٢) آل عمرـان - الآيـة ١٥٤ .

(١٤٣) الفـتح - الآيـة ١١ .

وقال سبحانه للذين يفرحون بما يحل بال المسلمين من المكره ، ويستاءون مما يقع لهم من الحسنة : ( قل لئن يصيّبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا ، وعلى الله فليتوكل المؤمنون ) <sup>(١٤٤)</sup> .

٤ - الغلطة عليهم في معاملتهم في العيادة الدنيا ، وعدم التساهل معهم ، و Zhuorhem بشدة في كل مرة تظهر عليهم علامة من علامات النفاق ، واقامة العدود عليهم ، واظهار عدم الرضى منهم ، فقد قال الله عز وجل : ( يا أيها النبي جاحد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ) <sup>(١٤٥)</sup> .

وقال سبحانه وتعالى : ( يعذّلُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ ، فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضِي عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ) <sup>(١٤٦)</sup> ، ومن لا يرضى عنه ربه لا ينبغي أن يكون محل رضى المؤمنين .

وقد روى عن قتادة في معنى قوله تعالى : ( جاحد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ) انه قال : جهاد المنافقين باقامة العدود عليهم ، وكانوا اكثر ما يصيّب العدود . وكذلك قال الحسن وابن عباس رضي الله عنهم ، ولكن مع شدة الضرر والتغليظ . روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال فيها : جاحد المنافقين بيده ، فان لم تستطع فلبسانك فان لم تستطع فاكفه في وجههم . وروي عن الضحاك انه قال في معناها جاحد الكفار بالسيف واغلظ على المنافقين بالكلام ، وهو مجاهدتهم <sup>(١٤٧)</sup> .

ويروى ابن جرير الطبرى والعماد ابن كثير ان المنافقين يجاهدون بالسيوف اذا اظهروا النفاق . واعتمدوا في ذلك على ما ورد عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربعة أسياف : سيف للمشركين وهو قوله تعالى : ( فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حِيثُ وَجَدُوكُمْ ) <sup>(١٤٨)</sup> ، وسيف لاهل الكتاب وهو

(١٤٤) التوبة - الآية ٥١ .

(١٤٥) التوبة - الآية ٧٣ .

(١٤٦) التوبة - الآية ٩٦ .

(١٤٧) تفسير القرطبي ج ٨ ص ٢٠٤ ، تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧١ ، وانظر : حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٢٠ .

(١٤٨) التوبة - الآية ٥ .

قوله تعالى : ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ، ولا يدينون دين الحق من الدين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون )<sup>(١٤٩)</sup> ، وسيف للمنافقين ، وهو قوله تعالى : ( جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ) ، وسيف للبغاء وهو قوله تعالى : ( فقاتلوا التي تبغى حتى تفique الى امر الله )<sup>(١٥٠)</sup> . فقد جعل جهاد المنافقين كجهاد المشركين وأهل الكتاب والبغاء ، وجهادهم يكون بالسيف<sup>(١٥١)</sup> .

ولا شك أن جهاد المنافقين بالسيف لا يكون الا بعد قيام دولة الاسلام وملن ظهرت عليه علامات واضحة تدل على نفاقه وكفره .

٥ - ومن أساليب تأديب المنافقين والضغط عليهم ، التي أشار اليها القرآن الكريم حرمانهم من الفرص التي يحقرون بها شهواتهم ويشبعون بها نزعاتهم المادية ، وعدم الاكتفاء بتتكليفهم بما يطلبون من الامور السهلة التي يكون غنمتها اكبر من غرمها بكثير ، فقد قال سبحانه في الاعراب المتخلفين عن عمرة الحديبية : ( سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مفانم لتأخذوها ذرولنا نتبعكم ، يريدون ان يبدلو اكلام الله ، قل لن تتبعونا ، كذلك قال الله من قبل ، فسيقولون : بل تحسدوننا ، بل كانوا لا يفهون الا قليلا )<sup>(١٥٢)</sup> ، فقد قالوا ذلك يطلبون الاشتراك مع المؤمنين في غزوة خيبر ، بعدما سمعوا ما وعد الله عباده الصادقين من المغانم ، فامر الله رسوله صلى الله عليه وسلم ان يفوت عليهم هذه الفرصة ، وان يدعوهم الى تقديم البرهان الواضح على صدقهم ، بالاشتراك في قتال قوم اولى بأس ، يكون فيه تضحيه بالمال والنفس ، فقال عز وجل : ( قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم اولى بأس شديد تقاتلونهم او

(١٤٩) التوبة - الآية ٢٩ .

(١٥٠) الحجرات - الآية ٩ .

(١٥١) انظر : تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٣٧١ .

(١٥٢) الفتح - الآية ١٥ .

يسلمون ، فان تعطىكم اجرًا حسنا ، وان تتولوا كما توليت  
من قبل يعذبكم عذابا أليما (١٥٣) .

وهكذا ينبغي ان لا يمد المؤمنون العجل للمنافقين ، وان لا يداروهم  
ولا يمكنوهم من تحقيق مآربهم بأسهل التكاليف ، بل ينبغي أن يزجوهم  
في الامتحانات الكاشفة فانها هي التي تعرف على صدقهم او على كذبهم  
ونفاقهم .

٦ - ومن العقوبات المعنوية للمنافقين التي أشارت اليها آيات سورة  
التجهيز اذا عرفا لا يجوز الاستغفار لهم ، كما قال تعالى : ( استغفر  
لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك  
بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين ) (١٥٤) .

وكذلك عدم الصلاة على من يموت منهم ، كما قال سبحانه وتعالى :  
( ولا تصل على احد منهم مات ابدا ولا تقام على قبره ، انهم كفروا بالله  
ورسوله وما توا وهم فاسقون ) (١٥٥) .

وكذلك رد نفقاتهم وعدم قبولها ، كما قال الله عز وجل : ( قل :  
انفقوا طوعا او كرها ، لن يتقبل منكم ، انكم كنتم قوما فاسقين ، وما  
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون  
الصلاه الا وهم كسالى ، ولا ينفقون الا وهم كارهون ) (١٥٦) .

(١٥٣) الفتح - الآية ١٦ .

(١٥٤) التوبة - الآية ٨٠ .

(١٥٥) التوبة - الآية ٨٤ .

(١٥٦) التوبة - الآيات ٥٣ ، ٥٤ .

## المبحث الخامس

في

### جهاد الظالمين والفاسقين

( الامر بالمعروف والنهي عن المنكر )

عندما يأذن الله عن وجل بقيام دولة الاسلام ، فتجتمع الامة المسلمة على عبادته سبحانه ، وتحكيم شرعه ، وطاعته والتزام امره ، واجتناب نهيه ، وتسهيل شؤونها كلها وفق ارادته عن وجل ، يغدو من اول واجبات هذه الامة ان تحافظ على هذا الوضع الذي يرضي الله عن وجل ، وان تصد كل منعرف عن طريق الله تعالى ، حتى لا يتسع الانحراف ويزداد ، فيصير الناس الى جاهلية جهلاء ويخرجوا عن منهج الله سبحانه .

وهذا الواجب العظيم هو واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو الوظيفة الربانية التي جعلها الله لجماعة المسلمين بين أهل الارض جميعا . فان قامت به على الوجه الذي يرضي ربها ، حازت على شهادة الخيرية على كل الامم ، وتأهلت بذلك لقيادة البشرية كلها في طريق الايمان (١) .

قال الله تعالى في بيان وظيفة هذه الجماعة : ( الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ) (٢) ، فهذا هو المطلوب من الجماعة المسلمة عندما يمكنها الله في الارض : ان تعبده حق عبادته وتقييم شرائعه وتصون الحياة من الشر والفساد بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والجهاد في سبيل الله تعالى .

وقال تعالى مبينا أن الايمان والامر بالمعروف والنهي عن المنكر هي مؤهلات الامة التي تصلح لقيادة الناس في هذه الحياة : ( كنتم خير امة أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر وتومنون بالله ) (٣) .

(١) في ظلال القرآن - المجلد الثاني ص ٢٧ ، ٣٣ ، الحسبة لابن تيمية ص ٦١ .

(٢) الحج - الآية ٤١ .

(٣) آل عمران - الآية ١١٠ .

فهذا المنصب العظيم لا يوصل اليه بمجرد الادعاء ، ولا بالوراثة ، ولا بمجرد الترقى في علوم المادة ، واما بالایمان باهله عن وجل ، واستمداد المعرف وتلقي المذاهيج والاحکام منه سبحانه ، ثم الدعوة الى الغير ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر <sup>(٤)</sup> .

وجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذا أخذ بمعناه الشامل دخل فيه جميع انواع المجهاد <sup>(٥)</sup> التي سبق الكلام عنها في المباحث السابقة : فجهاد النفس أمر لها بالمعروف ، ونهي لها عن المنكر ، وجهاد الشيطان كذلك نهي للناس عن اتباع منكره الذي يدعو اليه ، والابتعاد عن حبائله ومكائنه . وجهاد الكفار بدعوتهم الى الله ، وبالسيف أمر لهم بالمعروف الافضل ، وهو الایمان ونهي لهم عن المنكر الافضل وهو الكفر والشرك ، وكذلك جهاد المنافقين .

الا اننا سنخصص هذا المبحث لتوضيح جانب من جوانب هذا المعنى الشامل للامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وهو الجانب الذي تبقى من ذلك الشمول ، ولم يتناوله الحديث ، وهو جهاد الفاسقين والعصاة والظالمين من يعيشون بين اظهر المسلمين ، ولم يصدر عنهم ما يستوجب الحكم بردتهم وكفرهم ، ولكنهم استجابوا لداعي الهوى ، والشيطان في بعض الامور ، وخرجوا عن امر الله تعالى فيها .

ويفيدنا في هذا الموضوع أن نعرف معنى المعروف الذي يجب الامر به والمنكر الذي يجب النهي عنه ، ثم ضرورة هذا النوع من المجهاد ، وخطورته ، وتأكيد الشارع عليه . ثم نذكر أهم المبادئ والأداب التي يجب مراعاتها عند القيام بهذه الفريضة . ونختم هذا المطلب بذكر امثلة من مواقف علماء السلف في أمر العکام بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

(٤) انظر : في طلال القرآن ، المجلد الثاني من ٣٢ ، ٣٢ .

(٥) انظر : الحسبة في الاسلام من ٦٣ .

## المعروف والمنكر :

الأصل في معنى المعروف انه اسم لكل خير ، والمنكر اسم لكل أمر قبيح (٦) . ولكن ما الميزان الصحيح والضابط في تمييز الخير من الشر ، والحسن من القبيح ؟ ومن المرجع في ذلك ؟

يقول ابن منظور في لسان العرب : ( وقد تكرر ذكر المعروف في الحديث، وهو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والاحسان إلى الناس ، وكل ما ندب إليه الشرع ٠٠٠ والمنكر ضد المعروف ، ئ هو كل ما قبعة الشرع وحرمه وكرهه فهو منكر ) (٧) .

وهذا الذي قاله ابن منظور هو الحق الذي لا مراء فيه ، فإنه ليس من شك في انه لا يصح ولا يعقل ان يرجع في معرفة الميزان في ذلك الى من يعتوره الجهل والنقص والهوى والشهوة وعدم النزاهة ، وغير ذلك من النعائص . ومن هنا لا يجوز ان يرجع في وضع هذا الميزان الى الانسان مهما كان ، سواء كان حاكما او محكوما ، غنيا او فقيرا ، فردا او جماعة او امة او جيلا ، فان الفساد والشر قد يعم وينتشر حتى يصبح الخير غريبا ، وأهله غرباء ، وفي هذه الحال تنتكس الاذواق وتنعكس ، وتنقلب الطعوم عندها ، حتى يغدو المر حلوا ، والعلو مرا ، والخير شرا والشر خيرا ، والحق باطل ، والباطل حقا ، وذلك بفعل تزيين الشياطين من الانس والعن . والى هذا يشير قوله تعالى : ( وان تطع اكثرا من في الارض يضلوك عن سبيل الله ، ان يتبعون الا الطعن وان هم الا يخرصون ) (٨) ، فإنه ليس لابن آدم عندما يقطع صلته بربه من مصادر المعرفة سوى الطعن والغرض . ومن دوافع السلوك سوى الهوى ، ونن تكون احكامه ومتاهاته سوى ثمرات لهذا الطعن وهذا الهوى .

(٦) انظر : المضي المير في مادتي عرف ونكر ، ونماج العروض في فصل النون من باب الماء ، وتفسير الطبرى ج ٧ ص ١٠٥ .

(٧) لسان العرب في مادتي عرف ونكر .

(٨) الانعام - الآية ١١٦ .

من هنا كان لا بد للانسان من الرجوع الى ربه ليحدد له المعروف والمنكر ، ويضع له الميزان ، للتمييز بين الخير والشر ، والحق والباطل فانه تعالى وحده المنزه عن كل نقص ، والمتصرف بصفات الجلال والكمال هو الذي خلق كل شيء ، وهو العليم الخبير الحكيم ، ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء . وليس بحاجة الى احد ، امره اذا اراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ، فهو منزه عن التعزيز للبشر ، وعن ظلمهم . فهو وحده الذي يجب على البشر ان يرجعوا اليه ، ليعرفهم على القيم الرفيعة ، والاخلاق السليمة والشرايع العكيمة ، لانه وحده القادر على ان يدلهم على الخير ، وان يعرفهم بالشر ، اذ هو الذي خلقهم وخلق كل شيء : ( الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير )<sup>(٩)</sup> . وغيره لا يستطيع ان يهدي الى الخير الا اذا كان يستمد ويتلقى منه سبحانه ، كما قال عز وجل : ( ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين )<sup>(١٠)</sup> . فالله وحده هو مصدر الهدى ومرجعه ، وابل الطريق في الهدى واصله هو الاستسلام لله وطاعته والانقياد لأمره .

مما تقدم يوقن المؤمنون ان المعروف هو كل ما امر الله به ، ورسوله ، وان المنكر كل ما نهى عنه الله ورسوله<sup>(١١)</sup> .

١٤- الآية الملك .

٧١- الآية الانعام .

(١١) انظر : في طلاق القرآن ، المجلد الثاني ص ٣٣ ، وتفسیر الطبری ج ٧ ص ١٠٥ والامر بالمعروف والنهي عن المنكر لابی بكر الغلال ص ١٤ ، والحسنة لابن تیمیة ص ١٠٣ ودليل الفالعین ج ١ ص ٤٦٠ ، وتنبیه الغافلین ص ٣٣ ، والعلاقات الدولية في الاسلام ص ٤٩ . هذا وليس هنا مقام تفصیل الامور التي تدخل في مفهوم المعروف ، والامور التي هي من المنكرات ، فان ذلك يطول جداً ، ويحتاج الى مؤلف مستقل . وقد عمد بعض العلماء الى ذكر تقسيمات اجمالية للمعروف والمنكر ، من هؤلاء ابو الحسن الماوردي والقاضی ابی يعلی في كتاب « الاحکام السلطانية » فقسم جعلاً المعروف في ثلاثة أصناف : ما يتعلّق بحقوق الله تعالى ، وما يتعلّق بحقوق الادميين وما كان مشتركاً بينهما ، وجعلما المنكر في ثلاثة اقسام شابهة لاقسام المعروف من حيث التعلق بحق الله او بحق الادمی - انظر الاحکام السلطانية لابی يعلی ص ٢٨٧ وما بعدها ، والاحکام السلطانية للماوردي ص ٢٤٣ وما بعدهما ، ومن صنف المنكرات ابین تیمیة في كتابه « الحسبة في الاسلام » فقد قسم الذنوب الى ثلاثة اقسام : أحدهما ما فيه ظلم الناس كالظلم باخذ الاموال ومنع الحقوق والحسد ونحو ذلك ، والثاني ما فيه ظلم النفس فقط كشرب الخمر والزنا ، اذا لم يتعد ضررها . والثالث ما يجتمع فيه الامران - انظر الحسبة في الاسلام ص ٨١ . وانظر ايضاً كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لابی بكر الغلال ودراسته لعبد القادر احمد عطا . وانظر تقسیم الغزالی للمنكرات في احياء علزيم الدين ج ٢ الباب الثالث من كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وليس المعروف والمنكر ما اصطلح عليه الناس او امة من الامم ، اللهم  
اذا كانت هذه الأمة هي الأمة الاسلامية ، لأنها تستمد مقاييسها من  
كتاب ربها وسنه رسوله صلى الله عليه وسلم .

### ضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

يقول ابن تيمية رحمة الله تعالى في بيان الحاجة الى القيام بهذه  
الفرضية : ( وكل بشر على وجه الارض فلا بد له من أمر ونهي ، ولا بد  
أن يأمر وينهى حتى لو أنه وحده لكان يأمر نفسه وينهيتها ، اما بمعروف  
أو بمنكر . كما قال تعالى : « ان النفس لأماره بالسوء »<sup>(١٢)</sup> .

فإن الأمر هو طلب الفعل وارادته ، والنهي طلب الترك وارادته ،  
ولا بد لكل حي من ارادة وطلب في نفسه، يقتضي بهما فعل نفسه ويقتضي  
بهما فعل غيره . اذا امكن ذلك . فان الانسان حي يتتحرك بارادته . وينو  
آدم لا يعيشون الا باجتماع بعضهم مع بعض . و اذا اجتمع اثنان فصاعدا  
فلا بد أن يكون بينهما ائتمار بأمر وتناه عن أمر . . . . . و اذا كان الأمر  
والنهي من لوازم وجودبني آدم ، فمن لم يأمر بمعروف الذي أمر الله  
به ورسوله ، وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه ورسوله ، ويؤمر  
بمعروف الذي أمر الله به ورسوله وينه عن المنكر الذي نهى الله عنه  
ورسوله ، والا فلا بد أن يأمر وينهى ويؤمر وينهى ، اما بما يضاد ذلك ،  
واما بما يشتراك فيه الحق الذي أنزله الله بالباطل الذي لم ينزله  
الله . . . .<sup>(١٣)</sup>

ولزيادة توضيح ما ذكره ابن تيمية نذكر الاخ القاريء بما تقدم من  
وجود اعداء كثرين لابن آدم ، من الشياطين والكفار والمنافقين ، وان  
لهؤلاء الاعداء أعواانا في الانسان نفسه من الاهواء والشهوات . ولتعلم  
أن هؤلاء الاعداء لا يفترون عن محاربة المؤمن ، ومحاولة اخراجه عن

(١٢) يوسف - الآية ٥٣ .

(١٣) الحسبة في الاسلام ص ١٠٣ ، ١٠٤ .

طاعة ربه ٠ واهل الايمان ، في مواجهة هؤلاء الاعداء اصناف ، فمنهم من يستجيب لهم في الكفر والارتداد عن طريق الايمان بالكلية والعياذ بالله تعالى ، ومنهم من يستجيب لهم في معصية الله في بعض الامور ، وان لم يستجب لهم في الغرور عن دين الله عز وجل ، وهؤلاء هم أهل العاصي والمنكرات ، ومنهم من لا يستجيب للاعداء لا في الكفر ولا في المعصية ، وهؤلاء هم المؤمنون الصادقون ٠

وإذا كان اعداء المؤمن دائبين في حربه وصده عن سبيل الله ، فان اعظم الخطر ان لا يجد هؤلاء الاعداء من يقف أمامهم من المؤمنين الصادقين ، لأن حصيلة هذا الوضع ستكون نقصانا مستمرا في جانب أهل الايمان ، وزيادة مستمرة في جانب أهل العاصي ، حتى يصبح الصادقون من المؤمنين أنفسهم على خطر عظيم ٠

غير أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والوقوف امام المستجيبين للشياطين من الظالمين والفاسين ، واعادتهم الى حظيرة الطاعة لله بوسائل اللين والشدة ٠ كل ذلك يوقف من المد الشيطاني ، ويقلل من معصية الله وأهلها في مجتمع الايمان ٠ وينجي هذا المجتمع من غضب الله والفتنة العامة الطامة التي لا ينجو منها الا الذين ينهون عن السوء ويأسرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : ( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب )<sup>(١٤)</sup> ٠ وفي المقابل يقول عز وجل : ( فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء ، وخذلنا الذين ظلموا بعذاب بئس بما كانوا يفسقون )<sup>(١٥)</sup> ٠ فمن لا ينهى عن السوء لا ينجيه مجرد ايمانه ، وقيامه ببعض الطاعات عند حلول الفتنة وال المصائب ٠ ولكن الذي ينجيه هو أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بعد ايمانه وطاعته لربه ٠

(١٤) الانفال - الآية ٤٥ ٠

(١٥) الاعراف - الآية ١٦٥ ٠

وقد ذكر الامام أحمد اثرا فيه ان الله سبحانه وحى الى ملك من الملائكة ان اخسف بقرية كذا وكذا ، فقال : يا رب كيف وفيهم فلان العابد ؟ فقال : به فابدا فانه لم يتمعر وجهه في يوما قط (١٦) ٠

وذكر ابو عمر في كتاب التمهيد ان الله سبحانه وحى الى نبي من انبائئه أن قل لفلان الزاهد : اما زهداك في الدنيا فقد تعجلت به الراحة ، واما انقطاعك الي فقد اكتسبت به العز ، ولكن ماذا عملت فيما لي عليك ؟ فقال : يا رب وأي شيء لك على ؟ قال : هل واليت في ولها او عاديت في عدوا (١٧) ٠

ويقول ابن القيم في بيان خطر من يعطى فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من أجل التفرغ لأنواع العبادات من الذكر والقراءة والصيام : ( وقد غر ابليس اكثر الخلق بان حسن لهم القيام بنوع من الذكر والقراءة والصلوة والصيام والزهد في الدنيا والانقطاع ، وعطلاوا هذه العبوديات (١٨) ، فلم يحدثوا قلوبهم بالقيام بها ، وهؤلاء عند ورثة الانبياء من أقل الناس دينا ، فان الدين هو القيام الله بما امر به ، فتارك حقوق الله التي تجب عليه أسوأ حالا عند الله ورسوله من مرتکب المعاشي ٠٠٠٠ ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله صلی الله عليه وسلم وبما كان عليه هو واصحابه رأى ان اكثر من يشار اليهم بالدين هم أقل الناس دينا ، والله المستعان ٠ وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهي وحدوده تضاع ، ودينه يتراك ، وسنة رسوله صلی الله عليه وسلم يرحب عنها ، وهو بارد القلب ، ساكت اللسان ؟ شيطان اخرس ، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق ٠ وهل بلية الدين الا من هؤلاء الذين اذا سلمت لهم ماكلهم ورياساتهم فلا مبالغة بما جرى على الدين ؟ وخيارهم المتعزز المتلمظ ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه او ماله بذل وتبذل وجد واجتهد ، واستعمل مراتب الانكار الثلاث

(١٦) انظر : اعلام الموقعين ج ٢ ص ١٧٧ ، جمع الفوائد من جامع الاصول وجمع الزوائد ج ٢ ص ٣٧ ٠

(١٧) انظر : اعلام الموقعين ج ٢ ص ١٧٧ ٠

(١٨) المقصود عبادة الله بالجهاد والدعوة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

بحسب وسعه ، و هو لاء مع سقوطهم من عين الله ، و مقت الله لهم ، قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون ، وهو موت القلوب ، فان القلب كلما كانت حياته اتم كان غضبه الله و رسوله أقوى ، وانتصاره للدين أكمل )<sup>١٩</sup> .

فهذا النوع من الجهاد تقوية اهل الایمان الداخلية ، وتنقية لها من كل فاسد ، مفسد ، وتضييق على اهل المنافق ، وقسم لظهورهم : يروي ابو بكر الخلال عن سفيان انه قال : ( اذا أمرت بالمعروف شددت ظهر المؤمن ، و اذا نهيت عن المنكر ارغمت انب المنافق )<sup>٢٠</sup> .

واما العزوف عن هذا الجهاد فيكون فيه تقوية للمنافقين ، واعلاء لشأنهم وامداد لشرهم وفسادهم : روى الخلال عن احمد بن حنبل انه قال : يأتي على الانسان زمان يكون المؤمن فيه بينهم مثل الجيفة ، ويكون المنافق يشار اليه بالاصابع ، قيل : وكيف يشار الى المنافق بالاصابع ؟ فقال : صيروا امر الله فضولا : المؤمن اذا رأى امرا بالمعروف او نها عن المنكر لم يصبر حتى يأمر وينهى ، فيقولون : هذا فضول . والمنافق كل شيء يراه قال بيده على فمه )<sup>٢١</sup> ، فيقولون : نعم الرجل ليس بينه وبين الفضول عمل )<sup>٢٢</sup> .

وعندما يغدو حال المجتمع الاسلامي كما وصفه ابن حنبل رحمة الله تعالى ، تتبدل القيم ، وتنعكس النظرة الانسانية الى الامور ، فيصير الامر بالمعروف فضوليا ، والمنافق المداهن مهذبا ومؤدبا ، فيؤول الامر الى انتشار المعاشي ، والمعاشي كما قال بعض علماء السلف بريد الكفر )<sup>٢٣</sup> ، فاذا كثرت ولم يجد العصاة من يحد من فسادهم عن امر الله عز وجل ، كثر بالتالي المرتدون عن دين الله ، والداخلون في ولية الشيطان والكفار ، الى ان ترجع الحال الى ما كانت عليه في العاھلية

(١٩) اعلام الواقفين ج ٢ ص ١٧٧ :

(٢٠) انظر كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لابي بكر الخلال ص ١١٣ ، وتنبيه الشاذلين ، ص ٣٣ .

(٢١) اي اغلق فمه فلم ينه عن منكر ولم يأمر ولم يأمر بمعروف .

(٢٢) كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ١١٢ .

(٢٣) انظر : كتاب الرواجر عن اقتراح الكبائر لابن حجر المتصمي ج ١ ص ١٢ .

الاولى ، فيجعل شرع الله ، ويتخاذ ظهريا ، ويهجر كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتحكم الاهواء في العباد ، ويكون ذلك كله ثمرة التفاسخ عن فريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر .

يقول الامام النووي رحمة الله تعالى في بيان قدر هذه الفريضة ، وخطورة هذا النوع من الجهاد ووجوبه على المؤمنين : ( واعلم ان هذا الباب ، اعني بباب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع اكثره من ازمان متطاولة ، ولم يبق منه في هذه الازمان الا رسوم قليلة جدا ، وهو باب عظيم به قوام الامر وملاكه . و اذا كثر الخبث عم العقاب الصالح والطالح . و اذا لم يأخذوا على الظالم او شاك ان يعمهم الله تعالى بعقايه ، فليحذر الذين يخالفون عن أمره ان تصيبهم فتنه او يصيبهم عذاب أليم ، فينبغي لطالب الآخرة وال ساعي في تحصيل رضا الله عز وجل ان يعتنی بهذا الباب ، فان نفعه عظيم ، لا سيما وقد ذهب معظمه ، ويخلص نيته ، ولا يهابن من ينكر عليه لارتفاع مرتبته ، فان الله تعالى قال : « ولينصرن الله من ينصره » (٢٤) وقال تعالى : « ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » (٢٥) ، وقال تعالى « والذين جاهدوا فينا لنهدئنهم سبلنا » (٢٦) ، وقال تعالى : « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا أمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » (٢٧) . واعلم أن الاجر على قدر النصب . ولا يتاركه ايضا لصداقته وموذته ومداهنته وطلب الوجاهة عنده ، ودوس المنزلة لديه ، فان صداقته وموذته توجب له حرمة وحقا ، ومن حقه أن ينصحه ويهديه الى مصالح آخرته ، وينقذه من مضارها ، وصديق الانسان ومحبه من سعى في عمارة آخرته ، وان ادى ذلك الى نقص في دنياه ، وعدوه من يسعى في ذهاب او نقص آخرته وان حصل

(٢٤) الحج - الآية ٤٠ .

(٢٥) آل عمران - الآية ١٠١ .

(٢٦) العنكبوت - الآية ٦٩ .

(٢٧) العنكبوت - الآيات ٢ ، ٣ .

بسبب ذلك صورة نفع في دنياه . وانما كان ابليس عدوا لنا لهذا (٢٨) ، وكانت الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين أولياء للمؤمنين ، لسعدهم في صالح آخرتهم وهذا يتهم اليها (٢٩) .

ويقول ابن العربي المالكي : ( الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل في الدين وعده من عمد المسلمين وخلافة رب العالمين ، والمقصود الاكبر من بعث النبيين ، وهو فرض على جميع الناس مثنى وفرادي بشرط القدرة عليه ) (٣٠) .

هذا ونسوق اليك حديثا يبين ضرورة هذا النوع من الجهاد ، والضرر العظيم الذي يترتب على اهماله ، فقد روى النعمان ابن بشير رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : ( مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة ، فصار بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها ، وكان الذين في أسفلها اذا استقوا من الماء مرروا على من فوقهم ، فقالوا : لو انا خرقنا في نصيبينا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما ارادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا ) (٣١) .

فانظر كيف بين الرسول عليه الصلاة والسلام في هذا المثل أن هلاك المجتمع انما هو نتيجة محتومة لترك اصحاب المنكر والفساد يعيشون في الارض فسادا ، وعدم الاخذ على ايديهم . وان المنكر قد يرى في أول الامر هينا وبسيطا ، كالغرق في السفينة ، فان ترك مع بساطته وعدم اتساعه ، فشا في المجتمع المسلم وازداد حتى يؤول في آخر

(٢٨) اي لانه يسعى في خراب آخرتنا وان ادى صنيعه الى زيادة في شهواتنا .

(٢٩) انظر : شرح التوسي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٤ .

(٣٠) عارضة الاحدوي ج ٢ ص ١٣ . وانظر أيضا تفسير القاسimi ج ٤ ص ١٠٤ .

(٣١) رواه البخاري في كتاب الشرك بباب « هل يقع في القسم » ، وانظر صحيح الترمذى بشرح ابن العربي ج ٩ ص ١٩ ، وقد قال عنه الترمذى حسن صحيح . والقائم في حدود الله معناه المنكر لها ، القائم في دفعها واذالها ، والمراد بالحدود ما نهى الله عنه - انظر : رياض الصالحين من ٩٧ ، ودليل الفالحين ج ١ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ونسمة المتين ج ١ ص ٢١١ ، وقال في دليل الفالحين في بيان وجود الفرق الثالث في المثل المضروب : ان الذين ارادوا غرق السفينة بنزلة الواقع في حدود الله ، ثم من عددهم : اما منكر وهو القائم ، واما ساكت وهو المداهن - دليل الفالحين ج ١ ص ٤٧٠ ، ٤٧١ .

المطاف الى بلاء عظيم ، وقد يؤدي الى القضاء عليه ، وهذه سنه من سنن الله عز وجل اشار اليها في قوله تعالى : ( واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ) ٠ وروت زينب بنت جحش رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعا يقول : ( لا اله الا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم ياجوج وmajوج مثل هذه ، وحلق بين اصبعيه الابهام والتي تليها . فقلت : يا رسول الله . انهلك وفيينا الصالحون ؟ ٠ قال : نعم اذا كثر الغيث ) <sup>(٢٢)</sup> ٠ وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : ( ان الله تعالى لا يعذب العامة بعمل الخاصة ، ولكن اذا اظهرت العاصي فلم يذكروا فقد استحق القوم جميعا العقوبة ) <sup>(٢٣)</sup> ٠

#### أدلة مشروعيته وتأكيد الشارع عليه :

لهذا كله كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اعظم قواعد الاسلام ، ومن اكثـر ما تناوله القرآن والسنة من الواجبات بالحث عليه والوعـد لـمن قـام بـه بـخـيرـالـجزـاء ، والـوعـيد لـمن تـرـكـه وـتـهـاـونـفيـه ٠

ولقد أشارت الآيات والاحاديث الى أنه خصلة من اعظم خصال الائمه ، قال تعالى : ( والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويتون الزكاة ويطعون الله ورسوله ، اولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم ) <sup>(٢٤)</sup> ، فهذه صفتـهم : يـأمـرونـبـالـخـيـرـ وـيـقاـوـمـونـفـسـادـ ، وـلـاـ يـسـكـنـونـعـنـبـالـبـاطـلـ وـلـاـ يـخـافـونـلـوـمـةـلـائـمـ ٠

كذلك بين رسول الله صلـى الله عـلـيـه وـسـلـمـ انه لا اـيمـانـ لـمـنـ لاـ يـنـكـرـ المنـكـرـ بـصـورـةـ مـنـ الصـورـ ، وـلـاـ يـجـاهـدـ أـهـلـ الـمـنـكـرـ بـأـيـ نـوـعـ مـنـ الـجـهـادـ ، وـاـنـ جـهـادـ الـمـنـكـرـ مـهـمـاـ اـسـتـكـثـرـ مـنـ الـمـؤـمـنـ ، فـاـنـهـ يـدـلـ عـلـىـ زـيـادـةـ اـيمـانـهـ ، وـمـهـمـاـ تـقـاعـسـ عـنـهـ كـانـ دـلـيـلـاـ عـلـىـ ضـعـفـ اـيمـانـهـ وـيـقـيـنـهـ ، حـتـىـ اـذـاـ انـدـعـمـ

(٢٢) انظر ، صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٩١ وما بعدها .

(٢٣) تنبـيـهـ الـفـاقـلـيـنـ مـنـ ٣٢ـ .

(٢٤) التوبـةـ سـ الآـيـةـ ٧١ـ .

انكار المنكر بجميع صوره ، كان دليلا على ذهاب الايمان ، والعياذ بالله تعالى ، فقد روى مسلم والترمذى عن طارق بن شهاب قال : اول من بدأ بالغطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان ، فقام اليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، فقال : قد ترك ما هنالك ، فقال ابو سعيد : اما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان ) <sup>(٣٥)</sup> .

ومن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ما من نبى بعثه الله في أمة قبلى الا كان له من امته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ، ويقتدون بأمره ، ثم انها تختلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون مالا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ) <sup>(٣٦)</sup> . فانظر كيف ربط عليه الصلاة والسلام بين الايمان وهذا النوع من الجهاد زيادة ونقصا ، وهو صريح في ذهاب الايمان عنمن لا ينكر المنكر بقلبه ، وقد روى عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر <sup>(٣٧)</sup> .

واما كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من اعظم خصال الايمان ، فقد جاء ايجابه والبعث عليه وتهذيد المتقاعسين عنه ، وترغيب القائمين به في كثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة . من ذلك :

قوله عز وجل : ( ولتكن منكم أمة يدعون الى الغير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واؤلئك هم المفلحون ) <sup>(٣٨)</sup> ، فالآية واضحة الدلالة على الايجاب ، كما بيّنت ان الفلاح منوط بالقيام بهذه الفريضة .

(٣٥) رواه مسلم والترمذى وابو داود وابن ماجه واحمد - انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٢٢ وما بعدها ، وصحح الترمذى بشرح ابن العربي المالكى ج ٩ ص ١٨ ، ودليل الفالحين ج ١ ص ٤٦٦ .

(٣٦) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٢٧ .

(٣٧) دليل الفالحين ج ١ ص ٤٦٦ .

(٣٨) آل عمران - الآية ١٠٤ .

وقوله عز وجل : ( ليسوا سواء ، من اهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ويسارعون في الغيرات واؤلئك من الصالحين ) <sup>(٢٩)</sup> ، فيظهر من هذه الآية الكريمة ان شهادة الله عز وجل بالصلاح لا يستحقها الا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بعد ايمانه بالله واليوم الآخر وعبادة الله عز وجل <sup>(٤٠)</sup> .

ولقد لعن الله كفار بنى اسرائيل ولعنهم انبياؤهم لتركهم هذه الفريضة ، فقال سبحانه وتعالى : ( لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا ، وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ) (٤١) .  
كما امر الله سبحانه عباده المؤمنين على التعاون على البر والتقوى ، ونهاهم عن التعاون على الاثم والعدوان ، فقال : ( وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ) (٤٢) ، وأمرهم بالتواصي بالحق والصبر ، كما قال تعالى : ( والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ) (٤٣) ، وهذا التعاون ، وهذا التواصي يدخل فيه بصورة مباشرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقال عز وجل : ( فلو لا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد في الأرض ) <sup>(٤٤)</sup> ، فيبين سبحانه انه اهلكهم جميعا الا قليلا منهم كانوا ينهون عن الفساد <sup>(٤٥)</sup> . وقال تعالى : ( لا خير في كثير من نجواهم الا من أمر بصدقه او معروف او اصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتعاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ) <sup>(٤٦)</sup> .

٣٩) آل عمران - الآياتان ١١٣ ، ١١٤ .

٤٠) احياء علوم الدين - المجلد الثاني ص ١١٨٧ .

٤١) المائدة - الآياتان ٧٨ ، ٧٩ .

٤٢) المائدة - الآية ٢

## ٤٣) سورة العصر .

٤٤) هود - الآية ١١٦ .  
 ٤٥) احياء علوم الدين - المجلد الثاني من ١١٨٧ .

١١٤ - الآية - النساء (٤٦)

وقد ذكر الله تعالى ان من صفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السابقة ، انه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فقال سبحانه : ( الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهياهم عن المنكر ويجعل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والاغلال التي كانت عليهم ) <sup>(٤٧)</sup> .

كما عرفت ان الله سبحانه اشترط في الأمة التي تستلم قيادة البشرية أن تكون أمراً بالمعروف ونهاية عن المنكر ، ومن لا يفعل ذلك من الأمم فلا يستحق ان يكون في هذا المركز <sup>(٤٨)</sup> .

وأما الأحاديث الواردة في الحث على هذا الجهاد :

فقد تقدم حديث أبي سعيد الخدري الذي رواه الإمام مسلم وغيره ، وفيه ايجاب انكار المنكر على كل مسلم ، وعدم سقوطه عن أحد من المسلمين .

ومنها ما ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه قال : ايها الناس انكم تقرءون هذه الآية : ( يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ) <sup>(٤٩)</sup> . وانني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( ان الناس اذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه اوشك ان يعذبهم الله بعذاب منه ) <sup>(٥٠)</sup> ، فليس في الآية ما يدل على عدم وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإنما اراد الله سبحانه أن يعلم عباده بأنه لا يطلب منهم هداية العباد ، وتحقيق نتائج أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وإنما واجبهم هو جهاد المنكر . واما تحقيق النتائج فهو أمر يختص به رب الناس ، فلا يجوز اذن أن يعتذر أحد عن تقاعسه عن هذا الواجب بصدود الناس وعدم استجابتهم ، اذ ليس عليه هدفهم

(٤٧) الاعراف - الآية ١٥٧ .

(٤٨) في طلاب القرآن - المجلد ٢ ص ٢٢ .

(٤٩) المائدة - الآية ١٥٥ .

(٥٠) أخرجه الترمذى وابن حجر العسقلانى عنه صحىع - انظر صحىع الترمذى بشرح ابن العربي ج ٩ ص ١٥ .

ولكن عليه نهيم عن المنكر وأمرهم بالمعروف ، يقول ابن تيمية : ( والاهتداء إنما يتم باداء الواجب ، فإذا قام المسلم بما يحب عليه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كما قام بغيره من الواجبات لم يضره ضلال الضلال ) <sup>(٥١)</sup> .

ومنها ما ورد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( والذي نفسي بيده ، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر او ليوشكن الله ان يبعث عليكم عقابا منه ، ثم تدعونه فلا يستجاب لكم ) <sup>(٥٢)</sup> ، فبين الرسول عليه الصلاة والسلام أن التخلف عن القيام بفريضة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل سخط الله وعقابه ، كما يحول دون استجابة الدعاء ، ولو كان صادرا من أناس مؤمنين ، ما داموا لا يأمرن بمعرفة ولا ينهون عن منكر .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يباعي اصحابه على رؤوس الفرائض وأهم الواجبات ، وكان مما بایعهم عليه قول الحق ، وعدم خشية الناس فيه ، فقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه : ( بایعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسير ، والمنشط والمكره ، وعلى أثره علينا ، وعلى الا ننماز الامر أهله ، الا أن تروا كفرا مباحا عندكم من الله تعالى فيه برهان ، وعلى أن نقول الحق أينما كنا لا تخاف في الله لومة لائم ) <sup>(٥٣)</sup> .

وبين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من حق الطريق ، فقد جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( اياكم والجلوس في الطرقات ، فقالوا : يا رسول الله ، ما لنا من مجالسنا بد ، نتحدث فيها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإذا أبیتم الا مجلس فأعطوا الطريق حقه ،

(٥١) الحسبة في الإسلام ص ٦٤ .

(٥٢) أخرجه الترمذى وقال عنه حسن ، انظر صحيح الترمذى بشرح ابن العربي ج ٩ ص ١٧ .

(٥٣) متفق عليه - انظر صحيح البخارى مع فتح البارى ج ١٣ ص ٥ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢٢٨ .

قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال : غض البصر ، وكتف الاذى  
ورد السلام ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر (٥٤) .

كذلك ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الحث على جهاد العكاظ  
من اهل الجور والفسق ، وبين عليه الصلاة والسلام ان جهادهم هو  
أفضل الجهاد ، وان الشهادة التي تناول بها هي من أعلى وأرفع أنواع  
الشهادة ، فقد روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله  
عليه وسلم أنه قال : (أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر) (٥٥) .

وروى النسائي بساند صحيح ان رجلا سأله النبي صلى الله عليه وسلم  
وقد وضع رجله في الفرز (٥٦) : اي الجهاد افضل ؟ قال : كلمة حق عند  
سلطان جائر (٥٧) .

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( سيد  
الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، ورجل قام الى امام جائر فأمره ونهاه  
فقتله ) (٥٨) .

وفي الترهيب من اهمال هذه الفريضة روى ابن مسعود رضي الله  
عنه عن الرسول عليه الصلاة والسلام انه قال : ( ان اول ما دخل النقص  
على بني اسرائيل انه كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا ، اتق الله  
ودع ما تصنع فانه لا يحل لك ، ثم يلقاء من الغد وهو على حاله ، فلا  
يمنعه ذلك ان يكون اكيله وشريبه وقيده ، فلما فعلوا ذلك ضرب الله  
قلوب بعضهم ببعض ثم قال : « لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على  
لسان داود وعيسى بن مريم ، ذلك بما عصوا و كانوا يعتدون ، كانوا لا  
يتناهون عن منكر فعلوه ، لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون

(٥٤) متفق عليه - اخرجه البخاري في كتاب المظالم « باب أفتية الدور والجلوس فيها والجلوس على الصعدات »  
ورواه مسلم في البلاس .

(٥٥) رواه ابو داود والترمذى وقال عنه : هذا حديث حسن غريب - انظر صحيح الترمذى بشرح ابن العزى  
المالكى ج ٩ ص ٢٠ ، ونزهة المتقين ج ١ ص ٢١٦ .

(٥٦) اي الركاب .

(٥٧) رياض الصالحين باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وانظر جمع البواائد ج ٢ ص ٣٦٩ .

(٥٨) رواه الترمذى والحاكم وقال : صحيح الاستناد - انظر الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٥ .

الذين كفروا ، لبئس ما قدمت لهم أنفسهم » الى قوله تعالى « فاسقون » ، ثم قال : كلا والله ، لتأمرن بالمعروف ، ولتنهون عن المنكر ، ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرن على الحق قصرا ، او ليضر بن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم (٥٩) ٠

وفي بيان ضرورة الانكار القلبي للمنكر ، وخطورة الاطمئنان القلبي لما يرى المؤمن من المنكرات ، روى حذيفة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( تعرض الفتنة على القلوب كالحصير عودا عودا ، فأي قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء ، وأي قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء ، حتى تصير على قلبيين : على أبيض مثل الصفا ، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والارض ، والآخر أسود من بادا (٦٠) كالكوز مجنيا (٦١) لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا الا ما أشرب من هواه (٦٢) ٠ ويقول المنذري في بيان معنى هذا الحديث : ( ومعنى الحديث ان القلب اذا افتتن ، وخرجت منه حرمة المعاصي والمنكرات ، خرج منه نور الايمان كما يخرج الماء من الكوز اذا مال او انتكس ) (٦٣) ٠

هذه الآيات والأحاديث الكثيرة تبين لك مركز هذا النوع من الجهاد من الدعوة الإسلامية بصورة عامة، وبين أنواع الجهاد المختلفة بصورة خاصة ٠ وتدلّك على انه ركن من اركان الاسلام ، ودعامة من دعائمه ، وقاعدة عظيمة من قواعده ٠ وقد روى الحاكم والبزار ما يدل على أن هذا الركن لا يقل في أهميته عن أركان الاسلام الأخرى ، فقد روى الحاكم عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ( الاسلام أن تعبد الله لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ، وتصوم

(٥٩) رواه ابو داود والترمذى وقال : حديث حسن ، وهذا لفظ ابي داود - انظر رياض الصالحين في باب الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ٠

(٦٠) متقدرا الى الثبرة مائلا الى الرمادي ٠

(٦١) اي مائلا ٠

(٦٢) رواه مسلم وغيره - انظر الترغيب والترحيب للمنذري ج ٢ من ٢٣١ ٠

(٦٣) الترغيب والترحيب ج ٣ من ٢٣٢ ٠

رمضان ، والحج والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتسليمك على أهلك ، فمن انتقص شيئاً منهن ، فهو سهم من الاسلام يدعنه<sup>٦٤</sup> ، ومن تركهن فقد ولى الاسلام ظهره<sup>٦٥</sup> . وروى البزار من حديث حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ( الاسلام ثمانية أسمهم : الاسلام سهم ، والصلة سهم ، والزكاة سهم ، والصوم سهم ، وحج البيت سهم ، والامر بالمعروف سهم ، والنهي عن المنكر سهم ، والجهاد في سبيل الله سهم ، وقد خاب من لا سهم له )<sup>٦٦</sup> .

ومع أن هذين العدويين ليسا في قوة الاحاديث السابقة ، الا ان ما سبق ذكره من الآيات والاحاديث الكثيرة التي أمرت بهذا الجهاد ، وحثت عليه وتوعدت من تركه ، ووعدت بحسن الجزاء من قام به ، يدل على أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة عظيمة من فرائض الاسلام ، يترتب على اهماله من الخطر على المجتمع الاسلامي ما يتربى على اهمال اي ركن آخر من اركان الاسلام .

وبذلك تكون محصلة تلك النصوص أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب من الواجبات الشرعية على كل مسلم ، بقدر استطاعته ، وضمن شروط وأداب وسنن سنشير الى كثير منها قريباً ان شاء الله تعالى .

وعلى وجوب هذا النوع من الجهاد قام اجماع علماء المسلمين في كل عصر<sup>٦٧</sup> . ومع ان جمهور العلماء ذهبوا الى ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض من فروض الكفاية على جماعة المسلمين ، وليس فرضاً عينياً على كل مسلم<sup>٦٨</sup> ، الا ان بعض العلماء ذهبوا الى ان هذا الجهاد فرض عين على كل مسلم ، على قدر استطاعته ، ومن هؤلاء ابن حزم الظاهري رحمة الله تعالى فقد قال : ( الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

(٦٤) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٢ .

(٦٥) المرجع السابق .

(٦٦) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٢ ، والفصل في الملل والاهواء والتحل لابن حزم ج ٥ ص ١١ ، والارشاد الى قواطع الادلة في اصول الاعتقاد لامام العرمي ص ٣٦٨ ، وبستان العارفين ص ٥٢ .

(٦٧) انظر : احياء علوم الدين - المجلد الثاني ص ١١٨٧ ، وشرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢ ص ٤٣ ، والحسبية في الاسلام ص ٦٣ .

فرضان على كل أحد ، على قدر استطاعته : باليد ، فمن لم يقدر فلبسانه ، فمن لم يقدر بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ، ليس وراء ذلك من الإيمان من شيء )<sup>٦٨</sup> .

ودليل الجمهور قوله عز وجل : ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون )<sup>٦٩</sup> ، فالمطلوب شرعاً أن تقوم أمة من المسلمين بهذا الواجب .

كذلك قاسوه على الجهاد بالسيف الذي هو في حقيقته نوع من أنواع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر )<sup>٧٠</sup> ، فقاوسوا العام وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على الخاص وهو القتال بالسيف ، ومن المعلوم ان هذا الاخير فرض كفاية على المسلمين عندما لا يكون نفير عام يعلنه الامام او تقتضيه الظروف .

وأما الذين قالوا بوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم بحسب استطاعته ، فقد استدلوا بالحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهو قوله : ( من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فلبسانه ، فان لم يستطع بقلبه ، وذلك أضعف الإيمان ) ، فهذا أمر صريح لكل من يرى منكراً ، وهو يقتضي وجوب الانكار على كل مسلم بقدر ما يستطيع . ومن هذا الفريق من تأول قوله تعالى : ( ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير . . . ) بان (من) للبيان ، وليس للتبسيط ، فيكون المعنى : أريد منكم أن تكونوا أمة داعية إلى الخير وأمرة بالمعروف ونافية عن المنكر )<sup>٧١</sup> ، كما تقول : أريد منك رجلاً شجاعاً ، أي أريد أن تكون شجاعاً .

(٦٨) انظر : المحل طبع دار الاتحاد العربي للطباعة لعام ١٩٦٧ م - ١٢٨٧ هـ ج ١ ص ٢٢ . وتفسير المغار ج ٤ ص ٢٦ ، ودليل الفالجع ج ١ ص ٤٦٢ ، زاد المسير لابن الجوزي ج ١ ص ٤٣٤ .

(٦٩) آل عمران - الآية ١٠٤ .

(٧٠) الحسبة لابن تيمية ص ٦٣ .

(٧١) انظر : دليل الفالجع ج ١ ص ٤٦٢ ، تفسير المغار ج ٤ ص ٢٧ ، زاد المسير ج ١ ص ٤٣٤ .

وعلى أية حال فالشقة ليست بعيدة بين الفريقين ، فانهم أجمعوا على وجوب الحد الادنى من انكار المنكر ، وهو الانكار بالقلب ، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام ( وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل ) <sup>(٧٢)</sup> . ولعل الراجح هو القول بوجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وجوباً عينياً على كل مسلم ، بقدر استطاعته :

ذلك ان سكوت المسلم عن اشاعة المعروف الذي يعرفه ، وتعليم أمور الدين للناس الجاهلين ، اعتماداً على أن غيره قد يقوم بذلك قد يؤدي الى تفويت كثير من الغير على جماعة المسلمين ، وكتمان هدى الله عز وجل ، والله تبارك وتعالى يقول : ( ان الذين يكتمون ما انزلنا من البيانات والهدى من بعد ما بناه للناس في الكتاب ، اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ) <sup>(٧٣)</sup> ، وقد نص العلماء على ان كتمان العلم والهدى من الكبائر <sup>(٧٤)</sup> .

وأما المنكر فالمطلوب ازالته اذا وقع ، والحلولة دون وقوعه اذا علم العزم عليه . وهنا يجب على كل من رأه أو علم به أن يسارع الى محاولة ازالته او منع وقوعه ، ولا يجوز التفاسع عن ذلك ركونا الى الآخرين ، اذ قد يؤدي ذلك الى عدم الانكار بالكلية ، وفوات الامر على غير وجه شرعي . ولكن تترتب مسؤولية محاولة الحلولة دون وقوع المنكر او استمراره ، بمجرد رؤيته او العلم به على الرأي له او العالم به ، وعليه ان يشرع في محاولة الانكار ، فاذا توجه غيره للنهي عن هذا المنكر ، فلا يسقط عنه وجوب النهي عنه حتى يرى ان غيره قد تمكن من ازالته ، او حال دون وقوعه ، فان لم يجد نهي غيره عن المنكر ، فيجب عليه هو ان ينهى . وهكذا يجب على كل من يعلم ويسمع ما دام المنكر موجوداً وان قام بالنهي كثير من المسلمين .

(٧٢) انظر تغريج الحديث في ص ١٧١ .

(٧٣) البقرة - الآية ١٥٩ .

(٧٤) انظر : كتاب الكبائر للذمي من ١٥٧ .

لهذا فانا نرى أن فرض الكفاية هو تحقيق المعروف وازالة المنكر من بين جماعة المسلمين ، وليس مجرد الامر والنهي ، واما هذان فهما فرض عين على كل قادر عليهما حتى يتحقق المقصود ٠

واما القياس على القتال فهو قياس مع الفارق ، لان القتال فريضة تنفذ بطريقة جماعية ، ولو تفرغ لها جميع المسلمين لتعطلت امور المعاش ولم يتفرغ أحد للقيام بالمصالح الاخرى الالزمة للأمة ، وتكون النتيجة تعطيل الجهاد بسبب تعطيل الاسباب التي تساعد عليه <sup>(٧٥)</sup> ٠ وأما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فقد ينفذ بطريقة جماعية ، او بطريقة فردية ، ولا يترتب على شموله لكل مسلم قادر عليه اية مفسدة جماعية . فاذا كان كذلك ، وكانت النصوص تدل في عمومها على الوجوب العيني فلا داعي للقول بالوجوب الكفائي ٠

ولهذا يقول ابن قيم الجوزية : ( والتحقيق ان جنس الجهاد فرض عين : اما بالقلب واما باللسان ، واما بالمال واما باليد ، فعلى كل مسلم ان يجاهد بنوع من هذه الانواع ، واما الجهاد بالنفس ففرض كفاية ٠ ٠ ٠ ) <sup>(٧٦)</sup> . ويمكن ان يضاف على ما ذكر ابن القيم ان الواجب بما ذكر من انواع الجهاد دون الجهاد بالنفس هو ما يقدر عليه المسلم منها ، وليس مجرد التخيير بينها ، لان حديث الرسول صلى الله عليه وسلم فيه ترتيب وجوب الجهاد بأحد تلك الانواع على القدرة عليه ، ولم يقل فيه : من رأى منكم منكرا فليغیره اما باليد واما باللسان واما بالقلب ٠

### قواعد وآداب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

لقد عني بعض العلماء بذكر واستنباط أحكام هذه الفريضة بصورة تفصيلية ومن هؤلاء ، الماوردي وابو يعلي في كتاب «الاحكام السلطانية» ، والامام الغزالى في «احياء علوم الدين» ، وابن تيمية في كتاب «الحسبة

(٧٥) المبسوط ج ١٠ ص ٣ ، مفتى المحتاج ج ٤ ص ٢٠٩ ٠

(٧٦) زاد المعاد ج ٢ ص ٥٨ ٠

في الاسلام » وابو بكر الخلال في كتاب « الامر بالمعروف والنهي عن المنكر » ، وابن حزم في « المعلى » و « الفصل » ، وغيرهم ٠

الا اننا نذكر هنا أهم القواعد والمبادئ العامة والآداب التي تتحكم الطريقة التي تقام بها هذه الفريضة الهامة ٠ وللقارئ ان يرجع ، اذا اراد التفصيل الى تلك المراجع المذكورة ٠

وأهم هذه القواعد والآداب ما يلي :

١ - بما أن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد فيه بذل جهد ومشقة فينبغي على المسلم أن يوجه هذا الجهد الى اصلاح القضايا الاكثر أهمية (٧٧) والغرق الاعظم اتساعا ، وأصول الفساد والمنكر ، ولا يحسن به أن يصرف همه وجهه ووقته كله في علاج الجزئيات والفروع البسيطة ، اذا كان فسادها ناشئا عن فساد أصل من الاصول ٠

وعندما يصطلح الناس او يربون على ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فضول وتعذر على حريات الآخرين ، ويجد هذا الاتجاه دعما واضحا وحماية كاملة من العكام ، فيحاسب ويجازى بالشر كل مسلم يدعو الى الغير او يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بحجة التعدي على حريات الآخرين ، فانه لا يجدي كثيرا معالجة الفروع والجزئيات ولا بد من ان تتوجه الجهود الى ازالة المنكر الاكبر ، وهو عزوف الناس ، وخاصة حكامهم عن حكم ربهم وطاعته ، وضعف عقيدتهم ويقينهم بالله واليوم الآخر ، واسناد امورهم الى جهالهم وضلالهم (٧٨) ٠

وعندما يجهل الناس معنى الركن الاول من اركان الدين ، ولا يعرفون مقتضيات ( لا اله الا الله محمد رسول الله ) ، ولا حقوقها ، فينبغي أن تصرف معظم الجهود الى تجلية معنى هذه الكلمة الطيبة وبيان حقوقها ومقتضياتها في حياة الناس ٠ ويفيد ذلك ان بعض المفسرين

(٧٧) انظر : احياء علوم الدين ، المجلد الثاني ص ١١٩٩ ٠

(٧٨) انظر : كتاب « الدعوة الاسلامية فريضة شرعية وضرورة بشرية » ، ص ٣٩ ٠

قد فسروا المعروف الذي يجب على أمة الاسلام ان تأمر به بأنه اليمان بالله ورسوله والعمل بشرائطه ، وفسروا المنكر الذي يجب على أمة الاسلام أن تنهى عنه بأنه الشرك بالله وتكذيب رسوله والعمل بما نهى عنه ، فقد روى ابو جعفر الطبرى عن ابن عباس رضي الله عنهمَا في معنى قوله تعالى ( كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر . . . ) انه قال : ( تأمرن بهم بالمعروف أن يشهدوا أن لا اله الا الله والاقرار بما أنزل الله ، وتقاتلونهم عليه ، ولا اله الا الله هو أعظم المعروف وتنهونهم عن المنكر ، والمنكر هو التكذيب ، وهو أنكر المنكر ) <sup>(٧٩)</sup> .

ففي هذه الاحوال التي يتخد فيها الاسلام مهجورا ، لا يجدي الا الجهاد بالدعوة الى الله عز وجل ، والى الشهادتين ، والى حكم الاسلام ، وطاعة الله واتباع الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتوحيد الله في الربوبية والانواعية ، وفي أسماء الجلال وصفات الكمال .

على أن هذا لا يعني اهمال العزائم والافروع ، ولكن عملية الاصلاح فيها تأتي بعد اصلاح العقيدة ، فلا يبدأ بها مع الناس الذين فسدة عقائدهم ، وهم أكثر بكثير من بقي لهم عقائد سليمة في المجتمعات الجاهلية .

كذلك فان الدعوة انفسهم يجب عليهم ان يمارسوا عملية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عن جميع ابعادها فيما بينهم ، فيتوافقوا بالمعروف ، ويتناهوا عن المنكر ، ويأخذوا أنفسهم بكل فرض وكل ادب وكل سنة وردت في كتاب الله او في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

كذلك يمكن توجيه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى الناس الذين ما زالت عقائدهم سليمة ، ولكنهم تأثروا بالجاهلية في بعض نواحي

<sup>(٧٩)</sup> تفسير الطبرى ج ٧ ص ١٠٥ .

السلوك ، فيمكن تذكيرهم بالحق والصواب والمعروف لعلهم يصححون أنفسهم ويتأهلون للدعوة إلى الله عز وجل ٠

ولكن المطلوب من الغيورين على دينهم أن يوجهوا جهودهم لما يكون أكثر جدوى في سدمنافذ المنكر ، وان يستغلوا بالاهم ، ويعنوه النصيب الاكبر من اهتمامهم ٠

يقول العز بن عبد السلام ، رحمة الله تعالى في بيان درجات الوسائل الموصلة إلى المصالح : ( يختلف اجر وسائل الطاعات باختلاف فضائل المقاصد ومصالحها ، فالوسيلة إلى المقاصد أفضل من سائر الوسائل ، فالتوسل إلى معرفة الله تعالى ومعرفة ذاته وصفاته أفضل من التوسل إلى معرفة أحكامه ، والتوسل إلى معرفة أحكامه أفضل من التوسل إلى معرفة آياته ، والتوسل بالسعي إلى الجهاد أفضل من التوسل بالسعي إلى الجماعات ، والتوسل بالسعي إلى الجماعات في الصلوات المكتوبات ٠٠٠٠ وكثما قويت الوسيلة في الاداء إلى المصلحة كان أجرها أعظم من أجر ما نقص عنها ، فتبليغ رسالات الله من أفضل الوسائل ، لأدائه إلى جلب كل صلاح دعت إليه الرسل ، والى درء كل فاسد زجرت عنه الرسل ، والانذار وسيلة إلى درء مفاسد الكفر والمعصيان ، والت بشير وسيلة إلى جلب مصالح الطاعة والإيمان . وكذلك الامر بالمعروف وسيلة إلى تحصيل ذلك المعروف المأمور به ، رتبته في الفضل والثواب مبنية على رتبة مصلحة الفعل المأمور به في باب المصالح: فالامر بالإيمان أفضل أنواع الامر بالمعروف ، وكذلك الامر بالفرائض أفضل من الامر بالتوافق ، والامر بامانة الاذى عن الطريق من ادنى مراتب الامر بالمعروف ٠٠٠٠ ) (٨٠) ٠

ويقول ايضا في بيان درجات الوسائل المؤدية إلى المفاسد: (٠٠٠٠٠ و هكذا تختلف رتب الوسائل باختلاف قوة ادائها إلى المفاسد ٠٠٠٠ وكذا النهي عن المنكر وسيلة إلى دفع مفسدة ذلك المنكر المنهي عنه ورتبته في الفضل

والثواب مبنية على رتبة درء مفسدة الفعل المنهي عنه في باب المفاسد ثم تترتب رتبه على رتب المفاسد الى ان تنتهي الى أصغر الصغار ، فالنهي عن الكفر بالله افضل من كل نهي في باب النهي عن المنكر ٠ ٠ ٠ (٨١) ٠

ويضرب الامام ابو حامد الغزالى رحمة الله مثلاً لمن يشتغل بالاقل أهمية ويترك الامور الخطيرة ، فيقول : ( فمن غصب فرسه ولجام فرسه ، فاشتغل بطلب اللجام وترك الفرس ، نفرت عنه الطباع ، ويرى مسيئا ) (٨٢) ٠

٢ - فاذا علم ذلك ، فينبغي لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ان ينوي في ذلك وجه الله تعالى ، و يجعل نيته خالصة له سبحانه ، وان يقصد بعمله هذا أن تكون كلمة الله هي العليا ، وأن يكون الله عز وجل هو المطاع في الارض ، وان يحرر نفسه عند العزم على القيام بهذا العمل من آية نية أخرى ، ويعبر نيته من جميع حظوظه الشخصية (٨٣) ٠ فان الله تبارك وتعالى يقول فيما أخبر عنه الرسول عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي : ( أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه غيري ، فأنا بريء منه ، وهو كله للذى أشرك ) (٨٤) ٠

٣ - وبعد الاخلاص في هذه الفريضة يشترط أن تقام على وجه الصواب ، فان أحسن العمل الذي ذكره الله تعالى في قوله « ليبلوكم أياكم أحسن عملاً » (٨٥) هو كما قال الفضيل بن عياض : أخلصه وأصوبه ٠ فاذا كان العمل خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً ، والخلص ، كما تقدم ، هو أن يكون في سبيل الله تعالى ، والصواب أن يكون على الوجه الشرعي ، وهو الوجه الذي بينه الله ورسوله ٠

(٨١) قواعد الاحكام ج ١ من ١٢٨ ٠

(٨٢) احياء علوم الدين ، المجلد الثاني ص ١١٩٩ ٠

(٨٣) انظر : الحسبة ص ٧١ ، ٧٢ ، وتنبيه الغافلين ص ٣٤ ٠

(٨٤) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١١٥ ٠

(٨٥) هود - الآية ٧ ، والملك - الآية ٢ ٠

وحتى يكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر صوابا لا بد أن يكون بعلم وفقه <sup>(٨٦)</sup> . قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح <sup>(٨٧)</sup> .

ويقول ابن حزم رحمة الله تعالى : ( الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرضان على الناس ، قال تعالى « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . وهذا متوجه الى العلماء بالمعروف وبالمنكر ، لانه لا يجوز أن يدعوا الى الخير الا من علمه ، ولا يمكن ان يأمر بالمعروف الا من عرفه ، ولا يقدر على انكار المنكر الا من ميزة <sup>(٨٨)</sup> .

ثم ان هنالك أمورا ظاهرة ومشهورة من الواجبات والمعرمات ، كالصلوة والصيام والزنا والغمر والربا ، ونحوها ، فكل المسلمين علماء بها ، واما اذا كان الامر من دقائق الافعال والاقوال ، فالامر بالمعروف منه والنهي عن المنكر منه هو من اختصاص العلماء <sup>(٨٩)</sup> .

٤ - ومن الصلاح في القيام بهذا الجهاد أن يكون القائم به رفيقاً بمن يأمره وبمن ينهاه ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما كان الرفق في شيء الا زانه ، ولا كان العنف في شيء الا شانه » <sup>(٩٠)</sup> . وقال أيضا : ( ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله ، ويعطي عليه مالا يعطي على العنف ) <sup>(٩١)</sup> .

(٨٦) الحسبة في الاسلام ص ٧٢ ، تبیه الفاقلين ص ٣٤ ، شرح النووي على مسلم ، ج ٢ ص ٢٢ .

(٨٧) الحسبة ص ٧٢ .

(٨٨) الاحکام في اصول الاحکام لابن حزم ج ٥ ص ٦٩٤ .

(٨٩) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٣ .

(٩٠) الحسبة في الاسلام ص ٧٣ ، تبیه الفاقلين ص ٢٠٥ ، والحديث رواه مسلم عن عائشة ، انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٤٦ ، ١٤٧ . وانظر سنتن ابى داود ج ٢ ص ٥٥٤ .

(٩١) انظر : الحسبة في الاسلام ص ٧٣ ، وتبیه الفاقلين ص ٢٠٥ ، واصل الحديث في البخاري ومسلم ، انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٠ ص ٣٦٩ . وصحيح مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١٤٦ .

وقال سفيان الثوري رحمة الله تعالى : ( لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر الا من كان فيه خصال ثلاثة : رفيق بما يأمر ، رفيق بما ينهى ، عدل بما يأمر عدل بما ينهى ، عالم بما يأمر ، عالم بما ينهى )<sup>(٩٢)</sup>

وقال أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى : ( الناس يحتاجون الى مداراة ورفق في الامر بالمعروف ، بلا غلظة ، الا رجلا مبايننا معتنبا بالفسق والردى ، فيجب عليك نهيه واعلانه ، لانه يقال : ليس لفاسق حرمة ، فهذا لا حرمة له ) . وقال أيضا : ( كان اصحاب ابن مسعود اذا مرروا بقوم يرون فيهم ما يكرهون يقولون : مهلا رحمة الله )<sup>(٩٣)</sup>

ومن الرفق أن يراعي القائم بهذه الفريضة حرمة الناس ومشاعرهم ، فلا يفضحهم ، وانما يأمرهم وينهياهم بالرفق واللين وبدون تشهير بهم ، قال الامام الشافعي رحمة الله تعالى : (من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه ، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه )<sup>(٩٤)</sup>

الا انه يستثنى من ذلك من اختاروا فضح أنفسهم ، فجاءوا بمعاصيهم فهؤلاء لا بأس من أمرهم ونهيهم سرا وعلانية .

٥ - ومن الاخلاق التي يجب أن يتحلى بها الامر بالمعروف والناهي عن المنكر ، الحلم والصبر على الاذى الذي يلاقيه نتيجة أمره ونهيه ، فان من نصب نفسه لبيان الحق للناس ، ودعوتهم اليه ، يتعرض للاذى الكبير منهم ، فيكون ذلك ابتلاء له وامتحانا ، والابلاء والامتحان سنة الله فيمن يدعى الامان والعمل لله عز وجل ، قال تعالى : ( أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ولليعلمن الكاذبين )<sup>(٩٥)</sup>

فلا بد من يقوم بهذه الفريضة أن يكون حليما صبورا ، فانه ان لم يكن كذلك فربما يؤول اسلوبه الى الفساد اكثر من الاصلاح ، ولذلك

(٩٢) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من المذكرة ٩٦ ، ٩٧ .

(٩٣) المرجع السابق .

(٩٤) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٤ .

(٩٥) المذكرة - الآيات ٢ ، ٣ .

كانت وصية لقمان لابنه كما قال الله عز وجل : ( وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ  
الْمُنْكَرِ وَإِصْبَرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ، اَنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْاَمْرِ )<sup>(٩٦)</sup> ، فأوصاه  
بالصبر مع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . وكذلك فان الله سبحانه  
أمر رسليه ، وهم أئمه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصبر ، كقوله  
تعالى لخاتم رسليه : ( يَا أَيُّهَا الْمُدْرِرُ ، قَمْ فَأَنذِرْ ، وَرَبِّكَ فَكِبِرْ ، وَثَيَابِكَ  
فَطَهِرْ ، وَالرِّجْزَ فَاهْجِرْ ، وَلَا تَمْنَنْ تَسْتَكْشِرْ ، وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ )<sup>(٩٧)</sup> ،  
فأمره من بداية الطريق بالصبر مع الانذار ، الذي هو أمر بالمعروف  
الاكبر ، ونهي عن المنكر الاكبر <sup>(٩٨)</sup> .

أخرج الطبراني في الاوسط عن ابي جعفر الغطسي ان جده عمر  
ابن حبيب بن حماسة رضي الله عنه ، وكان قد ادرك النبي صلى الله  
عليه وسلم عند احتماله أوصى لولده ، فقال : يَا بْنِي اِيَّاكَ وَمَجَائِسَةَ  
السُّفَهَاءِ ، فَانْ مَجَالِسُهُمْ دَاءٌ ، وَمَنْ يَحْلِمُ عَنِ السَّفَهِيِّ يَسِرٌ ، وَمَنْ يَعْبُرَ  
يَنْدِمُ . . . وَإِذَا أَرَادَ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ أَوْ يَنْهَا عَنِ الْمُنْكَرِ  
فَلِيَوْطَنْ نَفْسَهُ عَلَى الصَّبْرِ عَلَى الْأَذْىِ ، وَيَثْقَبَ الشَّوَّابَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى ، فَانَّهُ  
مِنْ وَثْقَ الشَّوَّابِ مِنَ اللَّهِ عز وجل لم يضره مس الاذى <sup>(٩٩)</sup> .

٦ - وينبغي لمن يقوم بهذه الفريضة ان يكون عالما بأحوال الناس  
وظروفهم ، ليخاطبهم على قدر أحوالهم وطاقاتهم ، فيكون اسلوبه مع العالم  
غير اسلوبه مع الجاهل ، وطريقته مع العقلاء غير طريقته مع  
السُّفَهَاءِ <sup>(١٠٠)</sup> . يقول عباس العنبري : كُنْتُ مَارِا مَعَ ابْنِي عَبْدِ اللَّهِ  
بِالْبَصَرَةِ ، قَالَ : فَسَمِعْتُ رَجُلًا يَقُولُ لِرَجُلٍ : يَا ابْنَ الزَّانِيِّ ، فَقَالَ  
الْآخَرُ : يَا ابْنَ الزَّانِيِّ ، قَالَ : فَوَقَفْتُ وَمَضَى ابْوَ عَبْدِ اللَّهِ ، فَالْتَّفَتَ  
فَقَالَ : يَا ابَا الْفَضْلِ امْشْ ، قَالَ : فَقَلْتَ : قَدْ سَمِعْنَا ، قَدْ وَجَبَ عَلَيْنَا

(٩٦) لقمان - الآية ١٧ .

(٩٧) المدتر - الآيات ١ - ٧ .

(٩٨) انظر : الحسبة من ٧٣ ، ٧٤ ، وتنبيه الغافلين ص ٣٤ .

(٩٩) قال البيهقي عن هذا الخبر : رجاله ثقات ، وآخره أبو نعيم أيضا وأحمد في كتاب الزهد - ذكر ذلك  
ابن حجر في الاصابة - انظر حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٢٠ .

(١٠٠) الحسبة في الاسلام ص ٧٣ .

قال : امض ، ليس هذا من ذلك (١٠١) . فترك الامام احمد بن حنبل النهي عن المنكر لما رأى مرتكبيه على هذه الدرجة من العمق والسفاهة .

٧ - كذلك ينبغي لمن يريد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يغلب على ظنه عند القيام بهذه الفريضة أن المصلحة فيما يقوم به راجحة على المفسدة ، ولذلك قيل : ليكن أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر غير منكر . يقول ابن تيمية رحمة الله تعالى : ( وجماع ذلك داخل في القاعدة العامة فيما اذا تعارضت المصالح والمفاسد ، والحسنات والسيئات ، او تزاحمت ، فانه يجب ترجيح الراجح منهما ، ٠٠٠ . فان الامر والنهي وان كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة ، فينظر في المعارض له ، فان كان الذي يفوت من المصالح او يحصل من المفاسد اكثر ، لم يكن مأمورا به ، بل يكون محرما اذا كانت مفسدته اكثر من مصلحته) (١٠٢) .

الا انه ينبغي على المسلم أن يعذر عند الترجيح والاختيار وتقدير المصالح والمفاسد من أن يزن الامور بميزان مصالحه الخاصة ، وانما يجب عليه أن يزن بميزان الشريعة ، ويلتزم النصوص ، وينظر الى مصلحة الدعوة ، وكلمة الله عن وجل ، فالفساد ما صد عن سبيلها والاصلاح ما أسهم في رفعها .

٨ - وينبغي للمجاهد بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يتخلق بما يدعوه اليه وأن يتتجنب ما ينهى الناس عنه حتى يكون لكلامه أثر فيمن يأمرهم وينهائهم ، فقد قال الله تعالى : ( أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب ، أفلأ تعقلون) (١٠٣) ، وقال أيضا : ( يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ، كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) (١٠٤) . وعن أسمة بن زيد رضي الله عنهما قال : ( سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يؤتى بالرجل يوم

(١٠١) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لابي بكر الخلال من ١١٤ .

(١٠٢) الحسبة في الاسلام من ٦٦ .

(١٠٣) البقرة - الآية ٤٤ .

(١٠٤) الصد - الآياتان ٢ ، ٣ .

القيامة فيلقى في النار ، فتندلق أقتاب بطنه ، فيدور بها ، كما يدور الحمار في الرحمى ، فيجتمع اليه أهل النار ، فيقولون : يا فلان : مالك عالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى كنت أأمر بالمعروف ولا آتىه ، وأنهى عن المنكر وأتىه (١٠٥) .

ولقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا أراد أن ينهى الناس عن شيء يقدم الى أهله ويقول : لا أعلم أحدا وقع في شيء مما نهيت عنه الا اضعف له العقوبة (١٠٦) .

الا انه ينبغي أن يلاحظ في هذا المقام أنه لا يشترط في الامر والناهي أن يكون كامل الحال . وان عدم امثاله لما يقول ، ومخالفة قوله عمله لا يسقط عنه واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فان المعصية لا تبرر ترك الواجبات ، مهما كانت تلك المعصية . ومهما كانت الواجبات .

نعم ، يجب على المرء أن يأمر نفسه بالمعروف وينهاها عن المنكر قبل امر الناس ونهيهم ، حتى لا يواجهه الناس حال نفسه ويقولوا له : هلا أمرت نفسك قبل أن تأمرنا ونهيتها قبل أن تنهانا . ولكن عدم قيامه بهذا الواجب لا يجعل له عذرا في ترك غيره من الواجبات التي من أهمها امر الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر . فقد يكون لكلامه أثر في بعض الناس مما لا يكون لكلام غيره . فان النفوس تختلف في تقبل الوعظ باختلاف الوعاظين (١٠٧) .

٩ - لا يسقط عن المسلم المكلف واجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر بسبب ظنه أن هذا لا يفيد . بل يجب عليه القيام بالواجب ، وتذكير الناس فان الذكرى تنفع المؤمنين . وليس عليه هداية الناس ،

(١٠٥) متفق عليه - انظر الترغيب والترحيب ج ٢ ص ٢٣٣ .

(١٠٦) انظر : حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٢٠ .

(١٠٧) انظر : احياء علوم الدين - المجلد الثاني ص ١١٩٧ . وشرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٣ . حياة الصحابة ج ٢ ص ٧٢٠ .

فإن الله هو الذي يهدي من يستحق الهدى ، وهو الذي يمنع الهدى عن  
لا يستحقه ، وعلينا أن نقوم بواجباتنا ومسؤولياتنا ، وعلى الله سبحانه  
ال توفيق وتحقيق النتائج<sup>(١٠٨)</sup> . قال تعالى : ( وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لَمْ تَعْظُمْنَا<sup>(١٠٩)</sup>  
قُومًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مَعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ، قَالُوا : مَعْذِرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعْلَهُمْ  
يَتَقَوَّنُ<sup>(١١٠)</sup> .

نعم ، يجب على المسلم الداعية أن يتغير من يدعوهـم ويـامرـهم  
بـالـمعـرـوفـ وـيـنـهـاـمـ عـنـ الـمـنـكـرـ ، فلا يـصـرـفـ وـقـتـهـ وـجـهـهـ لـأـمـرـ وـنـهـيـ أـنـاسـ  
يـغـلـبـ عـلـىـ ظـنـهـ أـنـهـ لـاـ يـسـتـجـيـبـونـ لـهـ ، لـسـفـهـهـمـ مـثـلـاـ ، اوـ جـهـلـهـمـ اوـ شـدـةـ  
عـدـاـوـتـهـمـ ، اوـ اـشـتـغـالـهـمـ بـأـمـورـ الـدـنـيـاـ عـنـ سـمـاعـ الـهـدـىـ ، اوـ غـيرـ ذـلـكـ ،  
وـيـتـرـكـ فـرـصـةـ أـخـرـىـ تـتـيـحـ لـهـ دـعـوـةـ أـنـاسـ يـعـلـمـ مـنـهـمـ الـجـدـيـةـ فـيـ الـأـمـورـ ،  
وـالـحـرـصـ عـلـىـ الـحـقـ وـالـصـوـابـ . هـذـاـ اـذـاـ وـجـدـ تـعـارـضـ بـيـنـ قـيـامـهـ  
بـالـوـاجـبـيـنـ ، فـيـخـتـارـ مـاـ يـجـدـيـ وـيـتـرـكـ مـاـ يـغـلـبـ عـلـىـ ظـنـهـ عـدـمـ جـدـوـاهـ .  
وـأـمـاـ اـذـاـ تـمـكـنـ مـنـ الـقـيـامـ بـالـأـمـرـيـنـ مـعـاـ ، فـيـنـبـغـيـ أـنـ يـقـومـ بـهـمـاـ  
جـمـيـعـاـ<sup>(١١١)</sup> .

١٠ - كذلك لا ينبغي أن يصد المسلم بالامر بالمعروف  
والنهي عن المنكر خوف الناس ، وخوف أذاهم وفتنتهم ، او قرابتهم او  
صداقتهم ، او الخوف على مصالحه الدنيوية التي ارتبط بها معهم<sup>(١١٢)</sup> ،  
فإن المؤمنين الذين مدحهم الله عز وجل وصفهم بأنهم لا يغافون لومة  
لائم ، وقد تقدم قول الرسول عليه الصلاة والسلام فيمن قام إلى ظالم  
فأمره بالمعروف ونهاه عن المنكر ، فقتله ، وانه قام بأفضل الجهاد ،  
وانه سيد الشهداء .

ورد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : ( لا يحقرن أحدكم نفسه ، قالوا : يا رسول الله ، وكيف

(١٠٨) انظر : شرح التوسي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٣ .

(١٠٩) الأعراف - الآية ١٦٤ .

(١١٠) انظر : قواعد الأحكام ج ١ ص ١٢٤ .

(١١١) انظر : شرح التوسي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٤ .

يحق احدهنا نفسه ؟ قال يرى أن عليه مقالا ، ثم لا يقول فيه ، فيقول الله عز وجل يوم القيمة : ما منعك أن تقول في كذا وكذا ؟ فيقول : خشية الناس ، فيقول : فايادي كنت أحق أن تخشى ( ١١٢ ) .

فيجب على الداعية ان يوطن نفسه على تعلم الاذى ، وان يجعل انتصاره لربه ويترك الانتصار لنفسه : سئل أحمد بن حنبل عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر : كيف ينبغي أن يأمر ؟ قال : يأمر بالرفق والخضوع ، ثم قال له : ان أسمعوه ما يكره لا يغضب فيكون يريد أن ينتصر لنفسه . وروى ابو بكر الغلال عنه أنه قال: الذي يريد أن يأمر وينهى لا يريد أن ينتصر بعد ذلك ( ١١٣ ) .

ولا ينبغي أن يظن المؤمن أنه يذل نفسه بوضعها في مواضع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن يخشى أذاهم ، انما الدليل من يعرض نفسه للمهانة في سبيل عرض من أعراض هذه الدنيا الفانية ، سئل أحمد بن حنبل رحمة الله تعالى عن الرجل يأمر بالمعروف بيده ، فقال : ان قوي على ذلك فلا بأس به ، فقيل له : أليس قد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم : ( ليس للمؤمن أن يذل نفسه ) ( ١١٤ ) ، بان يعرضها من البلاء ملا طاقة له به ؟ قال : ليس هذا من ذاك ( ١١٥ ) ولكن الذي يتحمل أذى الناس في سبيل الله عز وجل ، فقد أعز نفسه في الحقيقة ولم يذلها .

١١ - يجب على من يأمر وينهى ان لا يحاول حمل الناس على اجتهاده وأرائه في الامور التي تتحمل الاجتهاد ، فان الامور الاجتهادية ليست محلا للقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها . وانما محلها ما كان متفقا عليه من الواجبات والنهيات الشرعية ، لأن كل مجتهد ، بالشروط الشرعية ، مأجور عند الله تعالى ، اذا خلصت نيته لربه . وكثير من الاصوليين ذهبوا الى القول بان كل مجتهد مصيبة ، وقال

( ١١٢ ) رواه ابن ماجه ورواته ثقات . انظر الترغيب والترحيب ج ٢ ص ٢٢٧ .

( ١١٣ ) اي ينتصر لنفسه ، اما الانتصار للدين عندما تنتهك حرمات الله فهذا من صفات النبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد في السنة انه عليه الصلة والسلام لم يكن يغضب الا ان تنتهك حرمات الله .

( ١١٤ ) اخرجه الترمذى وابن ماجه في كتاب الفتن بلفظ « لا ينبغي للمؤمن ان يذل نفسه » .

( ١١٥ ) الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يبي بكر الغلال ص ٩٤ .

آخرون : ان المصيب في الواقع واحد ، ولكن المخطيء غير متعين ، وهو غير أثم ، بل له اجر كما ورد في بعض الاحاديث الصحيحة .

فلا يجوز ، اذن ، التعرض للناس في هذه الامور الاجتهادية . نعم يجوز لمن ترجم عنده مذهب من المذاهب في قضية من القضايا او حكم من الاحكام ان يدل غيره على ادلة الترجيح وان ينده الى الراجح على سبيل النصيحة (١١٦) .

الا انه لا يدخل في الامور الاجتهادية تلك الاحكام التي ضعف فيها الخلاف بحيث يتفق معظم العلماء المعتبرين على امر من الامور ، ويظهر بعد ذلك رأي شاذ يخالف ذلك الرأي ، وخاصة اذا كان هذا الرأي الشاذ ذريعة للدخول في العرام المتفق عليه عند العلماء ، كربا الفضل ، فان الغلاف فيه ضعيف ، وهو وسيلة الى ربا النساء المتفق على تعريرمه ، ومثل نكاح المتعة ، فانه ربما صار ذريعة الى استباحة الزنا ، فيجب انكاره كالرنا (١١٧) .

١٢ - لا يجوز لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ان يتبعس على الناس ويقتحم دورهم بالظنون ، فانه لا يجوز ارتكاب المحرمات من اجل القيام بفرضية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الا اذا كان المنكر المتوقع من الجرائم التي لو وقعت لم يمكن تداركها (١١٨) ، لأن القاعدة الاسلامية تقرر ان من ستر على نفسه بعد ارتكابه المحرم لم يجز هتك ستره ، فان ابدى جريمته كانت له عقوبة رادعة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( من أتى من هذه القاذورات شيئاً فليستر بستر الله تعالى ، فانه من يبد لنا صفتته نقم عليه ) (١١٩) . جاء في الاحكام السلطانية : ( ليس للمحتسب ان يبحث عما لم يظهر من المحرمات ، فان غالب على الظن استسرار قوم بها ، لاما رأى دلت وآثار ظهرت فذلك ضربان :

(١١٦) انظر : شرح الترمذ على صحيح مسلم ج ٢ من ٢٢ ، واحياء علوم الدين ، المجلد الثاني من ١٢٢٩ .

(١١٧) انظر : الاحكام السلطانية لابن يعلي من ٢٩٧ ، والاحكام السلطانية للمعاوردي .

(١١٨) الاحكام السلطانية لابن يعلي من ٢٩٦ ، احياء علوم الدين ج ٢ من ١٢١٨ .

(١١٩) الموطا ص ٥١٦ ، التدشين العبر ج ٤ من ٥٧ .

أحد هما : ان يكون ذلك في انتهاك حرمة يفوت استدراكمها ، مثل ان يخبره من يثق بصدقه ان رجلا خلا برجل ليقتلته ، او بامرأة ليزني بها ، فيجوز له في مثل هذه الحال ان يتتجسس ويقدم على الكشف والبحث حذرا من فوات مالا يستدرك من انتهاك المحارم وارتكاب المحظورات ٠٠٠ والضرب الثاني : ما كان دون ذلك في الريبة ، فلا يجوز التجسس عليه ولا كشف الاستار عنه )١٢٠( .

١٣ - يكون الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، اذا روعيت القواعد والآداب السابقة بقدر ما يستطيعه المسلم : فان استطاع ذلك بيده كان هذا هو الواجب في حقه فان كان عاجزا عن التغيير باليد ، وكان بقدوره النهي باللسان ، كان ذلك فرضا عليه ، والا فيجب عليه الانكار بالقلب وكراهة المنكر ، وهذا في ملك كل انسان ، ولذلك فانه لا يسقط عن أحد .

وانما وجب هذا على كل مسلم ، لان الاصل ان تكون محبة المسلم وبغضه وارادته لهذا الشيء وكراحته لذاك موافقة لحب الله وبغضه وارادته . فهذا عمل القلب لا يقبل منه الا هذا القدر . واما تسخير الجوارح لفعل المحبوب ودفع المكره فيكلف به المسلم بقدر استطاعته ، لان الله لا يكلف نفسا الا وسعها )١٢١( .

هذا وقد ذكر الامام الفزالي درجات تنفيذية للامر بالمعروف والنهي عن المنكر يحسن تلخيصها في هذا المقام )١٢٢( ، وقد جعلها ثمانى درجات :

الاولى : درجة التعرف ، وهو طلب المعرفة بجريان المنكر ، وقد علمت ان مصدر التعرف لا يجوز أن يكون التجسس ، وانما الجائز وصول الخبر اليه من غير تجسس : اما باخبار عدول او بالرواية او بالسماع ٠

(١٢٠) انظر : الاحكام السلطانية لابي يعلي ص ٢٩٦ ، والاحكام السلطانية للماوردي ص ٢٥٢ .

(١٢١) الحسبة لابن تيمية ص ٦٨ ، ٦٩ ، احياء علوم الدين ، المجلد ٢ . ص ١٢٠٨ .

(١٢٢) انظر تفصيلها في احياء علوم الدين - المجلد الثاني من ١٢٢٦ وما بعدها .

الثانية : وهي درجة التعريف : ذلك ان كثيرا من الذين يقدمون على فعل المنكر يفعلون ذلك عن جهل ، فينبغي ان يبدأ بهذه الدرجة ، فقد تكفي في ازالة المنكر ، ولا يحتاج الى غيرها .

الثالثة : درجة الوعظ والتصح والتخييف باهـ تعالـى وصفاته وايامه : وهذه لا تكون الا مع من عرف على المنكر ، فاـ صـرـ عـلـيـهـ بـعـدـ انـ عـرـفـ كـوـنـهـ مـنـكـراـ ،ـ فـيـجـبـ اـنـ يـوـعـظـ وـتـوـرـدـ عـلـيـهـ الـاـخـبـارـ الـوـارـدـةـ فـيـ الـوـعـيـدـ عـلـىـ مـاـ اـقـدـمـ عـلـيـهـ مـنـ مـنـكـرـ ،ـ وـيـذـكـرـ بـالـيـوـمـ الـآـخـرـ وـمـاـ فـيـهـ مـنـ عـذـابـ لـمـ عـصـىـ اللهـ تعالـىـ ،ـ وـحـسـنـ الـثـوـابـ لـمـ تـابـ وـاـصـلـحـ .ـ وـيـكـوـنـ ذـلـكـ كـلـهـ بـالـلـطـفـ وـالـشـفـقـةـ مـنـ غـيرـ عـنـفـ وـغـضـبـ .ـ وـيـنـبـغـيـ لـلـمـسـلـمـ وـهـ يـقـوـمـ بـهـذـهـ الـدـرـجـةـ اـنـ لـاـ يـتـعـالـىـ عـلـىـ النـاسـ وـاـنـ لـاـ يـشـعـرـهـ اـنـ اـحـسـنـ مـنـهـ وـاـعـلـمـ ،ـ حـتـىـ لـاـ يـنـفـرـوـاـ مـنـهـ وـلـاـ يـقـيـمـوـاـ وـزـنـاـ لـكـلـامـهـ وـنـصـحـهـ .ـ

الرابعة : وهي درجة التعنيف بالقول الغليظ الخشن ، و تكون هذه الدرجة بعد العجز عن درء المنكر بسابقتها ، وبعد ظهور الاصرار على المنكر والاستهزاء بالوعظ والتعريف . الا انه ينبغي ان يلاحظ في هذه الدرجة ان لا يتكلم المسلم بالفحش ، وان لا يقع في القذف ، فيجب عليه ان لا ينطق الا بالصدق ، وان لا يسترسل فيها ، فيطلق لسانه الطويل بما لا يحتاج اليه ، بل يقتصر على الحاجة . و من ذلك قول ابراهيم عليه السلام : ( اف لكم ولما تعبدون من دون الله ، افلا تعقلون )<sup>(١٢٣)</sup> . ويدخل في هذه الدرجة اظهار الغضب والاحتقار والازدراء بفاعل المعصية .

الخامسة : درجة التغيير باليـدـ ،ـ كـسـرـ مـعـلـ المـعـصـيـةـ ،ـ اوـ اـرـاقـتـهـ اوـ خـلـعـهـ اوـ اـرـغـامـ العـاصـيـ علىـ تـرـكـ مـعـصـيـتـهـ بـالـدـفـعـ اوـ الـاـخـرـاجـ اوـ نـعـوـ ذلكـ ،ـ وـيـنـبـغـيـ انـ لـاـ يـلـجـأـ اـلـىـ هـذـهـ الـدـرـجـةـ الاـ بـعـدـ الـيـأسـ مـنـ الـدـرـجـاتـ السـابـقـةـ .ـ وـاـذـ لـجـأـ اليـهـ فـيـجـبـ الـاـقـتـصـارـ عـلـىـ قـدـرـ الـحـاجـةـ مـنـهـ ،ـ وـعـدـمـ

الاسترسال فيها ، وعدم استعمال الاساليب المهينة المذلة المستخرجة  
للحقد .

السادسة : درجة التهديد والتخويف بما يجوز التهديد به ، كقوله :  
لأكسرن رأسك ، او لأضربن رقبتك ، او لامرن بك وما اشبه ذلك . ولكن  
لا يجوز التهديد بما يحرب التهديد به ، كالتهديد بضرب ولده او أخذ  
زوجته او نهب داره او سرقة ماله ، فان كان هذا كافيا في الزجر عن  
العصبية لم يليجا الى الضرب . وله ان يزيد في الوعيد على ما هو في عزمه  
وليس ذلك من الكذب المعدور .

السابعة : مباشرة الضرب باليد والرجل وغير ذلك مما ليس فيه  
شهر سلاح ، وهذا جائز للافراد بشرط الضرورة والاقتصار على قدر  
العاجة في الدفع ، فاذا اندفع المنكر فلا يجوز الاستمرار فيه .

الثامنة : ان يعجز الشخص عن تغيير المنكر بمفرده ، وانما يحتاج  
لتغيير الى اعوان يشهرون السلاح .

الا ان هذه الدرجة وقع خلاف في جوازها للافراد من غير اذن الامام  
المسلم ، فذهب جماعة الى عدم الجواز بغير اذن الامام ، لان الفاسق قد  
يستمد باعوانه ويؤدي ذلك الى ان يتقابل الصفان ويتقاتلا ، فتكون  
فتنة .

ولكن الامام الغزالي رجع الرأي الآخر ، وهو جواز الاستمداد  
باعوان وشهر الاسلحة في وجه العصاة والفاسين ، اذا كان لا بد من هذا  
الاسلوب في النهي عن المنكر وقال : ( لانه اذا جاز للآحاد الامر بالمعروف  
والنهي عن المنكر واوائل درجاته تجر الى ثوان ، والثوانى الى ثوالث ،  
وقد ينتهي لا محالة الى التضارب ، والتضارب يدعوا الى التعاون ، فلا  
ينبغي ان يبالي بلوازم الامر بالمعروف ، ومنتهاه تجنيد الجنود في رضا الله  
ودفع معاصيه ، ونحن نجوز للآحاد من الغزارة ان يجتمعوا ويقاتلوا من  
أرادوا من فرق الكفار ، قمعا لاهل الكفر ، فكذلك قمع اهل الفساد  
جائز ، لان الكافر لا يأس بقتله ، والمسلم ان قتل فهو شهيد ، فكذلك

الفاسق المناضل عن فسقه لا بأس بقتله ، والمحتسب المحق ان قتل مظلوما  
 فهو شهيد (١٢٤) .

١٤ - واذا عجز المسلم عن الانكار باحدى الدرجات السابقة ، كان عليه ان ينكر المنكر بقلبه ، بحيث يعلم الله سبحانه وتعالى منه انه كاره لما رأى من المنكر . غير أنه لا يكتفي منه بمجرد الكره بالقلب ، وانما ينبغي ان يصاحب ذلك مقاطعة اهل المنكر . واجتناب مجالسهم التي يقتربون فيها الاثم ، لأن هذا من ثمرات الكره الذي يطوي عليه قلبه للمنكر ، والا فليس كارها للمنكر ولا منكرا له بقلبه من يشارك اهل المنكر . فيؤكلهم ويشاربهم ويجالسهم . ومجالسهم لا تخلو من معصية الله عز وجل ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم ، فلم ينتهوا ، فجالسوا في مجالسهم . وواكلوهم وشاربوا هم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مرريم ذلك بما عصوا وكانتوا يعتدون ) (١٢٥) .

١٥ - لا يشترط في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ان يكون ماذونا فيه من جهة العاكم ، لأن الآيات والاخبار التي تقدم ذكرها تدل على أن كل من رأى منكرا فسكت عليه فقد عصى . فيجب النهي عن المنكر على كل من رأاه ، ولا يغتصب ذلك بالتفويض من الامام (١٢٦) .

والاخبار تدل على وجوب نصح الحكام وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر فكيف يشترط اذنهم في القيام بهذه الفريضة ؟

ومن جهة اخرى فقد كانت عادة السلف جهاد الأئمة والانكار عليهم اذا صدر منهم ما يستوجب الانكار . وقد تقدم ذكر ما كان من رجل عندما رأى مروان بن الحكم يريد ان يقدم الغطبة قبل صلاة العيد ، فقد أنكر عليه . وما كان من موقف الصحابي ابي سعيد الخدري رضي

(١٢٤) احياء علوم الدين . المجلد الثاني . من ١٢٣٣ .

(١٢٥) اخرجه الترمذى في كتاب التفسير .

(١٢٦) انظر احياء علوم الدين . مجلد ٢ . من ١٢٠١ . وشرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٢٣ .

الله عنه من دعم موقف ذلك الرجل بما ورد عن الرسول عليه الصلاة والسلام في وجوب تغيير المنكر باليد او باللسان او بالقلب . ففهم اولئك السلف من احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والآيات الواردة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر انه حق لكل مسلم ، من غير اشتراط اذن الامام ، وسندذكر ، ان شاء الله تعالى ، بعض المواقف التي وقفها اولئك السلف من الحكام عندما كانوا يرون منهم منكرا او غفلة عن معروف .

١٦ - واكثر الناس مسؤولية عن القيام بواجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر هم اولو الامر ، وهم العلماء والامراء ، لان معنى اولى الامر اصحابه ، وهم الذين يأمرن الناس ، ويشتركون في هذا الوصف اهل اليد والقدرة ، واهل العلم ، ويدخل فيه كل من كان متبعا ، فالحاكم والعالم والقائد والامير ورب الاسرة وكل صاحب ولاية على غيره هو من اولى الامر ، فيجب عليهم ان يأمروا بما امر الله به ، وينهوا عما نهى عنه (١٢٧) .

ولذلك قال بعض العلماء : انه يجب على كل حاكم مسلم ان يتصلب في كل بلد رجلا قويا وامينا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الحدود ولا يتعدى الشرع ، وله ان يضرب تعزيرا (١٢٨) .

١٧ - واذا كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبا على كل مسلم يرى منكرا فانه في الوقت نفسه حق لكل مسلم في دولة الاسلام ، ولا يجوز ل احد ، حاكما كان او محكوما ، ان ينكر هذا الحق او يعطله او يقف في طريق من يمارسه على الوجه الشرعي ، حتى ذهب بعض العلماء الى انه لا يجوز شرعا ان يقول شخص لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر : انت فضولي ، وقالوا : يخشى على من يقول مثل هذا الكلام للأمر بالمعروف او الناهي عن المنكر . وذلك اذا

(١٢٧) الحسبة ص ١٠٤ .

(١٢٨) انظر : تحقيق عبد القادر عطا على كتاب ابي بكر الغلال في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ص ٩٤ ، نقل عن مخطوط الكنز الاكبر للبيهقي ورقة ٧٨ .

قصد بقوله هذا انكار هذا الحق الذي منعه الله لكل مسلم في المحافظة على الشرع ومقاومة المنكر والفساد والفسق عن امر الله تعالى (١٢٩) .  
ومن هنا لا يصح في مجتمع الاسلام ان يفعل المنكر تحت ستار العربية الشخصية ، ولكل فرد في هذا المجتمع ان يمنع مثل هذا المنكر ، وليس هذا من باب الاعتداء على حریات وحقوق الآخرين ، لأن المعصية لا يقتصر ضررها على فاعلها وإنما يمتد ليشمل جميع افراد المجتمع الذي اتفق على طاعة الله ، وتجمع على الاخذ بأمره والانتهاء عما نهى سبحانه عنه .

١٨ - هذا وان اشرف انواع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وأعظمها خطرا وأوفرها خيرا على الامة ، وأجرا على المخاده هو التصدي للحكام الظالمين وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، لأن فساد العاكم ليس كفساد غيره من الناس فان فساده معناه فساد الرعية ، وصلاحه صلاحها ، وكذلك العلماء ، وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : ( صنفان من الناس اذا صلحا صلح الناس ، وإذا فسدا فسد الناس : العلماء والامراء ) (١٣٠) . وسئل ابو بكر الصديق رضي الله عنه : ما بقاونا على هذا الامر ؟ فقال : ما استقامت لكم ائمتك (١٣١) .

### جهاد الظلمة والعصاة من حكام المسلمين :

واما كيفية جهاد الامراء والحكام ، فيكون بوعظهم ونصحهم وتدكيرهم بواجباتهم ، وما حملوا من الامانة ، وما يكون على تضييعها من العذاب العظيم عند الله سبحانه ، وبيان ما يقعنون فيه من الخطأ او المعصية او الظلم ، وتعريفهم به ، والانكار عليهم .

ولكن هل يجوز جهادهم باليد ، وهل يجوز شهر السلاح عليهم ، واستمداد الاعوان لانتزاع الامر من ايديهم ؟

(١٢٩) انظر : حاشية ابن عابدين ج ٤ من ١٨٦ .

(١٣٠) رواه ابو نعيم في الحلية .

(١٣١) الحسبة لابن تيمية من ١٠٤ .

وقبل الجواب عن هذا التساؤل لا بد ان نذكر امرين اتفق عليهما علماء المسلمين :  
الامر الاول :

اتفقوا جمیعا على انه لا یجوز للمسلمین ان یصبروا على حکم الكافر ویجب عليهم ان یجتهدوا في التخلص من حکمه ، وتنصیب حاکم مسلم یسوس دنیاهم بآحكام الدين . وینطبق هذا على العاکم الذي یعطل قاعدة من قواعد الاسلام او رکنا من أركانه .

یقول القاضی عیاض : ( أجمع العلماء على أن الامامة لا تتعقد لکافر وعلى انه لو طرأ عليه الكفر انعزل ، وكذا لو ترك اقامۃ الصلوات والدعاۃ اليها . . . ) ثم قال : ( فلو طرأ عليه کفر وتغیر للشرع او بدعة خرج عن حکم الولاية ، وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب امام عادل ان امکنهم ذلك فان لم یقع ذلك الا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ) (١٢٢) .

وقال ابن حجر في فتح الباري نقلًا عن ابن التین : ( وقد اجمعوا انه – اي الخليفة – اذا دعا الى کفر او بدعة انه یقام عليه ، واختلفوا اذا غصب الاموال وسفك الدماء وانتهک هل یقام عليه ) (١٢٣) .

ويقول ابن حجر ايضا : ( ینعزل الامام بالکفر اجماعا ، فيجب على كل مسلم القيام في ذلك ، فمن قوي على ذلك فله الثواب ، ومن داهن فعليه الاثم ، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الارض ) (١٢٤) .

الامر الثاني :

أنهم أجمعوا على أن الشرط في الامام أن يكون مجتنبا للكبائر مستترًا بالصفائر ، حسن السياسة ، من أهل الفضل ، ولكن لم یشتّرطوا أن يكون غایة في الفضل ، وليس في الناس من هو أفضل منه ، وأنه لا ینازع في سلطانه لوجود من هو أفضل منه ) (١٢٥) .

(١٢٢) انظر : شرح النووي على مسیح مسلم ج ١٢ ص ٢٣٩ .

(١٢٣) فتح الباري ج ١٣ ص ٩٩ .

(١٢٤) فتح الباري ج ١٣ ص ١٠٥ .

(١٢٥) انظر : المعل لابن حزم . منشورات المکتب التجاری ج ٩ ص ٣٦٢ .

واختلف العلماء في كيفية امر الحكم المسلمين بالمعروف ونهيهم عن المنكر : فذهبت جماعة من أهل السنة الى انه لا يجوز سل السيف ووضع السلاح لامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وانما يكتفي عند هؤلاء بنصتهم ووعظهم ، او بانكار منكرهم بالقلب ، ولا تستعمل معهم اليد . وذهب هؤلاء الى انه يجب معاونة الامام العدل للتغلب على من يقوم عليه من الفسقة واهل المنكر . وقد نقل هذا الرأي عن الصحابة الذين اعتزلوا الفتنة في عهد عثمان وعليه رضي الله عنهم ، ومنهم سعد ابن ابي وقاص وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة رضي الله عنهم . وهو مذهب الامام احمد بن حنبل رحمة الله تعالى (١٣٦) .

وذهبت الجماعة الاخرى من أهل السنة ، وكذلك المعتزلة والظاهرية وجميع الغوارج والزيدية الى أنه يجب اشهار السلاح على الحكم الطفأة اذا لم يكن هناك طريقة اخرى لتفير واقعهم الذي لا يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم . وقالوا : اذا كان اهل الحق في عصابة يمكّنهم الدفع ولا يीأسون من الظفر ففرض عليهم ذلك ، وان كانوا في عدد لا يرجون لقتلهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد .

وقد نسب ابن حزم هذا الرأي الى جميع الصحابة الذين شاركوا في الحوادث التي وقعت في عهد عثمان وعليه وعاویة ، وكذلك من خرج من الصحابة والتابعين على بعض حكامبني أمية وغيرهم ، فقال : ( وهذا قول علي وكل من كان معه من الصحابة ، وعائشة وطلحة والزبير ، وكل من كان معهم من الصحابة ، وعاویة وعمرو بن العاص والنعمان بن بشير وغيرهم ممن معهم ، وعبد الله بن الزبير ومحمد والحسن بن علي ، وأنس بن مالك وعبد الرحمن بن ابي ليلى ، وسعيد بن جبير والحسن البصري ، ومالك بن دينار والشعبي والمطرف بن عبد الله بن الشخير وعطاء بن السائب ) ، كما ذكر أنسا غيرهم من الصحابة والتابعين .

(١٣٦) انظر : الفصل في الملل والامم والتحل لابن حزم ج ٥ ص ١١ ، وشرح التنوبي ج ١٢ ص ٢٢٩ ، ونبيل الاوطار ج ٧ ص ١٨٤ ، ١٨٥ .

و كذلك نسب هذا الرأي إلى بقية أئمة المذاهب سوى أحمد بن حنبل ،  
فقال : ( وهو الذي تدل عليه أقوال الفقهاء كأبي حنيفة ومالك الشافعى  
وداود واصحابهم ، فان كل من ذكرنا اما ناطق بذلك في فتواه ، واما  
فاعل ذلك بسل سيفه في انكار ما رأوه منكرا ) (١٣٧) .

هذا وقد استدل كل فريق بجملة ادلة :

### أدلة الفريق الاول :

أ - احتجت الطائفة الاولى بجملة ما ورد من الاحاديث التي تأمر  
الرعية بالسمع والطاعة ، وأصرحها ما رواه الشیخان عن عبادة بن  
الصامت رضي الله عنه قال : ( دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فبایعنانه ، فكان فيما أخذ علينا أن بایعننا على السمع والطاعة في منشطنا  
ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا ، وان لا ننزع الامر اهله ،  
قال : الا ان تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان ) (١٣٨) .

ب - ومن ادلتهم ما ورد عن ام سلمة رضي الله عنها عن النبي صلى  
الله عليه وسلم أنه قال : ( انه يستعمل عليكم امراء ، فتتعرفون وتنكرون ،  
فمن كره فقد بريء ، ومن أنكر فقد سلم ، ولكن من رضي وتابع .  
قالوا : يا رسول الله ، الا نقاتلهم ، قال : لا ما صلوا ) (١٣٩) .

ج - ومنها ما ورد عن عوف بن مالك الاشجعى انه قال :  
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ( خيار أئمتك الذين  
تحبونهم ويحبونكم ، وتصلون عليهم ويصلون عليكم (١٤٠) ، وشرار  
أئمتك الذين تبغضونهم ويبغضونكم ، وتلعنونهم ويلعنونكم قالوا :  
قلنا يا رسول الله ، أفلانا نناديهم عند ذلك ، قال : لا ما أقاموا فيكم الصلاة

(١٣٧) انظر : الفصل في الملل ج ٥ ص ١٢ ، وأشار الى هذا الغلاف ابن حجر في فتح الباري ج ١٣ ص ٥ - ٦  
٩٩ . والنووي في شرحه على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٢٩ والشوكتاني في نيل الوداع ج ٧ ص ١٨٥ .

(١٣٨) متفق عليه - انظر صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٥ - ٦ وصحيح مسلم بشرح النووي  
ج ١٢ ص ٢٢٨ .

(١٣٩) انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢٢٣ .  
(١٤٠) اي تدعون لهم ويدعون لكم .

لا ما أقاموا فيكم الصلاة ، الا من ولني عليه وال فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره ما يأتي من معصية الله ولا ينزع عن يدا من طاعة<sup>(١٤١)</sup> ٠

فالظاهر من هذه الاحاديث انها لا تبيح لل المسلمين ان يقوموا على امامهم المسلم بالسيوف ، وينازعوه السلطان ، ليأخذوه منه و يجعلوه لغيره ، الا ان يخرج من ملة الاسلام او يترك الصلاة و اقامتها في الناس **أدلة الفريق الآخر :**

أ – واما الآخرون فقد احتجوا بالآيات والاحاديث الكثيرة الواردة في ايجاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد او باللسان او بالقلب<sup>(١٤٢)</sup> ٠ وليس فيها تفريق بين اناس وأناس من يعزفون عن المعروف او يرتكبون المنكرات ٠ وقد تقدم ذكر طائفة من تلك الادلة ٠

ب – واستدلوا ايضاً بالاحاديث التي تنهى عن طاعة الحكام في معصية الله عز وجل كقوله عليه الصلاة والسلام : ( لا طاعة في معصية الله ، انما الطاعة في المعروف )<sup>(١٤٣)</sup> ، قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما : ( على المرء المسلم السمع والطاعة . فيما أحب وكره الا أن يؤمر بمعصية ، فان أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة )<sup>(١٤٤)</sup> ٠

ج – واستدلوا ايضاً بان الله سبحانه أمر المسلمين بالتعاون على البر والتقوى وحرم عليهم التعاون على الاثم والعدوان ، فقال عز وجل : ( وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان )<sup>(١٤٥)</sup> ، والسكوت عن الحاكم الفظالم وهو يوقع الظلم بعياد الله تعاون على الاثم والعدوان<sup>(١٤٦)</sup> ٠

(١٤١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢٤٥ ٠

(١٤٢) انظر : نيل الاوطار ج ٧ ص ١٨٦ ٠

(١٤٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢٢٧ ٠

(١٤٤) المرجع السابق ٠

(١٤٥) المائدة – الآية ٢ ٠

(١٤٦) الفصل في الملل ج ٥ ص ١٣ ٠

د - كما استدلوا بالاحاديث التي تحدث الماء المسلم على الدفاع عن ماله وعن عرضه ، وانه ان مات في دفاعه هذا كان من الشهداء الابرار عند رب العالمين . فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ( من قتل دون ماله فهو شهيد ، ومن قتل دون دمه فهو شهيد ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، ومن قتل دون أهله فهو شهيد ) (١٤٧) .

فإن هذه الاحاديث تشمل ما لو تعدى الحاكم على مسلم او جماعة من المسلمين ، وظلمهم فدافعوا عن حقوقهم ، كان لهم ذلك ، بل يمكنون شهداء اذا قتلهم الحاكم الظالم وهم يدافعون عن حقوقهم (١٤٨) .

### الرأي الذي نرجحه :

والذى نراه في هذه المسألة أنه ينبغي التفريق بين أنواع الفسق والمعاصي التي يقع فيها الحكام المسلمين : فان كانت هذه المعاصي امورا شخصية تعود على الحاكم بالضرر في دينه ، او كانت توقع ضررا بعده محدود من الرعية دون أن تصل الى حد يدل على أن هذا الحاكم قد اتخد منهجا منحرفا عن منهج الله عز وجل في سياسة الامة ، فلا يكون هذا الفسق وهذه المعاصي مبررا شرعا للخروج على الحاكم والقيام عليه ، وتجميع الاعوان ، وشهر السلاح في وجهه ، فانه ما دام يأخذ الناس بمنهج الله وشرعه بصورة عامة ، فانه لا يضرهم في دينهم ، وانما يضر نفسه بما يرتكب من المعاصي ، وما يعود من ضرر على بعض الافراد خاصة لا يوازي ما يكون من فتنه تفريق الصف ، وسفك الدماء اذا ما شهر في وجهه السلاح .

واما اذا كان فسوق الحاكم وعصيائه يشكل منهجا يأخذ به رعيته ويظهر من خلاله عزمه على الانصراف بالامة عن منهج ربها في العقيدة والأخلاق والشرائع وقيادتها بغير كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى

(١٤٧) أخرجه أحمد والابعة وصححه الترمذى - انظر سنن النسائي بشرح السيوطي ج ٧ ص ١١٦ .

(١٤٨) الفصل في الملل ج ٤ ص ١٤ .

الله عليه وسلم . فان فتنه الصبر على هذا المنكر أشد وأعظم من آية فتنه تنج عن القيام على هذا الحكم وشهر السلاح في وجهه .

فيجب على المسلمين ان يجاهدوا هذا الحكم ، ويستعملوا كل وسيلة مشروعة لازاحته عن سدة الحكم ، واستبداله بمن يأخذهم بدین الله سبحانه وتعالى ، فان جهاد الكفار نفسه لم يشرعه الله سبحانه الا ليمنع طواغيت الانس من الحكم من فتنه الناس ، وليوقف صدهم العباد عن الحق ، وعن رؤية النور ، ولاخذهم البشر بأحكام وأخلاق وقيم مستمدۃ من أهوائهم وشهواتهم ، فقد قال تبارك وتعالى : ( وقاتلهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين كله لله ) (١٤٩) .

فليس متشددا ، اذن ، من يقول بوجوب الخروج على الحكم اذا أصبح دينه صد العباد عن شرع الله عز وجل ، وأخذهم بأحكام لا تمت الى شريعة الله بصلة ، وفتنتهم عن دین الله سبحانه ، مهما كان هذا الحكم متظاهرا بالاسلام ، فان المسلمين ما بايده الا ليعنفهم على امور دينهم ، ليلتزم هذا الدين في ديارهم وينشر في اقطار الارض . فاذا نقض عهده ، معهم كان لهم الحق في نقض بيعته بل كان ذلك واجبا على كل قادر منهم ، لان ضرره عندئذ لا يقتصر على نفسه ، ولا يقتصر على افراد معينين ، بل يصيب كل الامة وكل فرد فيها ، ويضيع حقوقها ، ويؤدي الى هلاك المسلمين وزوال دولتهم .

وقد يكون بعض هؤلاء الحكام من المنافقين الموالين لأعداء الله وأعداء دينه ، في حقيقة امرهم ، وان كانوا متظاهرين بالاسلام ، ويؤدون بعض العبادات .

وقد علمت أن هذا الاسلوب هو من أهم اساليب المنافقين في محاربة المسلمين . ولكن المعيار الذي ذكرناه يكشف أمثال هؤلاء للامة المسلمة ، ولا يتيح لهم البقاء متبعين على مراكز الامر والنهي والتوجيه في دولة

الاسلام . فانه ما دام العاكم يأخذ المسلمين بمنهجه الله تعالى ويقيم عليهم حدوده ، ويرعى بينهم حرماته ، فانه يبعد جدا ان يكون من المنافقين الذين عرفت خصائصهم وأساليبهم ، وان ارتكب من العاصي ما يعد من الكبائر عند الله تعالى ، فانه ينطبق عليه ، عندئذ ، قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . ( اسمعوا وأطاعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم ) (١٥٠) .

واما الذي يفتن المسلمين عن دينهم ، ويُسخر ما جعل بين يديه من رسائل القهر والسلطان لتربيه الناس على الفسق والعصيان ، ونشر الرذيلة بينهم ، فانه يقودهم الى جهنم وغضب الله تعالى ، ويكون ما يفعل من الاذار حملأ ثقيلا عليه وعلى امته جمِيعا ، فلا يجوز لسلم يرید لنفسه النجاة من عذاب الله ان يسكت عليه .

ورسول الله عليه الصلاة والسلام عندما ضرب لنا مثل السفينة ، وما يكون مصيرها عندما يسكت الناس عن خرقها في أسفلها ، فانه بعلمنا انه لا يجوز للناس أن يسكتوا عن اي انسان يخرق خرقا في سفينة المسلمين ، اذا كان هذا الغرق يؤدي الى هلاكها ، ولا فرق فيمن يصنع الخرق بين العاكم وغيره ، اذ كيف لو كان الذي خرق السفينة في أسفلها هو قائدتها ، فهل لاحد أن يقول ، لا يجوز أن يقام عليه او تستعمل معه القوة ؟ فان قال قائل بهذا ، فان قوله يؤدي الى انه يجب التضحية بال المسلمين ودولتهم في سبيل فرد ظالم مستهتر لا يخشى الله ولا يحسب حسابا للآخرة . وهذا القول لا يقول به أحد من المسلمين ، لا من السابقين ، ولا من اللاحقين .

ولا يحول دون القيام في وجه هذا العاكم اي مظهر اسلامي يظهر فيه ، ولذلك ذهب جمهور علماء المسلمين الى جواز الغرور على العاكم الذي يأخذ رعيته ببدع ليس لها أساس في دين الله تعالى (١٥١) .

(١٥٠) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢٣٦ .

(١٥١) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٢٩ .

ويدل على هذا الاصل الذي ذكرناه ان بعض الاحاديث امرت بطاعة الحكام ؛ وعدم القيام عليهم ومعاداتهم قيدت ذلك باقامتهم للدين في رعاياهم ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( ان هذا الامر في قريش لا يعاد لهم أحد الا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين )<sup>(١٥٢)</sup> ، فقد نهى عليه الصلاة والسلام عن معاداة هؤلاء الامراء ما داموا يقيمون الدين في الناس الذين بايواهم ؛ فهذا هو الشرط في استحقاق الولاة الطاعة على الرعية ، فان لم يوفوا به لم يستحقوا الطاعة ، ولم تكن معاداتهم عليهم سببا في غضب الله عز وجل ٠

ومثل هذا ما ورد في صحيح مسلم عن يحيى بن حصين قال : سمعت جدتي تحدث انها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب في حجة الوداع و هو يقول : ( ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له راطيعوا )<sup>(١٥٣)</sup> ، فاذا قام حاكم وقاد الامة الاسلامية بغير كتاب الله عز وجل لم يكن له سمع ولا طاعة ولم يجز السكت علىه ٠

وعلى هذا الذي قدمنا يمكن أن تحمل جميع الاحاديث التي تنهى عن الخروج على الحكام المسلمين ؛ فيكون المقصود بها أنه لا يجوز الخروج عليهم ما داموا يقيمون الدين في الامة ، وان صدر منهم ما يعد معصية ، ولو كان ذلك من الكبائر ٠ ولا يستثنى من ذلك الا ان يترك الحاكم الصلاة واقامتها في الناس والدعاء اليها ، فان تركها حاكم وجب القيام عليه ، حتى ولو كان يقيم بقية أمور الدين في الرعية ، لأن هذه الكبيرة قد ورد النص عليها في جملة احاديث ، وعدها الرسول عليه الصلاة والسلام من المبررات التي تجيز الخروج على الحاكم الذي يدعى الاسلام ، وذلك لأهمية هذا الركن في الاسلام ، فان الاستمرار في تركه يدل على عزوف العاكم عن عبادة الله عز وجل ، حتى ذهب بعض علماء المسلمين المعتمد بهم الى اعتبار تارك الصلاة مرتدا ٠

(١٥٢) انظر : صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١٣ ص ٩٩ ٠

(١٥٣) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢٢٥ ٠

واما قوله عليه الصلاة والسلام : ( الا ان تروا كفرا بواحا ) ، فالبواح هو الظاهر البادي ، من قولهم : باح بالشيء يبوح به بواح اذا ادعه وأظهره ( ١٥٤ ) .

واما الكفر المذكور في هذا الحديث فقد اختلف العلماء في المقصود به : فمنهم من حمله على الخروج عن الملة ، ورأى أنه لا يجوز الخروج على حاكم مسلم مالم يظهر منه ما يستوجب اخراجه من ملة الاسلام . ومنهم من قال : المراد بالكفر هنا المعصية ، وممن فسره بذلك الامام النووي ، فقد قال : ( والمراد بالكفر هنا المعاشي ، ومعنى عندكم من الله فيه برهان اي تعلمونه من دين الله تعالى ، ومعنى الحديث : لا تنازعوا ولاة الامور في ولايتهم ، ولا تعرضا عليهم الا ان تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الاسلام ، فاذا رأيتم ذلك ، فانكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم ) ( ١٥٥ ) .

ويؤيد ما ذهب اليه النووي ان هناك بعض الروايات الاخرى للحديث جاء فيه قوله عليه الصلاة والسلام : ( الا ان يكون معصية الله بواحا ) ، وجاء في رواية عند الامام احمد قوله عليه الصلاة والسلام : ( مالم يأمروك باشم بواحا ) ( ١٥٦ ) .

ويؤكد كذلك هذا التفسير لمعنى الكفر في هذا الحديث ، انه اطلق في كثير من الاحاديث الاخرى على المعاشي ، التي وان عدت من الكبائر ، الا ان فعلها دون استباحتها لا يخرج فاعلها من الدين ، ولا يعتبر بمجرده سببا في الردة ، من ذلك قوله عليه الصلاة والسلام : ( سباب المؤمن فسوق وقتاله كفر ) ( ١٥٧ ) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : ( اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في الانساب والنياحة على الميت ) ( ١٥٨ ) ، وقد اتفق

( ١٥٤ ) اساس البلاعه للزمخنري مادة بوح ، وفتح الباري ج ١٣ ص ١٦ .

( ١٥٥ ) انظر : شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢٢٩ .

( ١٥٦ ) انظر هذه الروايات في فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٣ ص ٦ ونيل الاوطار ج ٧ ص ١٨٥ .

( ١٥٧ ) صحيح البخاري مع فتح الباري ج ١ ص ٩٢ ، وصحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٥٤ وصحيح الترمذى بشرح ابن العربي ج ٨ ص ١٥١ .

( ١٥٨ ) صحيح مسلم بشرح النووي ج ٢ ص ٥٧ .

أهل السنة على أن الكفر المذكور في هذه الأحاديث ليس هو المخرج من الملة ، وإنما المقصود أن هذه الأعمال التي وصفت بالكفر خلال وخلال وأخلاق يكون عليها الكفار ، وانه ينبغي ان لا توجد عند المسلمين<sup>(١٥٩)</sup> .  
وإذا حملنا الحديث على هذا المعنى الآخر للنكر البوح استطعنا التوفيق بين مختلف الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع .

ويكون عندئذ المقصود المعاصي التي تخرج قواعد الإسلام ، وتشكل منهاجا مستقلا في الانحراف او الدعوة الى المنكر والبدع .

### مواقف للعلماء مع العكام :

وفي ختام هذا البحث ثبت للاخ القارئ صوراً لِمَوَاقِفِ وَقَفْهَا عَلِمَاءِ السلف الصالح في أمر الامراء والعكام بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، ومحاسبتهم وفق مبادئ الإسلام ، وأوامر الله عز وجل .

فإنهم رحمة الله عليهم أدركوا ثقل هذه الفريضة ، وامتثلوا لما وصلهم عن نبي الله عز وجل وهو قوله صلى الله عليه وسلم : ( لتأمرن بالمعروف ولتنهي عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ، ولتأطرنه على الحق أطرا ، ولتقصرن على الحق قصرا ، او ليضر بن الله بقلوب بعضكم على بعض ، ثم ليلعنكم كما لعنهم )<sup>(١٦٠)</sup> . فغافلوا من لعنة الله في الآخرة ، وانتقامه في الدنيا ، فحملوا ما حملوا ، وقاموا بالواجب خير قيام .

وسمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم : ( سيكون أمراء فسقة جورة ، فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم ، وأعانهم على ظلمهم فليس مني وليس بوارد عليي العوض )<sup>(١٦١)</sup> ، فغافلوا ان يدخلهم الله مداخل الظالمين ، فأذلزوا أنفسهم طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام ،

(١٥٩) انظر رسالة الایمان لابي عبيد القاسم بن سلام ص ٨٩ وما بعدها .

(١٦٠) اخرجه ابو داود والترمذى وقال عنه : حديث حسن وهذا لفظ ابى داود - نزهة المتقين ج ١ ص ٢١٧ .

(١٦١) انظر : صحيح الترمذى بشرح ابن العربي ج ٩ ص ١١٧

فلم يتجاوزوا عن مقامه فيه مقال الا قالوا فيه ما يرضي ربهم وان أخطط الناس ولم يسكنوا عن منكر علموا به ، ولا عن معروف تقاعس عنه الفاسقون . وكانوا بمواقعهم هذه قدر الله عز وجل في العد من الطغيان ، وفي ايقاظ ضمائر العكام ، وفي حفظ الامة الاسلامية من الانحراف المملاك الى ان خلف من بعدهم خلف ممن يتسمون بالعلماء ، رضوا بأعراض الدنيا ، وسكنوا عن ظلم الظالمين وفسوق الفاسقين ، بل ربما أعادوا لهم على ظلمهم وفسوقة ، حتى عم الفساد وانتشر ، وأدار العكام ظهورهم لشريعة الله عز وجل ، وعاد الناس في جاهلية جهلاء لا يخرجهم منها الا ان يعود العلماء كما كان اسلافهم : يجهرون بالحق ، ويضعون في سبيله بأرواحهم ، ويحملون الدعوة ولا يخشون في الله لومة لائم .

وما أكثر المواقف التي وقفها علماء السلف الصالح للعكام يصوبونهم ، ويصدونهم عن الظلم والانحراف ، ولكننا نكتفي في هذا المقام بذكر بعض الامثلة :

١ - لقد التزم الصحابة رضوان الله عليهم بنصح الولاة ، فمن كان صالحًا منهم أعادوه وشدوا أزره ، ومن ظهر عنده بعض الفساد قوموه وذكروه ونصحوه ولم تأخذهم في الله لومة لائم .

بل ان من ولی أمر المسلمين من اولئك الصحابة كان يشجع الناس على محاسبته ويعثthem على تقويمه .

فهذا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر الصديق رضي الله عنه يقول عندما اختاره المسلمين اميرا لهم : ( فان أحسنت فأعينوني ، وان أساءت فقوموني ، اطیعوني ما أطعت الله ورسوله فيکم ... ) (١٦٢) .

(١٦٢) الاسلام بين العلماء والحكام ص ٧٠ .

وهذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ( من رأى منكم في اعوجاجاً فليقوله ) ، فيقوم له أعرابي ويقول : ( والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقمناه بعد سيفنا ) ، فسر عمر رضي الله عنه لهذا الجواب وقال : ( العمد لله الذي جعل في أمة محمد من يقوم اعوجاج عمر بسيفه ) <sup>(١٦٣)</sup> .

ومما ذكر من ممارسة الصحابة رضوان الله عليهم لهذا الحق ، وقبول الخلفاء الراشدين لمحاسبتهم ، انه كان في جملة غنائم المسلمين أبراد يمانية ، فقام أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه يقسم هذه الغنائم ، وكان من نصيبه برد منها ، وكذلك كان لابنه عبد الله مثل ذلك كايي رجل من المسلمين . ولما كان عمر طويلاً ولا يكفيه ما اصابه من تلك الابراد ليتخدنه ثوباً ، فقد تبرع له ابنته عبد الله ببرده وصنع عمر منه ثوباً ، ثم وقف في الناس خطيباً ، وعليه هذا التوب ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله « أيها الناس ، اسمعوا وأطيعوا ٠٠٠ ٠» فوقف له سلمان الفارسي رضي الله عنه وقال له : لا سمع لك علينا ولا طاعة . فقال سيدنا عمر : ولم ؟ قال سلمان : من أين لك هذا التوب وقد نالك برد واحد وأنت رجل طويل ؟ فقال : لا تتعجل وقد نادى : يا عبد الله ، فلم يجبه أحد ، فقال : أين عبد الله بن عمر ؟ فقال : أنذا يا أمير المؤمنين ، قال : ملن أحد هذين البردين اللذين علي ؟ قال : لي ، فقال لسلمان : عجلت علي يا أبا عبد الله ، اني كنت غسلت ثوبي بالخلق ، فاستعرت ثوب عبد الله . قال : أما الآن فقل نسمع ونطع <sup>(١٦٤)</sup> .

ومن ذلك ايضاً ما روي أن عمر رضي الله عنه خرج من المسجد ومعه الجارود العبدى ، فبينما هما خارجان اذ بامرأة على ظهر الطريق ، فسلم عليها عمر فرددت عليه السلام ثم قالت : رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة ، قال لها : قولي .

(١٦٣) المراجع السابق .

(١٦٤) أخبار عمر ص ٢٠٣ .

قالت : يا عمر ! عهدي بك وأنت تسمى عميرا في سوق عكاظ تصارع الفتىان فلم تذهب الايام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الايام حتى سميت أمير المؤمنين ، فاتق الله في الرعية ، واعلم انه من خاف الموت خشي الفوت ، فقال الجارود : هيه ! قد اجترأت على أمير المؤمنين .

فقال عمر : دعها ، أما تعرف هذه يا جارود ؟ هذه خولة بنت حكيم التي سمع الله قولها من فوق سمائه ، فعمرا والله احرى أن يسمع كلامها ، أراد بذلك قوله تعالى : ( قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ) (١٦٥) .

ومن مواقفهم رضوان الله عليهم ما رواه ابو سعيد الحسن البصري أن عائذ بن عمرو رضي الله عنه دخل على عبيد الله بن زياد فقال : أيبني ، اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان شر الرعاء (١٦٦) العطمة (١٦٧) ، فاياك ان تكون منهم ، فقال له : اجلس ، فانما انت من نخالة اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال : وهل كانت لهم نخالة ؟ ! انما كانت النخالة بعدهم وفي غيرهم (١٦٨) .

٢ - ومن هذه المواقف موقف ابي مسلم الغولاني ، رحمه الله تعالى من معاوية رضي الله عنه ، عندما حبس العطاء عن بعض المسلمين ، فقام اليه ابو مسلم وقال : يا معاوية انه ليس من كدك ولا من كد ابيك ولا من كد امك ، فغضب معاوية ونزل عن المنبر وقال للحاضرين : مكانكم ، وغاب عن اعينهم ساعة ، ثم خرج عليهم وقد اغتسل ، فقال : ان ابا مسلم كلمني بكلام اغضبني ، واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : الغضب من الشيطان ، والشيطان خلق من نار . وانما تطفأ النار بالماء ، فاذا غضب أحدكم فليغتسل واني دخلت

(١٦٥) اخبار عمر ص ٤٢٠ ، والآية من سورة المجادلة - رقم ١ .

(١٦٦) جمع راع .

(١٦٧) العنيف الذي لا يرفق برعينه - انظر شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٢١٦ .

(١٦٨) رواه مسلم في كتاب الامارة - انظر صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٢ ص ٢١٥ .

فاغتسلت ، وصدق ابو مسلم ، انه ليس من كدي ولا من كد ابي  
فهلموا الى عطائكم (١٦٩) .

٣ - ومنها ما رواه ابن خلكان عن الحسن البصري مع والي العراق  
ابن هبيرة ، فقد قال : ( لما ولی عمر بن هبيرة الفزاری العراق ، وأضيفت  
الیه خراسان ، وذلک في ایام یزید بن عبد الملك ، استدعا الحسن البصري  
ومحمد بن سیرین والشعبي ، وذلک في سنة ثلاثة وعشرين ، فقال لهم : ان  
یزید خلیفة الله استخلفه على عباده ، وأخذ عليهم المیثاق بطاعته ، وأخذ  
عهدهنا بالسمع والطاعة ، وقد ولاني ما ترون ، فيكتب الي بالامر من  
أمره فأقلده ما تقلده من ذلك الامر ، فما ترون ؟

قال ابن سیرین والشعبي قولًا فيه تقبیة ، قال ابن هبيرة : ما تقول  
يا حسین ؟ فقال : يا ابن هبيرة ، خف الله في یزید ، ولا تخف یزید في الله ،  
ان الله یمنعك من یزید ، وان یزید لا یمنعك من الله ، وأوشك أن یبعث  
الیك ملکا ، فيزيلك عن سریرك ويخرجك من سعة قصرک الى ضيق  
قبرک . ثم لا ینجيك الا عملک . يا ابن هبيرة . ان تعص الله فانما جعل  
الله السلطان ناصرا للدين الله وعباده . فلا ترکبن دین الله وعباده لسلطان  
الله ، فانه لا طاعة لملکوق في معصية الخالق (١٧٠) .

٤ - ومنها ما روي ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة وهو ي يريد  
مكة ، فأرسل الى أبي حازم . فلما دخل عليه . قال له سليمان . يا أبا  
حازم ، ما لنا نکره الموت ؟ فقال : لأنکم خربتم آخرکم ، وعمرتكم  
دنياکم ، فکر هتم ان تنتقلوا من العمران الى الغراب  
قال : يا أبا حازم . كيف القدوم على الله ؟

قال : يا أمیر المؤمنین . اما الحسن فکالغائب يقدم على أهله ، وأما  
المسيء فکالآبی يقدم على مولاه .

(١٦٩) الحديث الذي رواه معاویة رضی الله عنه اخرجه ابو نعیم في الحدیث . والحادنة ذکرها الفزالی في  
احیاء علوم الدین - المجلد الثاني ، ص ١٢٥٢ .

(١٧٠) نقله عن ابن خلكان ابو الحسن التدوی في « رجال الفکر والدعوة » ص ٦٠ . وانظر عيون الاخبار ،  
المجلد الثاني ص ٣٤٣ .

فبكى سليمان وقال : ليت شعري مالي عند الله ؟

قال ابو حازم : اعرض نفسك على كتاب الله تعالى : « إن الابرار لففي

نعم ، وان الفجار لففي جحيم » (١٧١) .

قال سليمان : فأين رحمة الله ؟

قال : قريب من المحسنين .

ثم قال سليمان : يا أبا حازم ، أي عباد الله أكرم ؟

قال : أهل البر والتقوى .

قال : فأي الاعمال أفضل ؟

قال : اداء الفرائض واجتناب المعارض .

قال : فأي الكلام أسمع ؟

قال : قول الحق عند من تخاف وترجو .

قال : فأي المؤمنين أكيس ؟

قال : رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها .

قال : فأي المؤمنين أخسر ؟

قال : رجل خطأ في هو أخيه وهو ظالم فباع آخرته بدنيا غيره .

قال سليمان : ما تقول فيما نحن فيه ؟

قال : أو تعفيني ؟

قال : لا بد منها ، فانها نصيحة تلقىها الى .

قال ابو حازم : يا أمير المؤمنين ، ان آباءك قهروا الناس بالسيف ،

وأخذوا هذا الملك عنوة ، من غير مشورة من المسلمين ، ولا رضا منهم ،

حتى قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وقد ارتحلوا ، فلو شعرت بما قالوا وما

قيل فيهم .

فقال له رجل من جلسائه : بئسما قلت .

قال ابو حازم : ان الله قد أخذ الميثاق على العلماء ليبيئننه للناس

ولا يكتمنه .

قال سليمان : وكيف لنا أن نصلح هذا الفساد ؟

قال : ان تأخذه من حله فتضنه في حقه .

قال سليمان : ومن يقدر على ذلك ؟

قال : من يطلب الجنة ويحافظ النار .

قال سليمان : ادع لي .

قال ابو حازم : اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخيري الدنيا والآخرة ، وان كان عدوك فخذ بناصيته الى ما تحب وترضى .

قال سليمان : أوصني .

قال : أوصيك وأوجز : عظم ربك ، ونزعه أن يراك حيث نهاك . او يفقدك حيث أمرك (١٢٢) .

٥ - ومن ذلك ما ورد انه لما قدم عبد الله بن علي العباس الشام ، وقد قتل من قتل من بنى أمية بعد ذهاب دولتهم ، استدعي الامام عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعي ، وهو في جنده وحشمه وقال له : ما تقول في دماء بنى أمية ؟

قال الاوزاعي : قد كان بينك وبينهم عهود ، وكان ينبغي أن تفي بها .

قال الامير : ويحك ، اجعلني واياهم لا عهد بيننا .

قال الاوزاعي : فأجهشت نفسي ، وكرهت القتل ، فتذكرت مقامي بين يدي الله تعالى فلفظتها وقلت : دماؤهم عليك حرام .

فغضب عبد الله بن علي وانتفخت عيناه وأوداجه ، فقال : ويحك ولم ؟

قلت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لا يحل دم امرىء مسلم الا باحدى ثلاث : ثيب زان ، ونفس بنفس ، وتارك لدينه ) .

قال : ويحك ، أليس الامر لنا ديانة ؟

(١٧٢) انظر : احياء علوم الدين - المجلد الثاني ص ٩٠٥ .

قلت : كيف ذاك ؟

قال : أو ليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى لعلي ؟

قلت : لو أوصى لعلي ما حكم الحكمين ؟

فسكت وقد اجتمع غضبه ، فجعلت أتوقع رأسي يسقط بين يديه ، فأشار بيده هكذا ، وأومنا أن أخرجوه فخرجت (١٢٢) .

من هذه العادلة ترى أن الإمام الأوزاعي رحمة الله تعالى كان يتوقع القتل بسبب ما يجهز به من الحق أمام ذلك الامير العباسي ، وبسبب ما حمل العباسيين دماء من قتلوا من بنى أمية . وقد كان لهذا التوقع ما يبرره عند الأوزاعي ، وعند كل من عرف الطرف الذي وقف فيه الأوزاعي هذا الموقف ، فقد مثل عند ذلك الامير ساعة تأسيس ملكه وانتصاره على خصمه ، واجتماع الامر له ، واضطراهم النار تحت الرماد من أنصار الحكم السابق الذين كانوا ينتظرون فرصة للثورة والانقضاض (١٢٤) ، ولكن الإمام الأوزاعي تذكر مقامه بين يدي ربه عز وجل فدفعته هذه الذكرى إلى الجهر بالحق ، وانكار المنكر مهما كانت النتيجة في هذه الحياة الدنيا .

وهكذا كان علماء السلف الصالح ، لا يهمهم مقدار ما يقدمون من التضحيات اذا تذكروا موقفهم بين يدي الله عز وجل .

٦ - ومن هذه المواقف ما روي أن حطيطا الزيات جيء به إلى العجاج ، فلما دخل عليه قال : أنت حطيط ؟

قال : نعم ، سل عما بدا لك ، فاني عاهدت الله عند المقام على ثلاث خصال : ان سئلت لأصدقن ، وان ابتليت لأصبرن ، وان عوفيت لاشكرن .

قال : فما تقول في ؟

قال : أقول ، انك من أعداء الله في الارض ، تنتهي المحارم ، وتقتل بالظنة .

(١٧٣) تذكرة الحفاظ ج ١ ص ١٨١ ، الخلق الكامل ج ٢ ص ٢٣٩ . الاسلام بين العلماء والحكام ص ٨٣ .

(١٧٤) الخلق الكامل ج ٢ ص ٢٤٠ .

قال : فما تقول في أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ؟

قال : أقول : انه أعظم جرما منك ، وانما أنت خطيئة من خطاياه .

فقال العجاج : ضعوا عليه العذاب .

فانتهى له العذاب الى ان شقق له القصب ، ثم جعلوه على لحمه وشدوه بالحبال ، ثم جعلوا يمدون قصبة قصبة ، حتى انتحلوا لحمه ، فما سمعوه يقول شيئا . فقيل للحجاج : انه في آخر رمق ، فقال : آخر جوه فارموا به في السوق . قال جعفر ، وهو الراوي : فأتيته انا وصاحب له ، فقلنا له : **حطيطه ألم حاجة ؟** قال : شربة ماء ، فأتوه بشربة ، ثم مات ، وكان ابن ثمانيني عشرة سنة رحمة الله عليه (١٧٥) .

٧ - روي أن أبا جعفر المنصور استدعي ابن طاوس أحد علماء عصره ، ومعه مالك ابن أنس ، فلما دخل عليه ، أطرق ساعة ، ثم التفت الى ابن طاوس فقال له : حدثني عن أبيك طاوس (ابن كيسان التابعي) . فقال : حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ان أشد الناس عذابا يوم القيمة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله ) ، فامسك ساعة . قال مالك : فضمنت ثيابي مخافة ان يملأني من دمه . ثم التفت اليه ايyo جعفر فقال : عذبني يا ابن طاوس . قال : نعم يا أمير المؤمنين ، ان الله تعالى يقول : ( ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العمام ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جايبوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الاوتاد الذين طفوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، ان ربك لبالمقصاد ) (١٧٦) ، قال مالك : فضمنت ثيابي مخافة ان يملأني من دمه ، فامسك عنه ثم قال : ناولني الدواة ، فامسك ساعة حتى اسود بيننا وبينه ، ثم قال : يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة ، فامسك عنه ، فقال : ما يمنعك ان تناولنيها ؟ فقال : أخشى أن تكتب بها معصية الله ، فاكون شريك فيها .

(١٧٥) احياء علوم الدين - المجلد الثاني ص ١٢٥٦ .

(١٧٦) الفجر - الآيات ٦ - ١٤ .

فلما سمع ذلك قال : قوما عندي . قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغي  
منذ اليوم . قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس فضله (١٧٧) .

٨ - عن ابن المهاجر قال : قدم أمير المؤمنين المنصور مكة ، شرفها  
الله ، حاجا فكان يخرج من دار الندوة الى الطواف في آخر الليل ، يطوف  
ويصلّي ولا يعلم به ، فإذا طلع الفجر رجع الى دار الندوة ، وجاء  
المؤذنون فسلّموا عليه . وأقيمت الصلاة ، ف يصلّي بالناس ، فخرج ذات  
ليلة حين أسرح . فبینما هو يطوف اذ سمع رجلا عند الملتزم وهو يقول :  
اللهم اني أشكو اليك ظهور البغي والفساد في الارض ، وما يحول بين  
الحق وأهله من الظلم والطمع .

فأسرع المنصور في مشيه حتى ملأ مسامعه من قوله ، ثم خرج ، فجلس  
ناحية من المسجد وأرسل اليه فدعاه . فأتاه الرسول وقال له : أجب  
أمير المؤمنين ، فصلّى ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ،  
 وسلم عليه .

فقال له المنصور : ما هذا الذي سمعتاك تقوله من ظهور البغي  
والفساد في الارض ، وما يحول بين الحق وأهله من الظلم والطمع ؟  
فوالله لقد حشوت مسامعي ما امرضني واقلقني .

فقال : يا أمير المؤمنين ، ان أمنتني على نفسي آنبأتك بالأمور من  
أصولها ، والا اقتصرت على نفسي ففيها لي شغل شاغل .

فقال له : أنت آمن على نفسك .

فقال : الذي دخله الطمع حتى حال بينه وبين العق ، واصلاح ما  
ظهر من البغي والفساد في الارض أنت .

فقال : ويحك ، وكيف يدخلني الطمع ، والصفراء والبيضاء في يدي ،  
والعلو والحامض في قبضتي ؟

(١٧٧) الاسلام بين العلماء والعلماء ص ٨٤ ، ٨٥ نقلًا عن تذكرة الحفاظ .

قال : وهل دخل أحدا من الطمع ما دخلك يا أمير المؤمنين ، ان الله تعالى استرعاك أمور المسلمين وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتمت بجمع أموالهم ، وجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والاجر ، وأبوايا من العديد ، وحجبة معهم السلاح ثم سجنت نفسك فيها منهم ، وبعثت عمالك في جمع الاموال وجبايتها ، واتخذت وزراء وأعواانا ظلمة ان نسيت لم يذكر وكم . وان ذكرت لم يعيشوكم ، وقويتهم على ظلم الناس بالاموال والكراء والسلاح ، وأمرت بان لا يدخل عليك من الناس الا فلان وفلان نفر سميتهم ، ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الجائع ولا العاري ، ولا الضعيف ولا الفقير ، ولا احد الا وله في هذا المال حق . فلما رأه هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وأشرتهم على رعيتك ، وأمرت أن لا يحببوا عنك ، تجبي الاموال ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله ، فمالنا لا نخونه وقد سخر لنا ، فائتمروا على أن لا يصل اليك من علم أخبار الناس شيء الا ما ارادوا ، وأن لا يخرج لك عامل فيخالف لهم أمرا الا أقصوه حتى تسقط منزلته ، ويصفر قدره . فلما انتشر ذلك عنك وعنهم أعظمهم الناس وهابوهم ، وكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والاموال ليتقوا بهم على ظلم رعيتك ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا ظلم من دونهم من الرعية ، فامتلأت بلاد الله بالطمع بغيها وفسادها ، وصار هؤلاء القوم شركاء في سلطانك ، وأنت غافل ، فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك ، وان اراد رفع صوته او قصته اليك عند ظهورك وجدوئ قد نهيت عن ذلك . ووقفت للناس رجلا ينظر في مظلومهم ، وان كانت الرجل فبلغ بطانته سألا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلومته ، وان كانت للمتظلم به حرمة واجابة لم يمكنه مما يريد خوفا منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف اليه ويلوذ به ، ويشكوا ويستغفلا ، وهو يدفعه ويعتله عليه ، فاذا جهد وأخرج وظهرت صرخ بين يديك ، فيضرب ضربا مبرحا ، ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر ولا تنكر ولا تغير ، فما بقاء

الاسلام وأهله على هذا ؟ ولقد كانت بني امية وكانت العرب لا ينتهي اليهم المظلوم الا رفعت ظلامته اليهم ، فينصف ، لقد كان الرجل يأتي من أقصى البلاد حتى يبلغ باب سلطانهم ، فينادي : يا أهل الاسلام فيبتدرونـهـ مالـكـ مالـكـ ؟ـ فـيـرـفـعـونـ مـظـلـمـتـهـ الىـ سـلـطـانـهـ ،ـ فـيـنـتـصـفـ (١٧٨) .

٩ - ويروى عن عمرو بن عبيد أنه قال للمنصور : ان الله اعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك ببعضها ، واذكر ليلة تمغض عن يوم لا ليلة بعده ، فوجم أبو جعفر من قوله فقال له الربيع : يا عمرو ، غemptت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : ان هذا صحبك عشرين سنة لم ير لك عليه أن ينصحك يوما واحدا ، وما عمل وراء بابك بشيء من كتاب الله ولا سنة نبيه . قال أبو جعفر : مما اصنع قد قلت لك : خاتمي في يدك فتعال واصحابك فاكفني ، قال عمرو : ادعنا بعذلك تسخ انفسنا بعونك ، ببابك الف مظلمة أردد منها شيئا نعلم أنك صادق (١٧٩) .

١٠ - وذكر عبد الله بن المبارك عن رجل من أهل الشام ان الاوزاعي قال : دخلت على أبي جعفر المنصور فقال : ما الذي بطاـكـ عنـيـ ؟ـ قـلـتـ :ـ ياـ أمـيرـ المؤـمنـينـ ،ـ وـماـ الـذـيـ تـرـيـدـ مـنـيـ ؟ـ فـقـالـ :ـ الـاقـتـبـاسـ مـنـكـ ،ـ قـلـتـ :ـ انـظـرـ مـاـ تـقـولـ ،ـ فـانـ مـكـحـوـلاـ حدـثـنـيـ عـنـ عـطـيـةـ اـبـنـ بـشـيرـ أـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ :ـ (ـ مـنـ بـلـغـهـ عـنـ اللهـ نـصـيـحةـ فـيـ دـيـنـهـ فـهـيـ رـحـمـةـ مـنـ اللهـ سـيـقـتـ إـلـيـهـ ،ـ فـانـ قـبـلـهـ مـنـ اللهـ بـشـكـرـ وـالـاـ كـانـتـ حـجـةـ مـنـ اللهـ عـلـيـهـ ،ـ لـيـزـدـادـ اـثـمـاـ وـلـيـزـدـادـ اللهـ عـلـيـهـ غـضـبـ ،ـ وـمـنـ بـلـغـهـ شـيـءـ مـنـ الـعـقـ فـرـضـيـ فـلـهـ الرـضـيـ ،ـ وـانـ سـخـطـ فـلـهـ السـخـطـ ،ـ وـمـنـ كـرـهـ فـقـدـ كـرـهـ اللهـ ،ـ لـانـ اللهـ هوـ الـعـقـ المـبـينـ )ـ ،ـ فـلاـ تـجـهـلـنـ ،ـ قـالـ :ـ وـكـيـفـ أـجـهـلـ ؟ـ قـالـ :ـ تـسـمـعـ وـلـاـ تـعـمـلـ بـمـاـ تـسـمـعـ .ـ قـالـ الاـوزـاعـيـ :ـ فـسـلـ عـلـيـ الرـبـيعـ السـيـفـ وـقـالـ :ـ تـقـولـ لـأـمـيرـ المؤـمنـينـ هـذـاـ .ـ فـانـتـهـرـ المـنـصـورـ وـقـالـ :ـ أـمـسـكـ ،ـ ثـمـ كـلـمـهـ الاـوزـاعـيـ ،ـ وـكـانـ فـيـ كـلـامـهـ اـنـ قـالـ :

(١٧٨) احياء علوم الدين ، المجلد الثاني من ١٢٦٤ - ١٢٦٦ . عيون الاخبار ، المجلد الثاني من ٣٣٣ وما بعدها .

(١٧٩) عيون الاخبار - المجلد الثاني من ٣٣٧ .

انك قد اصبحت من هذه الحلافة بالذى أصبحت فيه ، والله سائلك عن صغيرها وكبیرها وفتيلها ونقيرها ، ولقد حدثني عروة بن رويه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ( ما من راع يبيت غاشا لرعيته الا حرم الله عليه رائحة الجنة ) ، فحقيقة على الوالى ان يكون لرعيته ناظرا ، ولما استطاع من عوراتهم ساترا ، وبالقسط فيما بينهم قائما ، لا يتخوف محسنتهم منه رهقا ، ولا مسيئهم عدوانا ، فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ويردع عنه المنافقين فأتاها جبريل فقال : ( يا محمد ، ما هذه الجريدة بيدك اقذفها ، لا تملأ قلوبهم رعبا ) ، فكيف من سفك دماءهم وشقق أبشارهم وأنهب أموالهم ؟ !

يا أمير المؤمنين ، ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعمهد ؛ فهبط جبريل فقال : ( يا محمد ان الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون أمتك ) ، واعلم أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمرة من ثمارها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ( لقب قوس أحدكم من الجنة او قذة<sup>(١٨٠)</sup> خير له من الدنيا بأسرها ) . وان الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بقى الملك لمن قبلك لم يصل اليك .

يا أمير المؤمنين ، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والارض لآذاهم فكيف من يتقمصه ، ولو أن ذنوبا<sup>(١٨١)</sup> من صدید أهل النار صب على ماء الارض لآجنه<sup>(١٨٢)</sup> فكيف بين يتجرعه ! ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب ، فكيف من سلك فيها ويرد فضلها على عاتقه ، وقد قال عمر بن الخطاب « لا يقوم امر الناس الا حصيف العقل ، لا يطلع الناس منه على عورة ، ولا يعنق في الحق على جره<sup>(١٨٣)</sup> ، ولا تأخذه في الله لومة لائم » .

(١٨٠) أي ريش السهم .

(١٨١) الدلو .

(١٨٢) جعله آجنا اي متغير الطعم واللون .

(١٨٣) لا ينطوي على حقد ودغل .

واعلم أن السلطان أربعة : أمير يظلف (١٨٤) نفسه وعماله ، فذلك له أجر المجاهد في سبيل الله وصلاته سبعون ألف صلاة ، ويد الله بالرحمة على رأسه ترفرف . وأمير رتع ورتع عماله ، فذاك يحمل أثقاله وأثقالاً مع أثقاله . وأمير يظلف نفسه ويرتع عماله ، فذاك الذي باع آخرته بدنيا غيره ، وأمير يرتع ويظلف عماله ، فذاك شر الأكياس .

واعلم يا أمير المؤمنين إنك قد ابتليت بأمر عظيم عرض على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنـه وأشـفـقـنـهـ ، وقد جاءـ عنـ جـدـكـ في تـفـسـيرـ قولـ اللهـ عـزـ وـجـلـ «ـ ماـ لـهـذـاـ الـكـتـابـ لـاـ يـفـادـرـ صـفـيـرـ وـلـاـ كـبـيرـ الـاـحـصـاـهـاـ » (١٨٥) : ان الصغيرة التبسم ، والكبيرة الضحك ، فـماـ ظـنـكـ بالـكـلـامـ وـمـاـ عـمـلـتـهـ الـاـيـدـيـ ! فـأـعـيـذـكـ بـالـلـهـ أـنـ يـخـيـلـ الـيـكـ أـنـ قـرـأـبـتـكـ بـرـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ تـنـفـعـ مـعـ الـمـخـالـفـةـ لـأـمـرـهـ ، فـقـدـ قـالـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ : «ـ يـاـ صـفـيـةـ عـمـةـ مـحـمـدـ وـيـاـ فـاطـمـةـ بـنـتـ مـحـمـدـ اـسـتـوـهـبـاـ أـنـفـسـكـمـاـ مـنـ اللهـ ، اـنـيـ لـاـ أـغـنـيـ عـنـكـمـاـ مـنـ اللهـ شـيـئـاـ » وـكـانـ جـدـكـ الـاـكـبـرـ سـأـلـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ اـمـارـةـ فـقـالـ : (ـ اـيـ عـمـ نـفـسـ تـحـيـيـهـاـ خـيـرـ لـكـ مـنـ اـمـارـةـ لـاـ تـحـصـيـهـاـ ) ، نـظـرـاـ لـعـمـهـ شـفـقـةـ عـلـيـهـ أـنـ يـلـيـ فـيـجـورـ عـنـ سـنـتـهـ جـنـاحـ بـعـوـضـةـ ، فـلـاـ يـسـتـطـيـعـ لـهـ نـفـعـاـ وـلـاـ عـنـهـ دـفـعاـ . هذه نصيحتـيـ ان قـبـلـتـهاـ فـلـنـفـسـكـ عـمـلـتـ ، وـاـنـ رـدـدـتـهاـ فـعـلـيـ نـفـسـكـ جـنـيـتـ . وـاـلـلـهـ الـمـوـقـعـ لـلـخـيـرـ وـالـعـيـنـ عـلـيـهـ ، قـالـ : بـلـيـ نـقـبـلـهـاـ وـنـشـكـرـ عـلـيـهـاـ وـبـالـلـهـ نـسـتـعـنـ (١٨٦) .

١١ - وعن أبي عمران الجوني ، قال : لما ولـي هـرـونـ الرـشـيدـ الغـلـافـةـ ، زـارـهـ الـعـلـمـاءـ فـهـنـوـهـ بـمـاـ صـارـ الـيـهـ مـنـ أـمـرـ الـخـلـافـةـ ، فـفـتـحـ بـيـوـتـ الـأـمـوـالـ . وـأـقـبـلـ يـجـيـزـهـ بـالـجـوـائزـ السـنـيـةـ وـكـانـ قـبـلـ ذـلـكـ يـجـالـسـ الـعـلـمـاءـ وـالـزـهـادـ ، وـكـانـ يـظـهـرـ النـسـائـ وـالـتـقـشـفـ ، وـكـانـ مـؤـاخـيـاـ لـسـفـيـانـ بـنـ

(١٨٤) يظلف نفسه . أي يكتفـاـ .

(١٨٥) الكفـ . الآيةـ ٤٩ـ .

(١٨٦) هذه الموعظـةـ الـتـيـ وـعـظـلـهاـ الـأـوـزـاعـيـ لـلـمـنـصـورـ رـوـاهـاـ اـبـنـ قـتـيبةـ فيـ عـيـونـ الـأـخـبـارـ الـمـجـلـدـ الثـالـثـ مـنـ ٣٣٨ـ وـمـاـ بـعـدـهـ ، وـقـدـ رـوـاهـاـ مـطـوـلـةـ الـغـزـالـيـ فـيـ الـأـحـيـاءـ .ـ الـمـجـلـدـ الثـالـثـ مـنـ ١٢٥٩ـ وـمـاـ بـعـدـهـ .ـ وـفـدـ حـرـجـ الـأـحـادـيـثـ الـوـارـدـةـ فـيـهـ الـأـمـامـ الـعـرـاقـيـ فـيـ تـحـرـيـجـهـ الـمـطـبـوـعـ مـعـ الـأـحـيـاءـ .

سعید بن المندر الثوری قدیما ، فهجره سفیان ولم یزره ، فاشتاق هرون الى زیارتہ لیخلو به و یعدشه ، فلم یزره ولم یعبأ بموضعيه ، ولا بما صار اليه ، فاشتد ذلك على هرون ، فكتب اليه کتابا یقول فيه :

( بسم الله الرحمن الرحيم ، من عبد الله هرون الرشيد أمير المؤمنين الى أخيه سفیان بن سعید بن المندر ، أما بعد :

يا أخي قد علمت أن الله تبارك وتعالى و أخي بين المؤمنين ، وجعل ذلك فيه وله ، واعلم أنني قد وآخيتك مواخاة لم اصرم بها حبلك ، ولم أقطع منها ودك ، وانني منظو لك على أفضل المعبة والارادة ، ولو لا هذه القلادة التي قد نهيتها الله لأتتني ولو حبوا ، لما أجد لك في قلبي من المعبة . واعلم يا أبا عبد الله أنه ما بقي من اخوانی وآخوانك احد الا وقد زارني و هنا نی بما صرت اليه ، وقد فتحت بیوت الاموال ، وأعطيتهم من الجرائز السنیة ما فرحت به نفسي ، وقررت به عینی ، وانني استبطئتك فلم تأتني ، وقد كتبت اليك کتابا شوقا مني اليك شدیدا ، وقد علمت يا أبا عبد الله ما جاء في فضل المؤمن وزيارته ومواصلته فاذا ورد عليك کتابی فالعجل العجل .

فلما كتب الكتاب التفت الى من عنده ، فاذا كلهم یعرفون سفیان الثوری و خشونته ، فقال : على برجل من الباب ، فأدخل عليه رجل يقال له : عباد الطالقاني ، فقال : يا عباد ، خذ کتابی هذا ، فانطلق به الى الكوفة ، فاذا دخلتها فسل عن قبیلةبني ثور ، ثم سل عن سفیان الثوری ، فاذا رأيته ، فألق کتابی هذا اليه ، وع بسمک و قلبك جميع ما یقول ، فاحص عليه دقیق امره و جلیله لتخبرني به . فأخذ عباد الكتاب و انطلق به حتى ورد الكوفة فسأل عن القبیلة فارشد اليها ، ثم سأله عن سفیان ، فقيل له : هو في المسجد . قال عباد : فأقبلت الى المسجد ، فلما رأني قام قائما ، وقال : أعوذ بالله السميع العليم من الشیطان الرجیم ، واعوذ بك اللهم من طارق یطرق الا بخیر . قال عباد : فوقعت الكلمة في قلبي ،

فخرجت ، فلما رأني نزلت بباب المسجد قام يصلني ، ولم يكن وقت صلاة ، فربطت فرسبي بباب المسجد ودخلت ، فإذا جلساً قعود قد نكسوا رؤوسهم ، كأنهم لصوص ، قد ورد عليهم السلطان فهم خائفون من عقوبته ، فسلمت بما رفع أحد إلى رأسه ، وردوا السلام على بروءوس الأصابع ، فبقيت واقفا ، فما منهم أحد يعرض علي الجلوس ، وقد علاني من هببهم الرعدة ، ومددت عيني إليهم ، فقلت : إن المصلي هو سفيان ، فرميته بالكتاب إليه ، فلما رأى الكتاب ارتعد وتباعد منه كأنه حية عرضت له في محرابه ، فرجع وسجد وسلم وأدخل يده في كمه ، لفها بعبأته ، وأخذ قلبه بيده ، ثم رماه إلى من كان خلفه ، وقال : يأخذك بعضكم يقرؤه ، فاني استغفر الله أن أمس شيئاً مسه ظالم بيده .

قال عباد : فأخذه بعضهم ، فحله كأنه خائف من فم حية تنهشه ، ثم فضه وقرأه وأقبل سفيان يتبعس تبسم المتعجب ، فلما فرغ من قراءته قال : اكتبوا واكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه ، فقيل له : يا أبا عبد الله ، انه خليفة ، فلو كتبت اليه في قرطاس نقى؟ فقال : اكتبوا إلى الظالم في ظهر كتابه ، فان كان اكتسبه من حلال فسوف يجزى به ، وان كان اكتسبه من حرام فسوف يصلى به ولا يبقى شيء مسه ظالم عندنا فيفسد علينا ديننا ، فقيل له : ما نكتب؟ فقال : اكتبوا (بسم الله الرحمن الرحيم ، من العبد المذنب سفيان بن سعيد بن المنذر الثوري ، إلى العبد المغدور بالأمال ، هرون الرشيد ، الذي سلب حلاوة الإيمان

أما بعد : فاني قد كتبت إليك أعرفك اني قد صرمت حبك ، وقطعت ودك ، وقللت موضعك ، فانك قد جعلتني شاهداً عليك باقرارك على نفسك في كتابك بما هجمت به على بيت مال المسلمين ، فأنفقته في غير حقه ، وأنفذته في غير حكمه ، ثم لم ترض بما فعلته وأنت ناء عنى حتى كتبت الي تشهدني على نفسك ، أما اني قد شهدت عليك أنا واخوانني الذين شهدوا قراءة كتابك ، وسنؤدي الشهادة عليك غداً بين يدي الله

تعالى . يا هرون هجمت على بيت مال المسلمين بغير رضاهم ، هل رضي ب فعلتك المؤلفة قلوبهم والعاملون عليها في أرض الله تعالى ، والمجاهدون في سبيل الله وابن السبيل ، أم رضي بذلك حملة القرآن واهل العلم والارامل والابيام ، أم هل رضي بذلك خلق من رعيتك ، فشد يا هرون مئزرك ، وأعد لمسألة جوابا ، وللبلاء جلبا ، واعلم انه ستقف بين يدي الحكم العدل ، رزئت في نفسك ، اذ سلبت حلاوة العلم والزهد ولذيد القرآن ومحالسة الاخيار ، ورضيت لنفسك ان تكون ظالما ، وللظالمين اماما . يا هرون قعدت على السرير ، ولبست الحرير ، وأسبلت سترا دون بابك ، وتشبهت بالعجبية برب العالمين ، ثم أقعدت اجنادك الظلمة دون بابك وسترك ، يظلمون الناس ولا ينصفون : يشربون الخمر ويشربون من يشربها ، ويزنون ويحدون الزاني ، ويسرقون ويقطعون السارق . افلا كانت هذه الاحكام عليك وعليهم قبل أن تحكم بها على الناس ! . فكيف بك يا هرون غدا ، اذا نادى المنادي من قبل الله تعالى : احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ، أين الظلمة وأعوان الظلمة ، فقدمك بين يدي الله تعالى ، ويداك مغلولتان الى عنقك ، لا يفكهما الا عدلك وانصافك ، والظالمون حولك ، وانك لهم سابق ، وامام الى النار . كأني بك يا هرون وقد أخذت بضيق الخناق ، ووردت المساق وانك ترى حسناتك في ميزان غيرك ، وسعيئات غيرك في ميزانك ، زيادة على سعيئاتك بلاء على بلاء ، وظلمة فوق ظلمة ، فاحتفظ بوصيتي واتعظ بموعظتي التي وعظتك بها . واعلم اني قد نصحتك ، وما ابقيت لك في النصح غاية ، فاتق الله يا هرون في رعيتك ، واحفظ محمدا صلي الله عليه وسلم في امته وأحسن الخلافة عليهم . واعلم أن هذا الامر لو بقى لغيرك لم يصل اليك ، وهو صائر الى غيرك وكذا الدنيا تنتقل بأهلها واحدا بعد واحد ، فمنهم من تزود زادا نفعه ، ومنهم من خسر دنياه وأخرته ، واني أحسبك يا هرون من خسر دنياه وأخرته ، فايات اياك أن تكتب لي كتابا بعد هذا فلا أجييك عنه والسلام .

قال عباد : فألقى الي الكتاب منشورا غير مطوي ولا مختوم ، فأخذته وأقبلت الى سوق الكوفة ، وقد وقعت الموعضة في قلبي ، فناديت يا أهل الكوفة ، فأجابوني ، فقلت لهم : يا قوم ، من يشتري رجلا هرب من الله الى الله ، فأقبلوا الي بالدنانير والدرارم فقلت : لا حاجة لي في المال ، لكن جبة صوف خشنة ، وعباءة قطوانية ، قال : فاتيت بذلك ، ونزعت ما كان علي من اللباس الذي كنت البسه مع امير المؤمنين ، وأقبلت أقود البرذون ، وعليه السلاح الذي كنت أحمله ، حتى أتيت باب امير المؤمنين هرون حافيا راجلا ، فهزا بي من كان على باب الغليفة ، ثم استؤذن لي ، فلما دخلت عليه وبصر بي على تلك العالة قام وقعد ، ثم قام قائما ، وجعل يلطم رأسه ووجهه ويدعو بالويل والحزن ، ويقول : انتفع الرسول وخاتم المرسل ، مالي وللدنيا ، مالي والملك يزول عنى سريعا ، ثم القيت الكتاب اليه منشورا كما دفع الي ، فأقبل هرون يقرؤه ، ودموعه تندر من عينيه ، ويقرأ ويشهق ، فقال بعض جلسايه : يا امير المؤمنين ، لقد اجترأ عليك سفيان ، فلو وجهت اليه ، فأثقلته بالعديد ، وضيقتك عليه السجن ، كنت تجعله عبرة لغيره ، فقال هرون : اتركونا يا عبيد الدنيا ، المفرور من غررتموه ، والشقي من أهلكتموه وان سفيان أمة وحده ، فاتركوا سفيان وشأنه ، ثم لم يزل كتاب سفيان الى جنب هرون يقرؤه عند كل صلاة حتى توفي رحمه الله (١٨٢) .

١٢ - وعن سفيان الثوري أيضا قال : أدخلت على أبي جعفر المنصور بمنى ، فقال لي : ارفع اليها حاجتك ، فقلت له : اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا ، قال : فطأطأ رأسه ثم رفعه ، فقال : ارفع اليها حاجتك ، فقلت : انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار ، وابناؤهم يموتون جوعا ، فاتق الله وأوصل اليهم حقوقهم فطأطأ رأسه ثم رفعه فقال : ارفع اليها حاجتك ، فقلت : حج عمر بن الخطاب رضي

(١٨٢) انظر : احياء، علوم الدين المجلد الثاني ص ١٢٦٨ - ١٢٧١ .

الله عنه فقال لخازنه : كم أنفقت ؟ قال : بضعة عشر درهما ، وأرى هنا أموالا لا تطيق الجمال حملها ، وخرج (١٨٨) .

١٣ - ودخل اعرابي على سليمان بن عبد الملك ، فقال : تكلم يا اعرابي ، فقال : يا أمير المؤمنين : اني مكلمك بكلام فاحتمله وان كرهته ، فان وراءه ما تحب ان قبلته ، فقال : يا اعرابي انا لنجدو بسعة الاحتمال على من لا نرجو نصحه ، ولا نأمن غشه ، فكيف بمن نأمن غشه ونرجو نصحه ؟

فقال الاعرابي : يا أمير المؤمنين ، انه قد تكفلت رجال أساءوا الاختيار لانفسهم وابتاعوا دنياهم بدينهم ، ورضاك بسخط ربهم ، خافوك في الله تعالى ، ولم يخافوا الله فيك ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله تعالى عليه ، فانهم لم يأولوا في الامانة تضييعا ، وفي الامة خسفا وعسفا ، وأنت مسؤول عما اجترحوا ، وليسوا بمسؤولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك ، فان اعظم الناس غبنا من باع آخرته بدنيا غيره . فقال له سليمان : يا اعرابي أما انك قد سللت لسانك وهو أقطع سيفيك ، قال : أجل يا أمير المؤمنين ، ولكن لك لا عليك (١٨٩) .

١٤ - ( ومن ذلك أنه لما خرج الظاهر بيبرس إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم ، فكتب له فقهاء الشام بذلك ، فأجازوه ، فقال : هل بقي من أحد ؟ فقيل له : نعم ، بقي الشيخ معيي الدين التوسي ، فطلبه فحضر ، فقال له : اكتب خطك مع الفقهاء فامتنع ، فقال : ما سبب امتناعك ؟ فقال : أنا أعرف انك كنت في الرق للامير « بندقدار » وليس لك مال ، ثم من الله عليك ، وجعلك ملكا ، وسمعت عنك ألف مملوك ، كل مملوك له حياضة من ذهب ، وعندك مائتا جارية ، لكل جارية حق من الحلي ، فإذا انفقت ذلك كله ، وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلا من

(١٨٨) احياء علوم الدين - المجلد الثاني ص ٩٠٤ .

(١٨٩) احياء علوم الدين . المجلد الثاني ص ٩٠٦ ، عيون الاخبار - المجلد الثاني ص ٣٧٧ .

العواصص ، وبقيت الجواري بثيابهن دون العللي ، أفتتيتك بأخذ المال من الرعية . فغضب الظاهر من كلامه وقال : أخرج من بلدي ، يعني دمشق ، فقال : السمع والطاعة ، وخرج الى (نوى) ، فقال الفقهاء : ان هذا من كبار علمائنا وصلحائنا ومن يقتدى به ، فأعاده الى دمشق ، فرسم برجوته . فامتنع الشيخ وقال : لا أدخلها والظاهر فيها ، فمات بعد شهر (١٩٠) .

١٥ - ( ويدرك المؤرخون الثقات أن الملك اسماعيل خاف من نجم الدين بن أيوب حاكم مصر ، فتحالف مع الافرنج الصليبيين ليساعدوه على نجم الدين ، وسلم اليهم لقاء هذه المساعدة قلعة صفد وبلادها ، وقلعة الشقيف وبلادها ، ومناصفة صيدا وطبرية وأعمالها ، وجبل عامر وسائر بلاد الساحل ، كما أذن الملك للفرنج في دخول دمشق وشراء السلاح .

فقام العز بن عبد السلام ، سلطان العلماء ، وحاسب الملك اسماعيل على فعلته المذكورة ، من على المنبر في يوم الجمعة ، وذم الملك على هذه الغيانة ، وكشف خطورتها لlama ، وقطع من الخطبة الدعاء له ، وكان الدعاء للسلطان رمز الولاء والطاعة له ، وصار يدعون في الخطبة بدعاء منه : « اللهم أبِرْمْ لهذه الأمة ابرام رشد يعز فيه أولياؤك ، وتذل فيه أعداؤك ، ويعمل فيه بطاعتكم ، وينهى فيه عن معصيتك » ، والناس يضجون بالدعاء .

وكان الملك اسماعيل غائبا عن دمشق ، فأخبر بذلك ، فورد كتابه بعزل العز بن عبد السلام عن الخطابة ، واعتقاله ، وجعل عقابه بالإقامة الجبرية في داره ، وان لا يفتني الناس (١٩١) .

١٦ - ومن مواقف الجهر بالحق ومحاسبة العلماء للحكام موقف ابن تيمية رحمه الله تعالى من غازان التترى ، رابع ملك مسلم من التتار :

(١٩٠) ذكره البدرى في « الاسلام بين العلماء والحكام » ص ١٠١ .  
(١٩١) الاسلام بين العلماء والحكام ص ٧٦ ، ٧٧ نقلًا عن طبقات السبكي وغيره .

( فقد وردت الانباء في اواخر سنة ٦٩٨ هـ بنزف غازان التترى وجيشه من ايران نحو حلب ، وفي وادي سلمية يوم ٢٧ ربیع الاول من سنة ٦٩٩ هـ التقى جمع غازان بجمع الناصر بن قلاوون ، وبعد معركة حامية الوطيس هزم جمع الناصر وولي العهد وأمراؤهم الادبار ، ونزع اعيان دمشق الى مصر ، حتى خلت دمشق من حاكم أو أمير أو أعيان البلاد . ولكن شيخ الاسلام بقي صامدا في عامة الناس ، فاجتمع شيخ الاسلام مع من بقي من اعيان البلاد . واتفق معهم على تولي الامور . وان يذهب هو على رأس وفد من الشام لمقابلة غازان . فقابلته في بلدة النبك ودارت بينهما مناقشة عنيفة . وحاسب شيخ الاسلام غازان على تصرفه ونكثه للعهد وكلمه كلاما قويا شديدا ، ذكره ابن كثير في البداية والنهاية ، وفصله كما سمعه من الشيخ ابي عبد الله محمد بن عمر البالسي الذي كان من اعضاء وفد المقابلة :

قال الشيخ البالسي : ان الشيخ ابن تيمية قال لغازان ، وترجمانه يترجم كلام الشيخ : أنت تزعم أنك مسلم ومعك قاض وامام وشيخ ومؤذنون على ما بلغنا فغزوتنا وبلغت بلادنا . على ماذا ؟ وابوك وجدك كانوا كافرين . وما غزوا بلاد الاسلام بعد أن عاهدونا ، وأنت عاهدت فدررت . وقلت بما وفيت . وجرت لابن تيمية مع غازان امور قام بها ابن تيمية كلها لله ، وقال العق ولم يغش الا الله عز وجل .

نم قرب غازان الى الوفد طعاما فأكلوا الا ابن تيمية ، فقيل له الا تأكل ؟ فقال : كيف أكل من طعامكم وكله ما نهبت من أغنام الناس وطبختموه بما قطعتم من أشجار الناس ؟

وغازان مصفع لما يقول الشيخ ، شاخص اليه لا يعرض عنه ، وان غازان من شدة ما اوقع في قلبه من الهيبة والمحبة سأله : من هذا الشيخ ؟ اني لم ار مثله ولا أثبت قلبا منه ، ولا أوقع من حديثه في قلبي ، ولا رأيتني اعظم انقيادا لأحد منه . فأخبر بحاله ، وما هو عليه من العلم والعمل . ثم طلب منه غازان الدعاء . فأخذ ابن تيمية يدعوه فقال :

اللهم ان كان عبدك هذا انما يقاتل لتكون كلمتك العليا ، وللذين  
الدين كله لك . فانصره وأيده . وملكه البلاد والعباد ، وان كان قد قام  
رياء وسمعة وطلبا للدنيا . وللتكون كلمته هي العليا ، وللذل الاسلام  
وأهلها . فخذه وزلزله ودمره واقطع دابرها ، وغازان يؤمن على دعائه ،  
ويرفع يديه . قال **البالسي** : فجعلتنا تجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدم  
ابن تيمية اذا أمر بقتله . فلما خرجنا من عنده قال قاضي القضاة نجم  
الدين وغيره : كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك ، والله لا نصحبك من هنا ،  
فقال : واني والله لا أصحبكم . قال **البالسي** : فانطلقوا عصبة وتأخر  
هو في خاصة نفسه ومعه جماعة من اصحابه . فتسامعت به الغواتين  
والأمراء أصحاب غازان ، فأتوه يتبركون بدعائه ، وهو سائر الى دمشق ،  
ووالله ما وصل الى دمشق الا في نحو ثلاثة فارس في ركابه ، و كنت  
أنا من جملة من كان معه . واما اولئك الذين أبوا أن يصحبوا فخرج  
عليهم جماعة من التتار فشلحوهم ( اي سلبوهم ثيابهم وما معهم )<sup>(١٩٢)</sup> .

١٧ - ومن هذه المواقف موقف الامام ابي حامد الغزالى من السلطان  
«سنجر بن ملك شاه» السلاجوقى الذي كان يحكم خراسان ، فقد قال له  
مرة :

«أسفا ! ان رقاب المسلمين كادت تنقض بالمصابب والضرائب ،  
ورقاب خينك كادت تنقض بالاطواف الذهبية »<sup>(١٩٣)</sup> .

١٨ - ومن هذه المواقف الموقف الذي وقفه الاستاذ حسن الهضيبي  
المرشد العام للاخوان المسلمين ، من جمال عبد الناصر ، رئيس الحكومة  
المصرية ، في عام ١٩٥٤ ، حيث تأزمت الامور ، وامتلأت مصر بالشائعات ،  
وكممت الافواه ، وخفقت الحريات ، وانتشر الظلم والعدوان ، فبعث  
الاستاذ حسن الهضيبي خطابا الى الرئيس المذكور يأمره بالمعروف وينهيه  
عن الفساد والافساد ، وهذا نصه :

(١٩٢) ذكره البدرى في « الاسلام بين العلماء والحكام » من ٧٨ - ٧٩ . نقل عن البداية والنهاية وعن مختصر منهاج السنة للذهبي .

(١٩٣) نقله عن رسائل الغزالى بالفارسية ابو الحسن التدوى في « رجال الفكر والدعوة في الاسلام » من ٢٠٨ .

( السيد جمال عبد الناصر رئيس مجلس الوزراء . السلام عليكم  
ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فاني ما زلت أحبيك بتعية الاسلام ، وأقرئك السلام ، وما زلت ترد على التعية بالشتائم واتهام السرائر ، واختلاق الواقع ، واحفاء العقائق والكلام المعاد الذي سبق لكم قوله والاعتذار عنه . وليس ذلك من أدب الاسلام ولا من شيم الكرام . ولست أطمع في نصحك بان تلزم العق ، فذلك أمر عسير ، وأنت حر في أن تلقى الله تعالى على ما تريده أن تلقاء عليه . ولكنني أريد أن أبصرك بأن هذه الأمة قد ضاقت بخنق حريتها وكتم أنفاسها ، وانها بعاجة الى بصيص من نور يجعلها تؤمن بانكم تسلكون بها سبل الغير ، وأن غيركم يسلكون بها سبل الشر والهدم والتدمير الى آخر ما تنسبون اليهم .

ان الأمة في حاجة الان الى القوت الضروري ، القوت الذي يزيل عن نفسها الهم والغم والكرب . انها في حاجة الى حرية القول . فمهما قلتم : انكم أغدقتم عليها من خير ، فانها لن تصدق الا اذا سمحتم لها بأن تقول أين الخير وسمحتم لها أن تراه ، ومهما قلتم انكم تحكمونها حكما ديمقراطيا ، فانها لن تصدق ، لانها محرومة من نعمة الكلام والتعبير عن الرأي .

واذا حققتم ذلك ، فاننا نعدكم بأن نذكر العقائق ولا نغاف من نشرها ، ونصدق القول ، ولا نشوبه بالكذب والبهتان والاختلاق ، ولا نتهم لكم سريرة ولا نبادر لكم فيما تضمرون وتدخرون في أنفسكم ، ولا نجاري بعض وزرائك فيما يكتبون من غثاثة واسفاف . وانما نعدكم – كما هو شأننا – بأن نناقش المسائل مناقشة موضوعية على ما تعطيه الواقع التي ترضونها أو تتصدر عنكم . أما أن تعطوا أنفسكم العق في الكلام وتحرموا الناس منه ، واما ان تفرضوا آراءكم بالسلاح على الأمة فشيء لا يعقله الناس ، ولا ترضاه الأمة .

أيها السيد : ان الأمة قد ضاقت بحرمانها من حريتها ، فأعيدوا اليها حقها في الحياة . اذا كان الغضب على المضيبي وعلى الاخوان المسلمين قد أخذ منكم كل مأخذ ، فلهم الحق أن تفضوا ، وهذا شأنكم ، ولكن لا حق لكم في أن تحرضوا الناس على الاخوان المسلمين وتغزونهم بهم ، وليس ذلك من كياسة رؤساء الوزارات في شيء فانه قد يؤدي الى شر مستطير وبلاء كبير ، ومن واجبكم أن تعافضوا على الناس مخاطئهم ومصيبيهم ، وأن تجمعوا شمل الأمة على كلمة سواء . وانكم لا شك تعلمون ان الاخوان المسلمين حملة عقيدة ليس من الهين ان يتربكوا ولا أن يتربكوا الدفاع عنها ما وجدوا الى الدفاع سبيلا ، فاغراء بعض الأمة بهم وتحريضهم عليهم من الامور التي لا تؤمن عواقبها .

وانني أؤكد لكم أن في وسعتكم أن تمشي ليلا او نهارا وحدك بلا حراس وفي أي مكان دون أن تخشى أن تمتد اليك يد أحد من الاخوان المسلمين بما تكره . أما أن يمد انصارك أيديهم بالسوء اليهم ، استجابة الى اغرايكم فان مسؤوليتكم عند الله عظيمة .

ولعل الذي حمله على العداوة والبغضاء للاخوان المسلمين هو انهم عارضوا المعايدة ، فالاخوان المسلمون لن يؤمنوا بها دون أن تناقش في برلمان منتخب انتخابا حرا يمثل الأمة أكمل تمثيل .

وخير لكم وللأمة الا تخدعوا انفسكم عن الحقائق ، فان الأمة قد بلغت من حسن الرأي ومن النضج مبلغا يسمح لها بأن لا يتصرف أحد في شؤونها دون الرجوع اليها والأخذ برأيها ، والسلام عليكم ( ١٩٤ ) .

### تعقيب :

ان المتذمرين لتلك المواقف التي ذكرناها ، وأمثالها كثير جدا ، يستطيع أن يدرك أمرتين مهمتين :

( ١٩٤ ) انظر مجلة الدعوة ، العدد السابع ، السنة السادسة والعشرون ، غرة المحرم ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٦ م ، ص ١٤ ، ٢٥ .

الاول : ان الخلفاء المسلمين ، وحكامهم الذين كانوا قبل القضاء على الخلافة الاسلامية ممن عاصروا اولئك العلماء الابرار ، لم يكونوا يكرهون الاسلام ، ولا كانوا يبغون عنه بديلا ، ولا كانوا يتولون كافرا يظاهرون على شعوبهم ، ولم يحاولوا يوما من الايام تغيير احكام الشرع ، او تبديل حكم من احكام الاسلام ، او استبدال نظام من أنظمته الربانية ، بنظام دخيل صنعته اهواء البشر .

بل كانوا يطبقون شرع الله ، ويأخذون المسلمين بانظمته وحدوده ، ويعلنون العرب على اعدائهم ، وينشرون دعوة الله في الارض ، ويدافعون عن ديار الاسلام ولا يفرطون بشيء من اراضيها او اهلها .

ولذلك فانك لاحظت انهم كانوا يحسبون لعلماء المسلمين حسابا وكانت كلمات اولئك تؤثر في قلوبهم في كثير من الاحيان . بل تراهم أحيانا يقصدون العلماء بأنفسهم ، ليروا من خلالهم مقدار قربهم أو بعدهم من الله تعالى ودينه ، وكل ذلك يدل على أن حرارة الايمان لم تخدم في صدور اولئك الحكماء ، ولا ماتت بذرته .

بل انك تلاحظ خوف كثير منهم من الله عز وجل واليوم الآخر والعذاب بعد الذكرى التي كانوا يسمونها من اولئك العلماء . وان العبد اذا انتفع بالذكرى فتلك علامة الايمان ، كما قال الله تبارك وتعالى : ( وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ) <sup>(١٩٥)</sup> .

ولكن بعض اولئك الحكماء وقع منهم انحرافات واساءات ، وخدعهم الدنيا بعض الشيء ، فاتبعوا اهواءهم في بعض الامور ، حرضا على الحكم والسلطان ، وان فتنة السلطان من اعظم الفتنة التي يبتلي بها المؤمنون . فكان من اولئك مظالم وسعيئات ، استفزت حفيظة حراس دين الله في الارض ، وهم العلماء فوقوا لهم يصوبونهم ، ويصدونهم ويذرونهم ، بالليل حينا وبالشدة حينا آخر .

الامر الثاني : ان علماء السلف ، في جملتهم . لم يتهاونوا فيما كانوا يرون من انحراف الحكام ، وخروجهم عن سوي الصراط . ولم يكونوا ينتظرون حتى يخرج اولئك الحكام من دين الله عز وجل ، نو حتى يستشري الفساد في الارض . يل كانوا يقفون امام كل انحراف ، وكل ظلم ، واي فساد يصدر عن الحكام . خوفا من اتساع الخرق وازدياد الانحرافات ، وتفشي الفساد . وقد كان لصنيعهم هذا اجل الاثر في بقاء دولة الاسلام تلك القرون المطلاولة ، باذن الله سبحانه وتعالى ، وجعل كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كفروا السفل ، وبقاء هيبة الاسلام في قلوب الحكام أنفسهم .

ولو أنهم تقاعسوا عن الجهر بالحق في أول الامر ، وسكتوا عن اساءات الحكام لما تلت قلوبهم ، وهان عليهم دين الله . وسقطت هيبة العلماء من نفوسهم ، وهو ما حدث في العصور الاسلامية المتأخرة ، حيث كان الخرق يتسع بقدر ما يتخلى العلماء عن واجبهم ، حتى تمزقت دولة المسلمين على أيدي أعدائهم وزُرعت أشلاء تلك الدولة الممزقة على أمراء لا يهمهم أمر الاسلام ، ولا امر المسلمين . وانما كان سعيهم وكدهم ونضالهم ، دائمًا من اجل بقاء حكمهم وسلطانهم ، وهنا وقع الناس في بلاء عظيم ، وأصابتهم أم المصائب ، وحرموا من العيش في ظلال الاسلام وأحكامه ومناهجه وآخلاقه . وهي محنّة لا ينقدّهم منها مجرد كلمة حق عند سلطان جائر ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وان ظلت هذه الكلمة أفضى للجهاد عند الله تعالى ، كما أخبر المصطفى عليه الصلاة والسلام .

ذلك انه عندما يوصد الحكام ابوابهم أمام العلماء ، ولا يمكنون احدا من أهل العلم من تذكيرهم ، كالذين استغشوا ثيابهم ، وهم يستكبارون . وعندما يغدو ذكر الله عز وجل واليوم الآخر لا يحدث في قلوب الحكام أي أثر . وعندما تتعطل أجهزة الاستقبال عند الحكام ، فلا تستقبل الا ما يرضي غرورهم واستكبارهم في الارض . وعندما يتولى الحكام أعداء الله وأعداء الاسلام من أهل الكتاب وغيرهم من الكفار فيغدون

عملاً لهم ، لا لله ، ولا لعباده المسلمين . وعندما تصبح خطة الحكام قائمة على ابعاد الناس عن دينهم تحت شعارات مختلفة ويصبح حكمهم يقوم على الامر بالمنكر وانكار المعروف . . .

في مثل هذه الحالة لا ينفع في مثل هؤلاء الحكام الشاردين عن هدى الله عز وجل مجرد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر باللسان ، لأن قلوبهم غدت مغلقة بأقفال الهوى ، فلن يسمعوا من أحد كلمة حق ، وان سمعوها صدفة او كرها تولوا وهم معرضون ، فان الذي تنفعه الذكرى من يستمع بقلب واع قاصد للخير ، وقد قال الله تبارك وتعالى : ( انما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون ) (١٩٦) .

وقال عز وجل : ( سأصرف عن آياتي الذين يتکبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبیل الرشد لا يتخدوه سبیلا ، وان يروا سبیل الغی يتخدوه سبیلا ، ذلك بأنهم كذبوا آياتنا وکانوا عنها غافلين ) (١٩٧) .

ومن هنا نعود لنؤكد مرة أخرى انه ليس امام المؤمنين الصادقين . في مثل تلك الحالة ، الا ان يعملا مجتمعين لاقصاء الحكام الظالمين عن مراكز القيادة وتسليمها للذين لا يريدون علوها في الارض ولا فسادا ، والذين اذا مكنتهم الله العلي القدير في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزکاة وأمرروا بالمعروف ونهوا عن المنكر .

فإذا عادت المياه الى مجاريها ، ورد الامر الى أهله ، واستلم الزمام آناس تنفعهم الذكرى ، كان على العلماء أن يساعدوهم على حمل الامانة ويسوّبوا لهم اذا وقعوا في الخطأ ، او مال بهم الهوى .

---

(١٩٦) الانعام - الآية ٣٦ .

(١٩٧) الاعراف - الآية ١٤٦ .

## خاتمة

### ضرورة الجهاد بجميع انواعه

يتضح مما تقدم من الابحاث السابقة ان الجهاد بمعناه العام الشامل هو في حقيقته الجانب العملي العركي من الاسلام .

وان لكل نوع من انواعه ، وميدان من ميادينه ، ثغرة خاصة من ثغرات الدعوة الاسلامية يحميها ، وهدفا خاصا يتحققه .

وان هذه الانواع في مجموعها متكاملة ، يقود بعضها الى بعض ، وكل واحد منها مشروع لتحقيق الهدف الاسمى لدعوة الاسلام ، وهو تحقيق العبودية الكاملة لله تعالى : في الافراد والجماعات والمجتمعات ، وفي داخل النفس وخارجها .

غير أن كلا منها يتعامل مع صنف خاص من الاعداء الذين يصدون عن تحقيق ذلك الهدف ، فيزكيه من الطريق او يحد من فاعليته ، والكل يلتقي عند جعل العبودية خالصة لله تعالى ، ورفع كلمة الله سبحانه في الارض ، وجعلها هي العليا ، بأن تكون هي المرجع الوحيد للبشرية في جميع نشاطاتها .

ومن هنا كان لكل نوع من تلك الانواع اهميته الخاصة ، وكانت حاجة المؤمنين الى ممارسة كل منها حاجة ماسة .

والمجتمع الذي يسعى لان يكون مجتمعا اسلاميا وربانيا لا بد له ان يجاهد في الله حق جهاده ، كما قال تعالى : ( وجاهدوا في الله حق جهاده )<sup>(١)</sup> وحق الجهاد هو التصدي لكل عدو يقف أمام دعوة الله ، وممارسة جميع الانواع التي سلف بيانها وتفصيلها من الجهاد ، فان ترك ثغرة من تلك الثغور ، وفسح المجال لعدو من اولئك الاعداء لم يكن مجتمعا اسلاميا خالصا ، وبقدر ما يفوت المجتمع من انواع

(١) الحج - الآية ٧٨ .

الجهاد يبعد عن اتصفه بالربانية ، وعن تحقيق معنى العبودية لله عز وجل ٠

ولذلك كان حث الشارع على جميع تلك الانواع ، فجاءت النصوص القرآنية والاحاديث النبوية تأمر بكل نوع منها، وتبين فضله وضرورته، والترغيب فيه ، والترهيب من التقاус عنده ، وقد رأيت جانبا من تلك النصوص ٠

والواقع أن ارتباط تلك الاشكال الجهادية ، بعضها ببعض ، وثيق جدا ، ولا يعني ما تقدم من التقسيم والتصنيف لها ان بعضها منفصل ومستقل عن بعض ، بل كل شكل منها يتضمن في حقيقته قدرها من الاشكال الاخرى ، او يرتبط بالانواع الاخرى برباط السببية او الشرطية او غيرهما :

ـ فجهاد النفس هو ، في حقيقته ، اصل تلك الانواع جمیعا ، وهي متفرعة عنه ومحتمدة عليه ، فهو بذرتها ، وهو شرطها ، وهو عدتها ، يقول ابن قيم الجوزية : ( ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا على جهاد العبد نفسه في ذات الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَ نَفْسَهُ فِي ذَاتِ اللهِ وَالْمَهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ » ، كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج واصلا له ، فانه مالم يجاهد نفسه اولا ، لتفعل ما امرت به ، وتترك ما نهيت عنه ، ويحار بها في الله لم يمكنه جهاد عدوه في الخارج ) (٢) ٠

ـ واما جهاد الشيطان فهو ضروري للتمكن من جهاد النفس وجهاد اعداء الله في الخارج ، لان الشيطان عدو يثبط الانسان عن جهاد نفسه وجهاد الكفار والمنافقين والفاسقين ، ولا بد للعبد من جهاده والتغلب عليه اذا اراد ان يتغلب على شهوات نفسه ، وعلى كل عدو يصد عن سبيل الله تعالى . يقول ابن القيم ببيانا لهذا المعنى بعد ان بين اهمية حهاد النفس وجهاد اعداء الله في خارج الانسان :

(٢) زاد الماء ج ٢ من ٣٨

( وبينهما عدو ثالث لا يمكنه جهادهما الا بجهاده ، وهو واقف بينهما يشبط العبد عن جهادهما ، ويخذله ويرجف به ، ولا يزال يخيل له ما في جهادهما من المشاق وترك الحظوظ ، وفوت اللذات والمشتهيات ، ولا يمكنه أن يجاهد ذينك العدوين الا بجهاده ، فكان جهاده هو الاصل وهو الشيطان ، قال تعالى : « ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا » والامر باتخاذه عدوا تنبئه على استفراغ الوسع في معارضته ومجاهدته ٠ ٠ ٠ )<sup>(٢)</sup> ٠

- واما جهاد الكفار والمنافقين وأهل المنكر فهو مشتمل على جميع انواع الجهاد ، لانه جهاد النفس على التضحيه باللذة العاجلة في سبيل السعادة الابدية ، وهو في حقيقته مشتمل على جميع انواع العبادات الباطنة والظاهرة ، فهو مشتمل على معبة الله عز وجل ، والاخلاص له والتوكل عليه ، وتسليم النفس والمال له سبحانه والصبر والزهد ، غيرها<sup>(٤)</sup> ٠ وكذلك فانه جهاد للشيطان الذي يزين القعود ويمني بالسلامة العاجلة ٠

الا انه من الجدير بالذكر ان هذا لا يعني تساوي الجهاد واشكاله من حيث الاجر والفضل عند الله تعالى . ومن حيث القيمة في ميزانه سبحانه يوم ينصبه لوزن اعمال العباد ٠

والمعيار ، كما تشير اليه بعض الآيات والاحاديث . في بيان قيمة جهاد المؤمن عند الله تعالى ، هو مقدار التضحيه التي يقدمها بجهاده في سبيل الله تعالى : فما كان أشد تضحيه كان أفضل عند الله عز وجل ، وأثقل في ميزانه سبحانه لدلالته على قوة الايمان بالله . وشدة الثقة بما عنده ٠

ولا شك في ان التضحيه بالنفس هي أعلى انواع التضحيه وأكرها عند الباري تبارك وتعالى . اذ أثمن ما يملك العبد نفسه ، وهي اصل كل شئ ، ومرجع كل لذة في هذه الحياة الدنيا . فمن ضحى بها فقد

(٢) المرجع السابق ٠

(٤) السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١١٨ ٠

بذل كل ما يملك ، ولم يستبق لنفسه شيئاً ، وإنما قدمه في سبيل ربه ،  
فإن كانت نيته خالصة لله تعالى ، كان أكرم الشهداء عند رب العباد ٠

ولذلك قال الله تعالى : ( لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولئك  
الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين  
على القاعددين أجرًا عظيمًا ) <sup>(٥)</sup> ٠

وقال عز وجل : ( أجعلتم سقایة الحاج وعمارة المسجد العرام كمن  
آمن بالله واليوم الآخر وجاحد في سبيل الله ، لا يستوون عند الله ، والله  
لا يهدي القوم الظالمين ٠ الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله  
بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون ) <sup>(٦)</sup> ٠

ولذلك فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجهاد بالنفس على  
الحج ، وجعله بعد الإيمان <sup>(٧)</sup> ٠ ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه  
وسلم أنه سُئل : أي الاعمال أفضل ؟ قال : إيمان بالله ورسوله ، ثم  
جهاد في سبيله ٠ قيل : ثم ماذا ؟ قال : ثم حج مبرور ٠ وقد روى الإمام  
مسلم في صحيحه عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال : ( رباط يوم وليلة في سبيل الله خير من صيام شهر  
وقيامه ، ومن مات مرابطًا مات مجاهدا ، وأجري عليه رزقه من الجنة ،  
وأمن الفتان ) وقد قال أبو هريرة رضي الله عنه : لان ارابط ليلة في  
سبيل الله أحب إلى من أن أقوم ليلة القدر عند العجر الأسود <sup>(٨)</sup> ٠

ولذلك أجمع العلماء على أن المقام في ثغر المسلمين أفضل من  
المجاورة في المساجد الثلاثة <sup>(٩)</sup> ، لأن الرباط ، هو في الواقع ، نوع من  
التضحية بالنفس أو استعداد لها ٠

(٥) النساء - الآية ٩٥ ٠

(٦) التوبة - الآيات ١٩ ، ٢٠ ، ٢٧٧ ٠

(٧) فتح القدير ج ٤ ص ٢٧٧ ٠

(٨) ذكر هذه الأحاديث والأخبار ابن تيمية في مجموع الفتاوى - المجلد الثامن والعشرون ص ٦ ، ٥ ، وكلها

أحاديث صحيحة كما ذكر ٠

(٩) المرجع السابق ٠

ولهذا السبب نفسه أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام ان من أعلى مراتب الجهاد قول الحق أمام أهل الجور من العكاظ ، لما في ذلك من تعریض النفس للخطر .

كذلك فان هذا يفسر ذلك الترتيب الذي ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام في حديثه الشريف : ( من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الايمان ) ، فان في الرتبة الاولى تضعيه أشد من الرتبة الاخرى ، ويخف هذا في الجهاد باللسان ، ثم في الجهاد بالقلب ، ولذلك كان اضعف الايمان . ولكن كون الجهاد بالقلب أضعف الايمان ، وأدنى مراتب الجهاد لا يعني انه ليس ضروري ، بل هو ضروري ، لانه العد الفاصل بين الايمان والكفر كما تقدم ، فالقلب اذا لم يعرف المعرفة ولم يحب اهله ، ولم يكره المنكر ولا اهله فسد ، وربما آل به الامر الى حب المنكر وكراهية المعرفة والغير ، وهذا عنوان الكفر والعياذ بالله تعالى .

### الجهاد مادة الابتلاء لمعرفة الصادقين :

ولتعلم ، أيها الاخ القاريء ، ان الله عز وجل هو العزيز الجبار الذي لا يعجزه احد من مخلوقاته ، وانه لو شاء لانتقم من اولئك الاعداء ، او لأجبرهم على السير في دروب الهدى ، كما قال سبحانه : ( ولو شاء الله لجعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين ) ( ١٠ ) .

ولكن الله عز وجل ابتلى الذين يدعون الايمان ، ومحبة الله عز وجل وتقديمها على محبة غيره ، بهؤلاء الاعداء ، وسلطها عليهم امتحانا لهم وابتلاء . ولكن سبحانه لم يترك عباده عزلا من السلاح ، وانما اعطاهم مدد وعده واعوانا وسلاحا لهذا الجهاد ، كما اعطى اعداءه مدد وعده واعوانا وسلاحا ، و بلا احد الفريقين بالآخر وجعل بعضهم لبعض فتنه ليبلو أخبارهم ، ويختبر من يتولاه ويتولى رسليه من يتولى الشيطان وحزبه ( ١١ ) .

( ١٠ ) الانعام - الآية ٣٥ .

( ١١ ) انظر : زاد المغاد ج ٢ ص ٣٨ .

ولقد أشار الله تعالى الى هذا المعنى في كثير من الآيات الكريمة ، من ذلك قوله تعالى : (وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا )<sup>(١٢)</sup> ، وقوله تعالى : ( ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليبلو بعضكم ببعض )<sup>(١٣)</sup> .

وأعطى الله عباده الاسماع والابصار والقول والقوى ، وأنزل عليهم كتبه ، وارسل اليهم رسليه ، وأمدهم بملائكته ، وأمدتهم بالهدى في العقائد والاقوال والاعمال والمناهج والاحكام .

### الابلاء سنة الله في عباده :

والواقع أن الابلاء هو سنة الله في خلقه ، سواء في ذلك مؤمنهم وكافرهم ، وبرهم وفاجرهم قال تعالى : ( وكذلك جعلنا لكلنبي عدوا شيئاً لانسان والجن )<sup>(١٤)</sup> ، وقال ايضاً : ( كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون ، أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون )<sup>(١٥)</sup> ، وقال عز وجل : ( وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا ، أليس الله بأعلم بالشاكرين )<sup>(١٦)</sup> ، وقال : ( ألم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ، مستهم البأساء والضراء ، وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، الا ان نصر الله قريب )<sup>(١٧)</sup> ، وتدبر هذه الآيات من سورة العنكبوت .

( ألم ، أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا : آمنا ، وهم لا يفتنون . ) ولقد فتنا الذين من قبلهم ، فليعلمن الله الذين صدقوا ، ولعلمن الكاذبين . ألم حسب الذين يعلمون السينيات أن يسبقونا ، ساع ما يحكمون . من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات ، وهو السميع العليم .

(١٢) الفرقان - الآية ٢٠ .

(١٣) محمد - الآية ٤ .

(١٤) الانعام - الآية ١١٢ .

(١٥) النازيات - الآياتان ٥٢ ، ٥٣ .

(١٦) الانعام - الآية ٥٣ .

(١٧) البقرة - الآية ٢١٤ .

ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لفني عن العالمين ٠ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزئينهم احسن الذي كانوا يعملون ٠٠٠ ) الى قوله تعالى : ( ومن الناس من يقول : آمنا بالله ، فاذا اوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، ولئن جاء نصر من ربك ليقولن : انا كنا معكم ، او ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين ) <sup>(١٨)</sup> ٠

يقول ابن قيم الجوزية ، رحمة الله تعالى ، في ظلال تلك الآيات الكرييات : ( فليتأمل العبد سياق هذه الآيات ، وما تضمنته من العبر . وكنوز الحكم : فان الناس اذا ارسل اليهم الرسل بين أمرین : اما ان يقول أحدهم : آمنا ، واما أن لا يقول ذلك ، بل پستمر على السيئات والكفر ٠ فمن قال : آمنا ، امتحنه ربه وابتلاه وفتنه ٠ والفتنة الابتلاء والاختبار ليتبين الصادق من الكاذب ٠ ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه ، فإنه انما يطوي المراحل في يديه ٠

وكيف يفر المرء عنه بذنبه اذا كان يطوي في يديه المراحل فمن آمن بالرسل وأطاعهم عاده أعداؤهم ، وأذوه ، فابتلي بما يؤلمه ، وان لم يؤمن بهم ولم يطعهم عوقب في الدنيا والآخرة ، فحصل له ما يؤلمه ، وكان هذا المؤلم أعظم وأدوم من ألم اتباعهم ، فلا بد من حصول الالم لكل نفس آمنت ، او رغبت عن الايمان ٠ لكن المؤمن يحصل له الالم في الدنيا ابتداء ، ثم يكون له العاقبة في الدنيا والآخرة ٠ والعرض عن الايمان يحصل له المذلة ابتداء ، ثم يصير في الالم الدائم ٠ وسئل الشافعی رحمة الله : أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى ؟ فقال : لا يمكن حتى يبتلى ٠ والله تعالى ابتلى أولى العزم من الرسل فلما صبروا مكنهم ٠ فلا يظن أحد انه يخلص من الألم البتة ، وانما تفاوت أهل الالم في العقول ، فأعقلهم من باع ألمًا مستمراً عظيماً بألم منقطع يسير ، وأشقاهم من باع الألم المنقطع يسير بالألم العظيم المستمر ٠ فان قيل : كيف يختار العاقل هذا ؟ قيل : العامل له على هذا النقد والنسبيّة ، والنفس

<sup>(١٨)</sup> العنكبوت – الآيات من ١ - ١٠ ٠

موكلة بالعاجل « كلا بل تعجبون العاجلة ، وتدرون الآخرة »<sup>(١٩)</sup> « ان هؤلاء يعجبون العاجلة ويدرون وراءهم يوما ثقيلا »<sup>(٢٠)</sup> . وهذا يحصل لكل أحد ، فان الانسان مدنى بالطبع ، لا بد له أن يعيش مع الناس ، والناس لهم ارادات وتصورات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، وان لم يوافقهم آذوه وعدبوه ، وان وافقهم حصل له الاذى والعقاب ، تارة منهم وتارة من غيرهم ، كمن عنده دين وتقى حل بين قوم فجبار ظلمة ، ولا يتمكنون من فجورهم وظلمهم الا بموافقتهم لهم او سكته عنهم ، فان وافقهم او سكت عنهم ، سلم من شرهم في الابداء ، ثم يتسلطون عليه بالاهانة والأذى أضعف ما كان يخافه ابتداء لو انكر عليهم وخالفهم . وان سلم منهم فلا بد ان يهان على يد غيرهم ، فالعزم كل العزم في الاخذ بما قالت أم المؤمنين لعاوية : « ومن ارضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن ارضى الناس بسخط الله لم يغنو عنه من الله شيئا » ومن تأمل أحوال العالم رأى هذا كثيرا فيمن يعين الرؤساء على اغراضهم الفاسدة ، وفيمن يعين أهل البدع على بدعهم ، هربا من عقوبهم ، فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع عن الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم ثم يكون له العاقبة في الدنيا والآخرة ، كما كانت للرسل وأتباعهم كالهاجرين والانصار ، ومن ابتلي من العلماء والعباد وصالحي الولاة والتجار وغيرهم .

ولما كان الألم لا محيس منه البتة عزى سبحانه من اختار الألم اليسير المنقطع على الألم العظيم المستمر بقوله « من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لات وهو السميع العليم » فضرب لمدة هذا الألم أجل لا بد أن يأتي وهو يوم لقائه ، فيلتد العبد أعظم اللذة بما تتحمل من الألم من أجله وفي مرضاته ، ويكون لذته وسروره وابتهاجه بقدر ما تحمل من الألم في الله والله ، وأكد هذا العزاء والتسلية برجاء لقائه ليحمل العبد اشتياقه الى لقاء ربه ووليه على تحمل مشقة الألم العاجل ، بل ربما غيبه الشوق

(١٩) القيمة - الآيات ٢٠ ، ٢١ .

(٢٠) الانسان - الآية ٢٧ .

إلى لقائه عن شهود الألم والاحساس به ، ولهذا سأله النبي صلى الله عليه وسلم ربه الشوق إلى لقائه ، فقال في الدعاء الذي رواه أحمد وابن حبان « اللهم اني أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق احييني اذا كانت الحياة خيرا لي ، وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي . وأسائلك خشيتك في الغيب والشهادة وأسائلك كلمة الحق في الغضب والرضا ، وأسائلك القصد في الفقر والغنى ، وأسائلك نعيم لا ينفد ، وأسائلك قرة عين لا تنقطع ، وأسائلك الرضا بعد القضاء ، وأسائلك برد العيش بعد الموت . وأسائلك لذة النظر إلى وجهك ، وأسائلك الشوق إلى لقائك في غير ضراء مضررة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الايمان ، واجعلنا هداة مهتدين » .

فالشوق يحمل المشتاق على الجد في السير إلى معبوبه ويقرب عليه الطريق ويطوي له البعد ، وييهون عليه الآلام والمشاق ، وهو من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عبده . ولكن لهذه النعمة أقوال وأعمال مما السبب الذي تناول به ، والله سبحانه سميع لتلك الأقوال عليم بتلك الأفعال ، وهو عليم بمن يصلح لهذه النعمة ويشكرها ويعرف قدرها ، ويحب المنعم عليه ، فيضع عنده النعمة كما قال تعالى : « وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا : أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، فإذا فاتت العبد نعمة من نعم ربها ، فليقرأ على نفسه « أليس الله بأعلم بالشاكرين » ، ثم عزاهم تعالى بعzaء آخر ، وهو أن جهادهم فيه إنما هو لأنفسهم ، وثمرته عائدة عليهم ، وأنه غني عن العالمين ، ومصلحة هذا الجهاد ترجع إليهم لا إليه سبحانه ، ثم أخبر أنه يدخلهم بجهادهم وأيمانهم في زمرة الصالحين .

ثم أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة ، وانه اذا أودي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ، وهي أذاهم له ، ونيلهم اياه بالمكر و والألم الذي لا بد أن يناله الرسل واتباعهم ممن خالفهم ، جعل ذلك في فراره منهم وتركه الألم الذي ناله كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون

باليمان . فالمؤمنون ، لكمال بصيرتهم ، فروا من ألم عذاب الله الى الايمان ، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب . وهذا لضعف بصيرته فر من ألم عذاب أعداء الرسل الى موافقتهم ومتابعتهم ، ففر من ألم عذابهم الى ألم عذاب الله ، فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة ألم عذاب الله ، فغبن كل الغبن اذ استجبار من الرمساء بالنار ، وفر من ألم ساعة الى ألم الأبد . . . .

والمقصود ان الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته انه لا بد ان يمتنع النفوس ويبتليها ، فيظهر بالامتحان طيبها من خبيثها ، ومن يصلح لوالاته وكراماته ، ومن لا يصلح ، وليمعن النفوس التي تصلح له ، ويخلصها بكير الامتحان كالذهب الذي لا يخلص ولا يصفو من غشه الا بالامتحان ، اذ النفس في الاصل جاهمة ظالمة ، وقد حصل لها بالجهل والظلم من الخبث ما يحتاج خروجه الى السبك والتصفيه ، فان خرج في هذه الدار ، والا فني كير جهنم ، فاذا هدب العبد ونقي اذن له في دخول الجنة (٢١) .

### مراتب الناس حسب جهادهم :

ولما كان الجهاد هو العجوة والبرهان على صدق الايمان ، كانت منازل الناس عند ربهم في الدنيا والآخرة ، حسب ما يقومون به من جهاد ، وما يقدمونه من تضحيات فمن حاز قصب السبق منه ، وجب على المجتمع المسلم ان يرفعه ويكرمه ، ومن فترت همته عنه لم يجز تسويته بالمجاهدين .

فالجهاد قيمة عليا من القيم التي يتعامل بها المجتمع المسلم ، وانما كان العلم والتقوى من تلك القيم ايضا ، لانها انواع من الجهاد ، لما في العلم من دوافع للجهاد ، ومعرفة طريقه ، والثبتت عليه ، ولما في التقوى من جهاد النفس والزامها بطاعة الله ، وترك نواهيه سبحانه ، وكذلك

فإن العلم والتقوى ثمرة من ثمار الجهاد في سبيل الله تعالى ، قال عز وجل :  
( والذين جاهدوا فينا لنهدى نهم سبلنا ) (٢٢) .

ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الخلق وأتعلّم عنده الله لأنّه كمل مراتب الجهاد كلّها ، وجاحد في الله حق جهاده من حين بعث إلى أن توفاه الله ، وجاحد بقلبه وجنانه ، ودعوته وبيانه ، وسيفه وسننه ، وكانت ساعاته وأيامه وعمره موقوفة جميعها على الجهاد .

وإذا كان المسلم لا يمكنه أن يصل إلى تلك الرتبة العليا ، فينبغي أن يسير نحوها ، وان يحاول ان يقترب منها ، وأن يأخذ من تلك المراتب الجهادية قسطاً وافراً حتى يكون ممثلاً لقول الله تعالى : ( وجاهدوا في الله حق جهاده ) ، وحق الجهاد كما علمت ان يستعمل العبد جميع ما أotti من طاقة في جهاد نفسه وشيطانه وأهل الكفر والنفاق والمنكر في الأرض .

وأخيراً نسأل الله ربنا ورب كل شيء أن يجعلنا من المجاهدين ، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله ، ونشكره سبحانه على ما يسر لنا ، وندعوه أن ينفع به .

والحمد لله رب العالمين .

## فهرس المراجع

- ١ - الاحكام السلطانية ، ابو يعلى محمد بن الحسين ، الفراء الحنبلي ، مطبعة البابي الحلببي بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٦ / ١٩٦٦ م .
- ٢ - الاحكام السلطانية والولايات الدينية ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي ، مطبعة مصطفى البابي الحلببي ، الطبعة الاولى ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .
- ٣ - الاحكام في أصول الاحكام ، ابن حزم الظاهري ، مطبعة الامام .
- ٤ - احكام القرآن ، ابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، عيسى البابي الحلببي ، الطبعة الثانية .
- ٥ - احكام القرآن ، ابو بكر احمد بن علي الرazi الجصاص ، المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٧ هـ .
- ٦ - احكام القرآن ، ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ، كتب هوامشه الشیخ عبد الغنی عبد الخالق ، نشر مكتب الثقافة الاسلامية ، الطبعة الاولى .
- ٧ - احياء علوم الدين ، الامام ابو حامد الغزالی ، دار الشعب بالقاهرة .
- ٨ - اخبار عمر ، علي الطنطاوي وناجي الطنطاوي ، مطباع دار الفكر بدمشق ، الطبعة الاولى ١٣٧٩ هـ / ١٩٥٩ م .
- ٩ - الارشاد في قواطع الادلة في أصول الاعتقاد ، امام الحرمين الجويني .
- ١٠ - اساس البلاغة ، الزمخشري ، مطبع الشعب ، سنة ١٩٦٠ م .
- ١١ - الاسلام بين العلماء والحكام ، عبد العزيز البدری ، منشورات المكتبة العلمية / المدينة سنة ١٩٦٦ م .
- ١٢ - اعلام الموقعين عن رب العالمين ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابی بکر ، المعروف بابن قیم الجوزیة ، شركة الطباعة الفنیة المتحدة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .
- ١٣ - اقتضاء العلم العمل ، ابو بكر الخطيب البغدادي ، تحقيق : محمد ناصر الدين الالباني ، المطبعة العمومية بدمشق ، مطبوع مع ثلاث رسائل أخرى .
- ١٤ - الام ، الشافعی ، طبعة مصورة عن طبعة بولاق ، سنة ١٣٢١ هـ .

١٥- الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ابو بكر احمد بن محمد هارون الغلال ، دراسة وتحقيق عبد القادر احمد عطا ، دار الاعتصام ، الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

١٦- آيات الجهاد في القرآن الكريم ، الدكتور كامل الدقى ، دار البيان ، الكويت ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

١٧- أيها الولد ، ابو حامد الغزالى ، مطبعة المعارف ، بغداد .

١٨- سستان العارفين ، الشيخ نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندى ، مطبعة مصطفى البابى الحلبى ، مطبوع مع تنبية الغافلین لنفس المؤلف .

١٩- تاج العروس ، الزبيدي ، دار ليبيا للنشر والتوزيع .

٢٠- تذكرة الحفاظ ، الامام ابو عبد الله الذهبي ، دار احياء التراث العربي .

٢١- الترغيب والترهيب ، عبد العظيم بن عبد القوى المندري ، مصطفى البابى الحلبى الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

٢٢- تفسير ابن كثير ، عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي ، دار احياء الكتب العربية .

٢٣- تفسير الطبرى ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى ، تحقيق محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر .

٢٤- تفسير القاسمى ، محمد جمال الدين القاسمى ، دار احياء الكتب العربية الطبعة الاولى .

٢٥- تفسير القرطبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ، دار الكتاب العربي - القاهرة ، ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٢٦- تفسير مجاهد ، مجاهد بن جبر التابعى ، تحقيق عبد الرحمن الطاهر السورتى ، مطابع الدوحة الحديثة .

٢٧- التلخيص العبير ، احمد بن حجر العسقلانى ، شركة الطباعة الفنية ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

٢٨- تنبية الغافلین ، ابو الليث نصر بن محمد بن ابراهيم السمرقندى ، مصطفى البابى الحلبى بمصر .

٢٩- جاهلية القرن العشرين ، محمد قطب .

٣٠- جمع الفوائد من جامع الاصول ومجمع الزوائد ، محمد بن محمد بن سليمان ، طبع سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

٣١- الجهاد في الاسلام ، محمد شديد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣٢- الجهاد في سبيل الله ، ابو الاعلى المودودي ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٠ م .

٣٣- حاشية ابن عابدين ، محمد امين المعروف بابن عابدين ، المطبعة العثمانية دار السعادة .

٣٤- حاشية الصاوي على الشرح الصغير ، احمد بن محمد الصاوي المالكي ، مطبوعة بهامش الشرح الصغير ، طبعة دار المعارف بمصر .

٣٥- الحسبة في الاسلام ، شيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيمية ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة .

٣٦- الحضارة الاسلامية ، ابو الاعلى المودودي ، الدار العربية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية .

٣٧- حياة الصحابة رضي الله عنهم ، محمد يوسف الكاند هلوى ، دار النصر للطباعة القاهرة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٣٨- الخلق الكامل ، محمد احمد جاد المولى ، مطبعة حجازي ، الطبعة الاولى ، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

٣٩- دراسة في السيرة ، الدكتور عماد الدين خليل ، مؤسسة الرسالة - دار النفائس ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .

٤٠- الدعوة الاسلامية فريضة شرعية وضرورة شريرة ، الدكتور صادق امين ، جمعية عمال المطابع التعاونية ، عمان - ١٩٧٦ م .

٤١- دليل الفالحين بطرق رياض الصالحين ، محمد بن علان الصديقي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

٤٢- رجال الدعوة والفكر في الاسلام ، ابو الحسن الندوی ، مطبعة جامعة دمشق ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

٤٣- رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، محبي الدين يحيى بن شرف النووي ، المطبعة اليوسفية - مصر .

٤٤- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم ، محمد حبيب الله الشنقيطي ، مؤسسة الحلبي وشركاه .

٤٥- زاد المسير في علم التفسير ، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الاسلامي للطباعة والنشر ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

٤٦- زاد المعاد في هدى خير العباد محمد صلى الله عليه وسلم ، ابن الجوزية ، المطبعة المصرية ، ١٣٧٩ هـ .

٤٧- الزواجر عن اقتراف الكبائر ، ابن حجر المكي المعروف بابن حجر الهيثمي ، المطبعة المصرية ببولاق .

٤٨- سنن أبي داود ، للإمام أبو داود سليمان بن الأشعث ، الطبعة الأولى - الحلبى ١٣٧١ هـ / ١٩٥٢ م .

٤٩- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، المطبعة المصرية بالازهر ، الطبعة الأولى ، ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .

٥٠- السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية ، ابن تيمية ، مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

٥١- سيرة ابن هشام ( سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ) ، أبو محمد عبد الملك بن هشام ، كتاب التحرير - القاهرة ١٣٨٣ هـ .

٥٢- سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، محمد عزة دروزة ، مطبعة الاستقامة - القاهرة ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م .

٥٣- السيرة الحلبية ، علي بن برهان الدين الحلبى ، مطبعة البابي الحلبى ، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .

٥٤- السيرة النبوية ، ابو الفداء اسماعيل بن كثير ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، مطبعة عيسى البابي الحلبى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٤ م .

٥٥- شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق ومراجعة جماعة من العلماء ، المكتب الاسلامي الطبعة الرابعة - ١٣٩١ هـ .

٥٦- شرح العناية على الهدایة ، اكمل الدين محمد بن محمود البابرتى ، مطبوع مع فتح القدير ، مطبعة مصطفى محمد - مصر .

٥٧- شرح قصيدة ابن القيم ، احمد بن ابراهيم بن عيسى الشرقي ، المكتب الاسلامي الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .

٥٨- الشیع الدلیل فی الاسلام ، نجیب الارمنازی ، مذکمة ابن زیدون ١٣٤٩ هـ .

٥٩- الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ابن تيمية ، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الاولى ١٣٧٩ هـ / ١٩٦٠ م .

٦٠- صحيح البخاري بشرح ابن حجر ، محمد بن اسماعيل البخاري ، انظر فتح الباري .

٦١- صحيح الترمذى بشرح ابن العربي ، ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى ، انظر عارضة الاحدوى .

٦٢- صحيح مسلم بشرح النووي ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج وصاحب الشرح محبي الدين يحيى بن شرف النووي ، المطبعة المصرية .

٦٣- عارضة الاحدوى بشرح صحيح الترمذى ، الامام ابن العربي المالكى ، دار العلم للجميع .

٦٤- العبودية ، ابن تيمية .

٦٥- العقائد الاسلامية ، السيد سابق ، دار النصر للطباعة ، مصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

٦٦- العلاقات الدولية في الاسلام ، الدكتور كامل الدقى ، دار الشروق ، الطبعة الاولى ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

٦٧- عيون الاخبار ، ابو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، المؤسسة المصرية العامة ، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب .

٦٨- فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، احمد بن حجر العسقلانى ، المطبعة البهية المصرية .

٦٩- فتح القدير شرح الهدایة ، الكمال بن الهمام ، مطبعة مصطفى محمد - مصر .

٧٠- الفرقان بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، دار النذير للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .

٧١- الفصل في الملل والآهواء والنحل ، ابن حزم الظاهري ، مطبعة محمد علي صحيح القاهرة .

٧٢- فقه السيرة ، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

٧٣- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، عبد الرؤوف المناوي ، الطبعة الاولى ، ١٣٥٦ هـ والطبعة الثانية ، ١٣٩١ هـ .

٧٤- في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار احياء التراث العربي - بيروت ، الطبعة الخامسة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .

٧٥- قواعد الاحكام في مصالح الاخاء ، ابو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام ، دار الشرق للطباعة - القاهرة ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

٧٦- كتاب الایمان ، الامام ابو عبيد القاسم بن سلام - تحقيق الالباني ، المطبعة العمومية بدمشق ، مطبوع مع ثلاث رسائل اخرى .

٧٧- كتاب الكبائر ، شمس الدين الذهبي ، دار احياء التراث العربي - بيروت .

٧٨- لسان العرب ، العلامة ابن منظور ، اعداد وتصنيف يوسف خياط ونديم مرغشلي دار لسان العرب - بيروت .

٧٩- المبسوط ، محمد بن احمد شمس الائمة السرخسي ، مطبعة السعادة - مصر .

٨٠- مجلة الدعوة ، القاهرة .

٨١- مجموع الفتاوى ، شيخ الاسلام ابن تيمية ، مطابع الرياض ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٣ هـ .

٨٢- المعلم ، ابن حزم الظاهري ، المكتب التجاري للطباعة - بيروت .

٨٣- المسائل في أعمال القلوب والجوارح ، العارث بن اسد المحاسبي - تحقيق عبد القادر عطا ، الطبعة الاولى ١٩٧٩ م .

٨٤- الصباح المثير في غريب الشرح الكبير للرافعي . احمد بن محمد بن علي الفيومي الطبيعة الاميرية - القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٥٦ م .

٨٥- معاجل القدس في مدارج معرفة النفس ابو حامد الغزالى ، نشر مكتبة الجندي .

٨٦- معالم في الطريق ، سيد قطب ، ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م .

٨٧- المعجم المفهرس للافاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .

٨٨- المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المنار ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٤ م .

٨٩- المغني ، ابو محمد عبد الله بن احمد بن محمد بن قدامة ، مطابع سجل العرب الطبعة الاولى ١٣٨٩ هـ / ١٩٧٩ م .

٩٠- مغني المحتاج الى معرفة الفاظ المنهاج ، الشيخ محمد الخطيب الشربيني ، طبع سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ مـ .

٩١- الموطأ ، الامام مالك بن انس ، كتاب الشعب .

٩٢- نيل الاوطار ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي الطبعة الثالثة ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦١ مـ .

٩٣- نزهة المتقين شرح رياض الصالحين ، تأليف مجموعة من المؤلفين ، مؤسسة الرسالة بيروت ، الطبعة الاولى ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ مـ .

٩٤- هداية الباري ، عبد الرحيم عنبر المصري ، شركة مطبعة الرغائب ، الطبعة الثانية ١٣٤٠ هـ .

## فهرس الموضوعات

المنطقة

فاطحة

## المبحث الاول

1

جہاد النفس

٩	· · · · · · · · ·	معنى الاجمالي لجهاد النفس
٩	· · · · · · · · ·	مياذن جهاد النفس
١٠	· · · · · · · · ·	جهادها على تعلم الهدى
١٢	· · · · · · · · ·	جهادها على العمل والالتزام
١٣	· · · · · · · · ·	نصيحة للمخطيب البغدادي
١٥	· · · · · · · · ·	جهادها على الدعوة
١٥	· · · · · · · · ·	جهادها على الصبر على مشاق الدعوة

## المبحث الثاني

३

## جهاد الشيطان

## الصفحة

٢٨	انكار الخالق مبعثه الهوى
٢٩	التمرد على حاكمية الله من تزيين شيطان الهوى
٣٠	بعض النظريات المدعمة للهوى
٣٠	جبهات الشهوة التي اتخذها الشيطان في حربه مع الانسان
٣١	الشهوة الفرجية
٣١	أساليب الشيطان في العمل على هذه الجبهة
٣١	دور اصحاب الاموال في هذه الجبهة
٣٢	استغلال الشيطان للمرأة
٣٣	دور طلاب الشهوة في هذه الجبهة
٣٣	دور اصحاب السلطان
٣٤	التشبيط عن الزواج
٣٤	الشهوة البطنية
٣٥	كلام للغزالى في خطورة هذه الشهوة
٣٥	شهوة الجاه والسلطان في أهل هذا الزمان
٣٥	تمزق الأمة ثمرة مرّة من ثمار هذه الشهوة
٣٦	استعباد الهوى للجوارح
٣٦	تضخم الغرائز نتيجة التربية الشيطانية
٣٧	سنة ربانية في معاملة الفطرة الإنسانية
٣٨	صور من مخالفات أهل هذا الزمان لمقتضيات العقول
٣٩	حصاد التربية الشيطانية
٤٠	القيم المقدسة عند انسان اليوم
٤١	تطاول حفاة الاخلاق وعراة الفضائل
٤١	تقديس مؤججي الغرائز
٤١	وصول المنافقين والمراثين الى شرفات الجاه
٤٢	مصير الفضائل والفضلاء
٤٣	استعباد اصحاب السلطان لعقول الناس
٤٣	تبادل المنافع بين شيطان الجاه والسلطان وشيطان الجنس
٤٤	معالم في طريق جهاد الشيطان واولياته
٤٥	نداء للعقلاء
٤٥	لا بد من العزمة القوية على الخلاص

٤٥	عمل العقل استبانته الطريق والدلالة على الأصول
٤٦	القلب النظيف من أدران الهوى هو القادر على ادراك الوضع السليم
٤٨	العقل يأمر بتحويل الوجهة الى الله
٤٩	نداء آخر للعقلاء
٥٠	العقل يأمر الانسان بالتفتيش عن منهاج الله
٥١	العقل يدل على القرآن انه من عند الله
٥١	نداء ثالث للعقلاء
٥٢	العقل يدل على الرسول صلى الله عليه وسلم
٥٣	مكان القوى الإنسانية في دوحة الرحمن الرحيم
٥٣	العقل يجد مكانه المناسب في هذه الدوحة
٥٦	الغرائز تجد مكانها الملائم في هذه الدوحة
٥٦	الحواس والجوارح تجد مكانها المناسب في هذه الدوحة
٥٧	بعض معالم الطريق في العودة الى الله ودينه

### المبحث الثالث

1

## جہاد الکفار

٦٠ . . . . . موقف الكفار من المؤمنين كما أخبر الله عز وجل . . . . .

٦٢ . . . . . كيف يكون جهاد الكفار . . . . .

٦٢ . . . . . كيفية جهادهم عندما لا يكون للمؤمنين سلطان في الارض . . . . .

٦٢ . . . . . لا بد من طبيعة تحمل الدعوة . . . . .

٦٣ . . . . . كيفية جهاد الكفار عندما يكون للمؤمنين سلطان في الارض . . . . .

٦٤ . . . . . دليل ما تقدم . . . . . . . . .

٦٥ . . . . . خطبة الرسول عليه الصلاة والسلام في جهاد الكفار . . . . .

٦٥ . . . . . مرحلة التربية والاعداد العقائدي والفكري والأخلاقي . . . . .

٦٦ . . . . . عدم اللجوء الى القتال في هذه المرحلة . . . . .

٦٧ . . . . . تمييز المؤمنين في هذه المرحلة عن الكفار في العقائد والأخلاق والافكار . . . . .

٦٧ . . . . . مرحلة التمييز المادي ( الهجرة الى المدينة ) . . . . .

٧٠ . . . . . مرحلة الدفاع المباح بالقوة المادية . . . . . . . . .

## الصفحة

٧١	متي شرع القتال
٧٣	رأي الامام الشافعي في ترتيب تشرع الهجرة والقتال
٧٤	مرحلة الدفاع الواجب بالقوة المادية
٧٦	المرحلة النهائية
٧٧	تلخيص ابن القيم لراحل الجihad التي مرت بها الدعوة الاسلامية
٧٩	تعليق
٨٠	رجوع الناس الى العاهلية
٨١	ضرورة الدعوة الى الله وايجاد القاعدة الصلبة المؤمنة
٨٢	الجهاد بالدعوة الى الله عز وجل وظيفة كل مؤمن
٨٣	موقع الدعوة من الایمان
٨٣	الجهاد بالدعوة مقتضى من مقتضيات الایمان
٩٠	الجهاد بالدعوة الى الله علامه الایمان
٩٢	الجهاد بالدعوة الى الله شرط الایمان
٩٣	الجهاد بالدعوة الى الله وقاية للایمان
٩٤	الجهاد بالدعوة الى الله غذاء الایمان
٩٥	اسلحة الداعية
٩٦	الثقة
١٠٠	الصدق والاخلاص
١٠٣	الالتزام
١٠٥	التميز
١٠٨	الاخوة
١٠٩	حقوق الاخوة

## المبحث الرابع

في

### جihad المنافقين

١١٣	خطورة هذا النوع من الاعداء
١١٤	صفات المنافقين وأساليبهم
١١٦	ابطان الكفر والتظاهر بالایمان

١١٦	صفة المخادعة
١١٧	المزوف عن التحاكم الى الله ورسوله
١١٩	موالاة الكفار
١٢٠	بعض مواقف المنافقين في موالاة الكفار
١٢٤	الدس والحقيقة بين المسلمين
١٢٥	أمثلة من مواقف المنافقين في التفريق بين المسلمين
١٢٧	الجبن الشديد والتخلُّف عن الجهاد
١٢٨	آيات تبيّن هذه الصفة في المنافقين
١٢٩	أمثلة من مواقف المنافقين في التخلُّف عن الجهاد
١٣٤	التخديل والتشبيط والارجاف
١٣٥	مواقف تخديلية وقفها المنافقون
١٤٠	الصد عن سبيل الله والأمر بالمنكر والنهي عن المعروف
١٤٠	المنافقون يحبون ان تشيع الفاحشة في المؤمنين
١٤١	انتقاد المؤمنين ، والتهمون من شأنهم
١٤٢	الكذب وخيانة العهد والأمانة
١٤٣	الكسل في عبادة الله عز وجل
١٤٣	الذببية وعدم الاستقرار في أحد الصفين
١٤٤	الفرح بما يصيب المسلمين من الضراء
١٤٤	العناد والاستكبار وعدم الاقتناع
١٤٤	شراستهم على المسلمين في الأزمات
١٤٥	أساليب جهاد المنافقين
١٤٧	الأساليب الوقائية
١٤٧	معرفتهم ودراسة صفاتهم
١٤٨	ترك موالاتهم
١٤٩	مقاطعتهم
١٥٠	عدم الثقة بهم
١٥١	الميلولة بينهم وبين المراكز الحطرة
١٥٢	صياغة الصف المسلم من التنازع
١٥٣	الحرص على رباط الأخوة اليمانية
١٥٤	حسن الظن بالمؤمنين

١١

## المبحث الخامس

3

## جهاد الظالمين والفاسقين

## الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

١٦٢	المعرف والمنكر . . . . .
١٦٤	ضرورة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . . .
١٧٠	أدلة مشروعيته وتأكيد الشارع عليه . . . . .
١٧٧	حكمه . . . . .
١٧٩	ترجيع القول بالوجوب العيني . . . . .
١٨٠	قواعد وآداب في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . . .
١٨١	البدء بالقضايا الاكثر أهمية . . . . .
١٨٢	الامر بالمعروف الافضل والنهي عن المنكر الافضل . . . . .
١٨٤	الاخلاص في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . . .
١٨٥	العلم والفقه فيما يأمر به وينهى عنه . . . . .
١٨٥	الرفق في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . . .
١٨٦	الحلم والصبر خلقان لا بد منهما لمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . . . . .
١٨٧	العلم بأحوال الناس لمن يأمر وينهى . . . . .
١٨٨	رجحان المصلحة على المفسدة عند القيام بهذا الجهد . . . . .
١٨٨	الالتزام بما يأمر به . . . . .
١٨٩	الواجب هو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وليس هداية الناس . . . . .
١٩٠	خوف الناس ليس مبررا لترك هذه الفريضة . . . . .

## الصفحة

١٩١	عدم حمل الناس على اتباع رأي معين في الامور الاجتهادية
١٩٢	عدم جواز التجسس على الناس
١٩٣	القيام بهذه الفرضية يكون بقدر الاستطاعة
١٩٣	درجات الامر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الامام الغزالى
١٩٦	ضرورة الانكار بالقلب عند العجز عن الدرجات الاخرى
١٩٧	لا يشترط اذن الامام في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٩٧	العلماء والأمراء أكثر الناس مسؤولية عن القيام بهذا الواجب
١٩٧	الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حق لكل مسلم
١٩٨	شرف أنواع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
١٩٨	كيفية جهاد الظلمة والعصاة من حكام المسلمين
١٩٩	اتفاق العلماء على وجوب خلع الحاكم الكافر او المرتد
٢٠٠	رأيان في جواز الخروج على الحاكم الفاسق
٢٠١	أدلة الفريق الاول
٢٠٢	أدلة الفريق الثاني
٢٠٣	الرأي الراجح
٢٠٨	مواقف للعلماء مع الحكام
٢٠٩	مواقف للصحابية رضوان الله عليهم
٢١١	موقف ابي مسلم الخولاني من معاوية
٢١٢	نصيحة الحسن البصري لعمر بن هبيرة
٢١٢	نصيحة ابي حازم لستيمان بن عبد الملك
٢١٤	موقف الاوزاعي مع عبد الله بن علي العباسى
٢١٥	موقف حطيط الزيات من الحجاج
٢١٦	موقف ابن طاووس من ابي جعفر المنصور
٢١٧	نصيحة رجل لا يبي جعفر المنصور
٢١٩	موقف عمرو بن عبيد من المنصور
٢١٩	نصيحة الاوزاعي للمنصور
٢٢١	رسالة هرون الرشيد الى سفيان الثوري
٢٢٣	جواب سفيان على رسالة هرون وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر
٢٢٦	موقف النووى من الظاهر بيبرس
٢٢٧	موقف العز بن عبد السلام مع الملك اسماعيل

## الصلحة

٢٢٧ موقف ابن تيمية من غازان التترى . . . . .

٢٢٩ موقف الغزالي من السلطان سنجر بن ملك شاه السلجوقي . . . . .

٢٣٠ موقف الاستاذ حسن الهضيبي من جمال عبد الناصر ورسالته اليه . . . . .

٢٣١ تعقيب . . . . .

٢٣٣ اختلاف حكام الامس عن حكام اليوم . . . . .

٢٣٤ ضرورة اختلاف الاساليب تبعاً لذلك . . . . .

## خاتمة

في

### ضرورة الجهاد بجميع انواعه

٢٣٩ الجهاد مادة الابتلاء لمعرفة الصادقين . . . . .

٢٤٠ الابتلاء سنة الله في عباده . . . . .

٢٤٤ مراتب الناس حسب جهادهم . . . . .

٢٤٦ فهرس المراجع . . . . .

٢٥٤ فهرس الموضوعات . . . . .

رَفِعُ

عِبْدُ الرَّحْمَنِ الْبَنْجَيِّ  
الْمُسْكَنُ لِلَّهِ الْفَرْوَانُ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)

**[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)**

رَفِيع

جَبَرُ الْأَرْجُونِ الْأَجْمَيِّ  
الْأَسْلَمُ لِلَّهِ الْفَرَوْكَسِ

[www.moswarat.com](http://www.moswarat.com)